الصــلاة حيــاة

تقديم الدكتور
مصطفي محمود

تأليف
محمد بهنسي

دار شريف للنشر والتوزيع

الناشر: دار شريف للنشر والتوزيع
أدكو - شارع سعد زغلول - محافظة البحيرة
☎: ٠٤٥٢/٩١٠٠٠٦١ & ٠٤٥٢/٩١٢٢٦٦
رقم الإيداع: ٢٠٠٤/١٠٥١٩
الترقيم الدولي: 977-6143-01-6 I.S.B.N.
جمع وإخراج: شيماء ربيع فؤاد

٢٠٠٥/٢٠٠٤

بسم الله الرحمن الرحيم

عبد الرزاق نوفل

أخي في الله

السيد الأستاذ محمد حمدان دهيني

تحية طيبة وبعد

فلقد تسلمت خطابك وكتابك وكم أسعدني أنك ستعقبت هذا الكتاب
إذ يزداد عدد الدعاة إلى الله وإلى الإسلام بالقلم بك وتنضم إلى الصفوة الطاهرة
التي كرست جهدها ومالها في سبيل الدعوة الإسلامية. أدعو الله لك بالتوفيق
وأنه يجعل هذا الكتاب باكورة عمل متصل ونتاج مستمر إن شاء الله

وقد أعجبني الكتاب حقاً. وهو إضافة كانت ضرورية لما كتب من قبل
عن الصلاة لا سيما وقد جمع الكتاب عدداً من آيات القرآن واستنتاجات الأبحاث
العلمية الحديثة في موضوع يحتل الأصل والأساس في العبادة الإسلامية. كتب الله
لك بعدد ما جهدت وجهدت ثواباً وغفراناً وفتح الله عليك دائماً وأبداً
وشد الله أزرك وإلى مزيد من الإنتاج الموفق الناجح إن شاء الله

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوك

١٢/١٢/١٩٨١



تقديم

الدكتور مصطفي محمود

مـن حيـث المـادة العلمية والموضوعية فهي ممتازة إلي حـد كبـير، وتـدل علي عقلية مستوعبة هاضمة للأفكار الجيدة، وكذلـك فـي الموضـوع أفكـار جديـدة وتصـور جـيد للصلاة الإسـلامية، ونحـن نرحـب بهـذا الأسلوب العصري في معالجة الأمـور الدينـية . وهـي علـي كـل حال محاولة ناشئة جديرة بالتشجيع.

مصطفى محمود



الباب الأول

الصلاة والتكيف

- التكيف (أمثلة من عالم الحيوان والنبات والإنسان).
- علاقة التكيف بالصلاة.
- أمثلة لحالات التكيف في الصلاة (التيمم والمسح علي الجبائر، صلاة المسافر، سجود السهو، صلاة المريض، صلاة الخوف، المسح علي الخف أو الجوارب).
- الاجتهاد يشبه التكيف في الصلاة.
- انتقال أثر التكيف في الصلاة إلي الحياة الخارجية.
- التقليد الأعمى سوء تكيف.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـة

الإسـلام لا يلغـى حـق حـياة الدنـيا فـى الاسـتعداد للآخـرة ، إنمـا كـل مـا جاء به الإسلام هو للتعامـل الدنيوى ، وأن الدنيا هى الطريق إلى الآخرة.

طـريق واحـد يـبدأ بخـير الدنـيا حـتى يـنال المسـلم خـير الآخـرة. والصـلاة عنصـر أساسـى فـى هـذا الديـن ، بـل هـى عمـاده ، وسـنجد بوضـوح كـيف أنهـا لخـير الدنـيا قـبل أن تكـون لـثواب الآخـرة كمـا أن مـا تحققـه للمسـلم مـن مـزايا فى الدنيا هو عينه الثواب المضاعف فى الآخرة.

وكل ما هو مكتوب فى هذا البحث هو مجرد محاولة :

هـى محاولـة لمـزج العلـم بالديـن حـتى يمكـن دراسـة العلـم مـن خـلال الديـن فيمكنـنا دراسـة موضـوعات لعلـم الـنفس مـن خـلال دراسـتنا للصـلاة، وهى محاولة للكتابة بأسلوب عصرى .

هى محاولـة لتوضـيح مـا يمكـن أن تمـنحه الصـلاة مـن جـنة فـى الدنـيا ، قـبل أن تكـون بشـرى لجـنة الآخـرة ، وهـذا عكـس الـنظرة الـتى تحـث علـى القـيام بالصـلاة وإلا تعـرض الإنسـان للجحـيم فـى الدنـيا ، والعـذاب عـند المـوت، وجحيم الآخرة الأشد .

هـى محاولـة لمسـاعدة الإنسـان الـذى لا يصـلى علـى أن يكتسـب صـفة الصـلاة وأن نجـد فـى علـم الـنفس وصـفة للإنسـان الـذى لـم يسـتطع أن يدخـل الصلاة من باب العبادة أولاً وأساسا كما أمرنا الله سبحانه وتعالى .

هذا البحث يتناول :

١- الصلاة يسر وسهولة ومرونة ، وهى عبادة لا تتوقف مادام المسلم حيا.

٢- ثواب الصلاة فى الدنيا نفسا وجسما وعقلا ، يسبق ثواب الآخرة الأهم .

٣- تشتيت الذهن فى الصلاة ، وهو ما نعانى منه جميعا . والمعروف أن الرسول (ﷺ) قد سها مرة فى صلاته ، وإن سيدنا عمر (ﷺ) قال : " إنى لأجهز جيشى وأنا فى الصلاة " .

٤- الصلاة عادة عبادة ، إطارها الخارجى أى حركاتها عادة ، ومضمونها وهو الصلة بالله عبادة .

٥- الصلاة عادة تحافظ على الوقت وهو حياة الإنسان، فهى أعظم منظم لوقته .

٦- أهمية صلاة الجماعة لحياة المجتمع ، وما يمكن أن تحدثه من تغيير ثورى فى المجتمع .

إننا فى هذا البحث نتعرض لموضوعات مثل : العادة ، والتركيز الذهنى والتكيف النفسى ، والذاكرة والانتباه ومشتتات الانتباه ، والنشاط العقلى والنمو نفسيا وعقليا وجسديا ، والذى كون فى النهاية حيوية الإنسان ونتعرض أيضاً لموضوع القيادة فى المجتمعات ، وتفاعل الإنسان خلال المجتمع .

كل هذه العناصر السابقة والتى هى موضوعات لعلم النفس الاجتماعى نجد أن لها ارتباطا وثيقا بالصلاة ، فإذا كان علم النفس يتعامل مع حياة الإنسان بمظاهرها الخارجية والداخلية ، فالصلاة الإسلامية تتعامل مع حياة المسلم .

الفردية فى كل جوانبها ، وكذلك مع حياة المسلم الاجتماعية . إذن فالصلاة حياة .

حياة حقيقية فاضلة للدنيا والآخرة ، والله سبحانه وتعالى يدعونا لهذه الحياة فى محكم كتابه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ ﴾. (سورة الانفال ٢٤)

فالله سبحانه وتعالى دعانا إلى دينه إلى الإسلام وعماده الصلاة . وهذا سيحيينا الحياة الحقيقية ، حقا إن الصلاة حياة .

أتمنى من الله العلى القدير أن أكون قد وفقت فى محاولتى وأن تحتسب عنده سبحانه وتعالى من العلم النافع . لقد حاولت الجمع بين الدين وعلم النفس ونسجت من مبادئهما هذا الكتاب ، فجاء بسيطا بساطة المبادئ ذاتها والله الموفق .

وإن كنت قد أصبت فلى من الله الأجر والثواب ، إن لم أصب فأسأل الله لى المغفرة ومن قارئ هذا الكتاب العون والنصح والإرشاد وله من الله خير الجزاء .

محمد بهنسى

الصلاة والتكيف

☐ **التكيف:**

إن مفهوم التكيف أول ما استخدم كان للتعبير عن معنى بيولوجى ومثال ذلك ما يقوم به الحيوان من تكيف مع ظروف المناخ ، فالدببة عندما تواجه فصل الشتاء وقلة الغذاء تقوم بما يسمى (بالبيات الشتوى) للتكيف مع ما جاء به الشتاء من تغير فى الظروف .

ولقد استخدم علم النفس هذا التعبير على نطاق واسع واعتبر أن الصحة النفسية الجيدة تأتى من التكيف السليم بين المرء وبيئته التى تشمل البيئة الطبيعية والاجتماعية والمرء نفسه .

والصلاة سلوك لا يتوقف مرتبط بأنفاس الحياة للمسلم فالصلاة تعنى استمرار العبادة للمسلم مادام حيا . ولكن هناك متغيرات فى الحياة فهل الظروف المتغيرة توقف استمرار عمل الصلاة ؟ أم هناك تكيف مع هذه الظروف بحيث تستمر الصلاة بالرغم من أى شىء ؟ وهل ممارسة التكيف مع الظروف المتغيرة لضمان استمرار الصلاة يحقق لعقل المصلى صفة المرونة بحيث يمكنه أن يتكيف مع الظروف المتغيرة التى تحاول أن تعوقه عن تحقيق أهدافه المختلفة . وأن يستمر فى العمل من أجل تحقيقها؟

ويمكن أن يلاحظ التكيف بوضوح عن الإنسان فى حياته اليومية من تلاؤم مع ظروفه المختلفة ، فى شكل البناء بحيث يحقق له أنسب الظروف التى يعيش فيها . فلا يعقل مثلا إذا كان يعيش فى صعيد مصر الحار أن يبنى منزله بالألومنيوم وان يجعل سطح المنزل على هيئة أسطح

منازل الإنجليز . إن ذلك سوء تكيف لظروف المناخ، فإن معدن الألومنيوم المستخدم فى بناء منزله يعنى ارتفاعاً شديداً فى درجة الحرارة داخل المنزل ، مما يجعل الحياة داخله شبه مستحيلة . لذلك فإن أسطح بيوت الإنجليز بنيت حتى تتناسب مع مناخهم والمطر الغزير الذى لا ينقطع فى بلادهم .

وأيضاً يتكيف الإنسان مع ظروف المناخ باختياره نوع الملبس . فيرتدى فى الصيف الحار ملابس خفيفة ورقيقة، اما فى الشتاء البارد فيرتدى الملابس الثقيلة لتحميه من البرد . ماذا تقول لشخص يرتدى فى الصيف الحار الملابس الثقيلة ؟ إنه بالقطع سوء تكيف مع ظروف المناخ .

وكذلك نجد أن الإنسان يختار أنواع الأكل بحيث تخدم له هدف التكيف مع ظروف البيئة المحيطة ، فسكان المناطق الباردة يأكلون الطعام الدسم ، ويستخدمون الشحوم بكثرة فى غذائهم ، ويحبون كل أنواع الطعام التى تعطى لهم الطاقة التى تهئ لهم التكيف السليم مع ما يحيطهم من جو بارد .

وهذا عكس السكان الذين يعيشون فى المناطق الحارة فإنهم لا يتناولون أنواع الطعام السابقة وإنما يتناولون أطعمة تتناسب مع طبيعة جوهم الحار .

والله سبحانه وتعالى عندما خلق الناس خلقهم مختلفين فى الشكل، حتى يحقق لهم هذا الاختلاف التكيف السليم مع البيئة التى يعيشون فيها . وهكذا نرى حكمة الله سبحانه وتعالى فى ان تكون سمات الإنسان الذى يعيش وسط أفريقيا تختلف عن صفات أفراد الإسكيمو ، حتى يمكن لكل

إنسـان أن تؤهلـه صـفاته للـبقاء والاسـتمرار فـى البيـنة الـتى يعيش فـيها . هـذه هى آية الله فى خلقه :

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ﴾[1]

ففـى وسـط إفريقـيا حيـث درجـة الحـرارة العالـية وظـروف المـناخ الصـعبة خلـق الله الـزنوج لتعيش فـى هـذا المكـان وأن تكـون صـفاتهم مـن أنـف أفطـس وشـعر مجعـد ولـون أسـود ، ممـيزات تهيـئ لهـم التكـيف السـليم مـع ظروف البينة بحيث يمكنهم الاستمرار .

وأفـراد الإسـكيمو يمـتازون بصـفات معيـنة ، مـن عـون ضـيقة ولـون أبـيض للبشـرة ، وشـعر نـاعم ، كـل تلـك الصـفات تهيـئ لهـم التكـيف السـليم مـع الجلـيد الـذى يعيشـون علـيه ، حيث درجـة الحـرارة تحـت الصـفر . مـاذا لـو أن الـزنوج ذهـبوا إلـى بـلاد الإسـكيمو ليعيشـوا فـيها ، أو ذهـب أفـراد الإسـكيمو ليعيشـوا فـى وسـط أفريقـيا ، الإجابـة أنهـم لـن يسـتطيعوا الاسـتمرار . وصـدق رسول الله (ﷺ) حيث يقول " كل ميسر لما خلق له " .

حـتى فـى عـالم النـبات نجـد أن صـفات النـباتات الـتى تعـيش فـى المـناطق الصـحراوية تخـتلف عـن صـفات النـباتات الـتى تعـيش فـى المـناطق الأخـرى ، وهـذه الصـفات لا تخـتلف فقـط فـى الشـكل الظاهـرى ، إنمـا تخـتلف أيضـا فـى التركيـب التشـريحى ، وأى دارس لعلـم النـبات سـيعدد لـنا الصـفات الظاهـرية والصـفات التشـريحية الـتى تهيـئ للنـبات الصـحراوى الاسـتمرار فـى بيئته .

وفـى الحـياة الاجتماعـية نـرى أمـثلة لأشـخاص غـير قادريـن علـى التكـيف السـليم فـنجدهم فاشـلين فـى علاقـتهم الاجتماعـية مـع الآخريـن ولذلـك

---

(١) الروم ٢٢ .

يطلق البعض على الشخص صاحب السلوك المتحجر لقب (قفل) بمعنى أنه غير مرن فى التصرف مع الناس . مما يجعل الناس تنفر منه . ويعتبر علم النفس سوء التكيف الاجتماعى والعزلة عن الناس نوعا من المرض النفسى الذى يستحق العلاج .

ومن التعريفات التى يمكن أن تطلق على الشخص الذكى هو (الشخص القادر على التكيف مع ظروف البيئة المتغيرة تكيفا سليما) . ومن الواضح أن عملية التكيف عبارة عن غذاء للعقل ، لأن نمو العقل ينشئ من مواجهته للتحدى المستمر الناتج عن التغيرات المستمرة التى تواجهه ، وطلب الحلول لها ، وهذه الحلول عبارة عن تكيف سليم للمواقف الجديدة . ولذلك قيل (إن الحاجة أم الاختراع) بمعنى أن الاختراع هو التكيف السليم للظروف التى دعت الحاجة إليها.

❑ علاقة التكيف بالصلاة :

إن الصلاة ليست شكلا جامدا يؤدى دون أى اعتبار لاختلاف الظروف . فمثلا إذا تغيرت الظروف ولم يعد هناك ماء للوضوء فما الحل ؟ هل يتوقف المسلم عن أداء الصلاة لعدم وجود الماء ؟ . لا .

إن المسلم لا يتوقف عن الصلاة إذا واجهته مشكلة فقدان الماء . والإسلام أعطى للمصلى تكيفا سليما مع هذا الظرف المفاجئ وهو التيمم وهو وضوء بدون ماء حتى تستمر الصلاة ولا تتوقف . وإذا كان المسلم مسافرا أو مريضاً أو فى سفينة أو أثناء الحرب ، وكلها أحوال متغيرة فماذا يفعل أمام هذه المتغيرات؟

إن الصلاة مدرسة تعلم المسلم كثيرا من الصفات ، ومنها المرونة الناتجة عن تعلمه التكيف السليم أمام المتغيرات التى تعترض الصلاة وفى

الحديث " المؤمن كيس فطن ". فليست الصلاة مجرد حركات تؤدى فقط ، وإنما هى روح تسرى من فترة أداء الصلاة إلى اليوم كله . والرسول(ﷺ) عندما كان يواجه ارتفاع درجة الحرارة كان يتكيف مع ظروف المناخ فيقدم ميعاد الصلاة أو يؤخرها ، فعن أنس قال: (كان النبى ﷺ إذا اشتد البرد بكر بالصلاة - وإذا أشتد الحر أبرد بالصلاة) [1] . والابراد هو تأخير الظهر حتى يهدأ لفح الشمس وبذلك يتكيف الرسول (ﷺ) مع اشتداد درجة الحرارة وكذلك فى حالة اشتداد البرودة كان الرسول (ﷺ) يبكر بالصلاة حتى يتعامل مع ظروف البرودة الشديدة .

❑ **التيمم :**

إذا دخل وقت الصلاة ووجد المصلى ظروفا طارئة كأن لم يجد ماء على الإطلاق ليتوضأ به أو يغتسل به أو بعد الماء عنه بمقدار ميل ، أو كان يخشى من استعماله حدوث مرض أو زيادته أو يحتاج إليه ليشرب إنسان أو حيوان ، أو حال الخوف بينه وبين الوصول إليه، أو فقد أداة يستخرجه بها أو نحو ذلك.

نرى مما سبق أن هناك ظروفا متغيرة تطرأ على حال المسلم ، فتصبح قدرته على استعمال الماء للوضوء أو الاغتسال متعذرة ، فهل يتجمد المسلم أمام هذه الظروف فلا يتوضأ أو يغتسل ومن ثم فلا يصلى ؟

إن الإسلام علم المصلى كيف يتكيف مع هذه الظروف المتغيرة . التكيف السليم هو استبدال الماء المتعذر استخدامه بالتراب الموجود فى كل مكان .

---

(١) البخارى

وفى حالة الغسل أو فى حالة الوضوء يضرب المتيمم بيديه على الأرض على أن تكون نظيفة ، ثم ينفضها ويمسح وجهه ويديه إلى الرسغين .

قال الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾.[1]

والرسول (ﷺ) يعلمنا كيف نتيمم . عن عمار قال: أجنبت فلم أصب الماء فتمعكت فى الصعيد وصليت فذكرت ذلك للنبى (ﷺ) فقال: " إنما يكفيك هكذا : وضرب النبى (ﷺ) بكفيه الأرض ونفخ فيهما ، ثم مسح بهما وجهه وكفيه ".[2]

ويجوز التيمم بالتراب الطاهر وبما هو من جنس الأرض كالرمل والحجر والحص ، وقد سبق أن الرسول (ﷺ) أنه تيمم على الحائط . وبهذا يباح للمتيمم ما يباح للمتوضئ من صلاة ومس للمصحف وغير ذلك.

وهناك كثير من المصليين تنقطع مواظبتهم على الصلاة لمجرد أنهم يقابلون موقفا طارئا يستوجب التيمم ويؤدون الفروض قضاء حتى تعود الظروف العادية التى تتيح لهم استخدام الماء ، وهذا سوء تكيف بالغ من جانبهم .

---

(١) المائدة ٦.
(٢) نيل الأوطار .

❑ **المسح على الجبائر:**

إذا كـان هـنـاك ظـروف متغيرة كإصـابة عضـو فـى جسـم الإنسـان تطلـب لفـه بالجبـيرة فـإن ذلـك لا يكـون سـببا فـى عـدم أدائـه للوضـوء . إنمـا يكـون المسـح علـى الجبيرة هـو التكيف السليم لهذا الوضـع ، وهـذا مـا قالـه الإسـلام، وبذلـك يكـون وضـع الجبـيرة لـم يجـبر المسـلم علـى توقفـه فـى أداء الوضـوء. عـن علـى قـال : " انكسـرت إحـدى زنـدى ، فسـألت النـبى (ﷺ) فأمـرنى أن أمسح على الجبائر ".[1]

❑ **صلاة المسافر:**

السـفر يعنـى انـتقال إنسـان مـن مكـان يعيش فـيه إلـى آخـر غريـب عنـه لـم يألفـه بعـد ، بالإضـافة إلـى مـا فـى السـفر مـن مشـقة وعـناء . فالإنسـان أحوالـه تتغير فـى سـعره لأنـه لـيس فـى موطـنه الأصـلى الـذى تعـود علـى كـل جـزء فـيه، مـن بشـر ومسـاجد وغـير ذلـك . أمـا المكـان الجديـد الـذى انـتقل إلـيه بالسـفر فهـو فـيه غريـب عـن الـناس والمـبانى والشـوارع وغـير ذلـك ممـا ألفـه جيداً فى بلدته.

وهـناك مـن يقـول كـان السـفر أيـام الرسـول (ﷺ) شـاقاً ومجهـداً ، أمـا الآن فوسـائل المواصـلات مـن قطـار وعـربة وطائـرة وباخـرة وغـيرها مـريحة فـلا إجهـاد صـحى الآن فـى السـفر ، فـلا داعـى إذا لاعتـبار السـفر حالـة غـير عاديـة ، وبالـتالى فـلا يكـون هـناك داع للرخصـة الـتى أعطيـت للمسـافر أيـام الرسـول (ﷺ) مـن تقصـير فـى عـدد ركعـات الصـلاة وجمـع تقديـم وجمـع تأخير بين بعض الفروض .

---

(١) الدين الخالص

حقيقة إن ظروف السفر اليوم تختلف عن تلك التى كانت أيام الرسول (ﷺ) فقد اختفى العناء الذى كان يواجهه المسافر فى زمن ما قبل اختراع وسائل المواصلات الحديثة . لكن بقى شىء واحد وهو الأهم لم يختلف وهو مقابلة موقف جديد ، يستوى فيه كل من مسافر اليوم ومسافر الأمس وهو الغربة بما تعنى من عدم الألفة ، والتى تتطلب التكيف حتى يمكن للمصلى الاستمرار فى الصلاة . ولذلك بعد مدة من الزمن عندما يألف المسافر المكان الجديد الذى انتقل إليه .. ولم يعد يشعر بغربة فيه يعود إلى وضعه الطبيعى فى أداء الصلاة وتسحب الرخصة منه فعن جابر قال:
" أقام النبى (ﷺ) بتبوك عشرين يوما يقصر الصلاة".[1]

<u>ويكون تكيف المسافر مع ظروف السفر كالآتى :</u>

<u>أولاً</u> فى الجمع بين الصلاتين ، بأداء أحدهما مقدمة مع التى قبلها أو مؤخرة مع التى بعدها . وهذا الجمع يكون حسب ظروف المصلى المسافر والذى يضطر إلى ذلك .

عن معاذ أن النبى (ﷺ) كان فى غزوة تبوك، إذا زاغت الشمس قبل أن يرتحل جمع بين الظهر والعصر، وإذا ارتحل قبل أن تزيغ الشمس أخر الظهر حتى ينزل للعصر . وفى المغرب مثل ذلك : إن غابت الشمس قبل أن يرتحل جمع بين المغرب والعشاء وإن ارتحل قبل أن تغب الشمس آخر المغرب حتى ينزل للعشاء ثم نزل فجمع بينهما ".[2]

<u>ثانياً</u> فى قصر عدد ركعات ، فالصلاة الرباعية تصبح ثنائية ، فصلاة كل من الظهر والعصر والعشاء تصبح ركعتين فقط وفى ذلك يسر على

(١) الدين الخالص .
(٢) فقــه السنــة .

المسلمين بما يمكنهم من أن يتكيفوا تكيفا سليما مع ظروف السفر ويضمن لهم الاستمرار فى أدائها (الصلاة) .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : قد فرضت الصلاة ركعتين بمكة فلما قدم رسول الله (ﷺ) المدينة زاد مع كل ركعتين ركعتين إلا فى المغرب فأنها وتر النهار وصلاة الفجر طول قراءتها . وكان إذا سافر صلى الصلاة الأولى.(١)

والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾.(٢)

فقد ورد عن رسول الله (ﷺ) على الذين يتعجبون من أقصار الناس فى الصلاة بالرغم من ذهاب الخوف من الفتنة التى تحدثت عنها الآية الكريمة السابقة ، وعن على بن أمية قال : قلت لعمر بن الخطاب : أرأيت إقصار الناس الصلاة وإنما قال الله عز وجل : ﴿ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ فقد ذهب ذلك اليوم . فقال عمر : " عجبت مما عجبت منه فذكرت ذلك لرسول الله (ﷺ) فقال : صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته ". (٣)

وأقصر مسافة ورد فيها حديث الرسول (ﷺ) تعطى للمصلى الحق فى رخصة المسافر عن ابى سعد الخدرى قال : " كان رسول الله (ﷺ) إذا سافر فرسخا يقصر الصلاة "(٤) . (والفرسخ خمسة كيلو مترات ونصف تقريباً).

---

(١) الدين الخالص .
(٢) النساء (١٠١) .
(٣) الدين الخالص .
(٤) الدين الخالص .

❑ سجود السهو :

إذا كان المصلى يؤدى الصلاة وحدث أن قابله موقف طارئ وهو شكه فى عدد ركعات صلاته فماذا يفعل ؟ هل توقف عن أدائه للصلاة ويعيدها مرة أخرى ؟ وسيكون فى هذا عناء ومشقة للشخص الذى يكثر عنده الشك فما الحل؟

إن الإسلام أعطى للمصلى الذى يشك فى عدد ركعات صلاته تكيفاً سريعا لهذا الوضع يمكنه به من الاستمرار فى الأداء . هذا التكيف هو سجود السهو الذى هو تصحيح لما قد يقع فيه المصلى من خطأ . عن أبى سعيد الخدرى أن النبى (ﷺ) قال : " إذا شك أحدكم فى صلاته فلم يدركم صلى ثلاثا أم أربعاً ؟ فليطرح الشك وليبن على ما استيقن ثم يسجد سجدتين قبل أن يسلم ". [1]

وعلى هذا إذا شك المصلى فى عدد ركعاته بنى على الأقل المتيقن ثم يسجد للسهو سجدتين قبل ان يسلم . وإذا لم يتذكر المصلى النقصان أو الزيادة إلا بعد التسليم تكون سجدتي السهو بعد التسليم. وعند نسيان التشهد الأول، أو عند نسيان سنة من سنن الصلاة يسجد المصلى سجدتى السهو ثم يسلم . والرسول (ﷺ) يقول: (إذا قام أحدكم من الركعتين فلم يستقم قائما فليجلس وإن استمّ قائما فلا يجلس وسجد سجدتي السهو) .[2]

وينبهنا الأستاذ/ محمد إسماعيل عبده فيقول (يجب سجود السهو على المأموم إذا سجد إمامه ، وله أن يتخلف عن التسليم مع إمامه ويسجد وحده للسهو جبراً لإخلال وقع منه).[3]

---

(١) مسلم .
(٢) نيل الأوطار .
(٣) العبادات فى الإسلام .

- صلاة المريض :

الأصل فى الإنسان هو الصحة ، أما المرض فعارض يصيب حياة الإنسان . فهل إذا تغير حال الإنسان الصحى وأصابه عارض المرض يتوقف عن أداء الصلاة حتى يعود إلى حالته الصحية؟

الواقع أن الصلاة للمريض مثل ممتاز تعلمنا كيف يمكننا أن نتكيف مع الظروف المتغيرة بحيث نستمر فى أداء أعمالنا. فإذا انقطع للمصلى وتر من أوتاره الصحية واصل العزف على ما تبقى له من أوتار حتى يستمر لحن العبادة متصلاً.

ويقول الرسول (ﷺ) عن عمران بن حصين أن النبى (ﷺ) قال: صل قائما فإن لم تستطع فقاعدا فإن لم تستطع فعلى جنب ، وإلا فأوم .[1]

فالمرض لا يعتبر عائقا أمام المواظبة على الصلاة ، وطالما أن الإنسان يملك رمق الحياة فلابد من أن يستمر فى أداء الصلاة ، ويكيف نفسه على قدر طاقته الصحية فيحور الأداء كما علمه رسول الله (ﷺ) ليتكيف مع طبيعته الصحية التى يملكها . ومن ثم يستمر هدف هو أهم الأهداف ألا وهو الاتصال بالله .

أما عندما يفقد قدرته الصحية ويدخل فى غيبوبة . هنا يسقط عنه الأداء ، وإذا عاد إليه وعيه مرة أخرى ، فيعود إلى صلاته للطريقة التى تسمح بها صحته.

(١)سبل الإسلام .

❑ **صلاة الخوف :**

حتى فى الحرب لا تنقطع الصلاة ، وإنما يستمر أداؤها، ولكن بالطريقة التى يتكيف بها المحارب مع ظروف المعركة ، وقد حدد المشرع ثلاث حالات لهذا التكيف .

❖ **المرابطة:** وهى عملية تمهيدية يكون الجيش فيها مستعداً لأى هجوم، ولكنه لا يتوقعه سريعا وهنا تؤدى الصلاة بكامل هيئتها مع جواز الجمع بن الصلاتين وقصر الصلاة الرباعية .

❖ **التوثب:** وفى هذه الحالة تصل درجة الاستعداد إلى أقصى درجة للإحساس بأن المعركة أصبحت وشيكة الوقوع.

وهنا يضاف إلى الرخصتين السابقتين فى حالة المرابطة رخصة ثالثة وهى السير والتقدم أثناء الصلاة الجماعة . والله سبحانه وتعالى يقول:﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ﴾ .[1]

❖ **الالتحام:** وفى هذه الحالة تكون المعركة قد قامت فعلا . وهنا تقصر الصلاة ويصلى المقاتل كيفما أمكن ، قائما أو قاعدا أو منبطحا أى فى أى وضع يمكنه من أداء الصلاة ، دون الإخلال بمراعاة الحذر .

إذن الصلاة لا تتوقف حتى أثناء الاشتباك الفعلى . والمرونة تكون فى شكل الأداء ، حتى لا يتأثر العمل القتالى وتتأثر أيضاً سلامة المقاتل ،

---

(١)النساء ١٠٢ .

ومـن ثـم يسـتمر الحفـاظ علـى الصـلاة مـع ظـروفها المتغـيرة والله سـبحانه وتعـــالى يقــــول: ﴿ حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا ﴾.[1]

المسح على الخف او الجورب :

إذا كـان هـناك ظـروف مناخـية قاسـية كـبرودة الجـو الشـديدة ، أو إذا كـان الإنسـان مسـافراً أو إذا كـان مريضـاً ، وكلهـا متغـيرات حـياة تواجـه المصلى فهل هناك من وسيلة تساعده على التكيف فى أداء وضوئه ؟

أعطـى الإسـلام للمصـلى تكـيفا سـليما علـى هـذه الطـوارئ ، وهـذا التكـيف هـو رخصـة وتسـير ورحمـة مـن الله . إذ أن الإسـلام أعطـى المصـلى الحـق فـى أن يمسـح علـى الخـف أو الجـورب ، ولكـن لا يجـوز المسـح علـيها إلا إذا كـان الماسـح متوضـأ ولبسـهما علـى طهـارة ، وقـد حـدد المجـتهدون للمسـح أربعـا وعشـرين سـاعة المقـيم فـى بلدتـه ، واثنتيـن وسـبعين سـاعة للمسافر .

وهكـذا نـرى أن الصـلاة مدرسـة يمكـن أن يـتعلم فـيها المسـلم التكـيف السـليم مـع الظـروف المتغـيرة ، وإذا واجـه صـعابا أو موانـع وهـى تغـيرات موجـودة دائمـا فـى الحـياة فعلـيه التوفـيق بيـنها وبيـن إمكانـياته حتـى يتمكـن مـن الاسـتمرار فـى أداء الفريضـة فـتعلمه الصـلاة تعديـل سـلوكه كـى يـتلاءم مـع مـا يعـرض لــه مـن ظـروف وأحـداث ومواقـف جديـدة غـير منـتظرة ، وقـد قـال فيلسوف أغريقى قديم : (كل شىء يتغير إلا قانون التغير).

---

(١)البقرة (٢٣٨) .

فالتغير هو سنة الحياة وقانونها الدائم ، والمصلى فى تكيفه مع المتغيرات يمتاز دائماً بالمرونة التى نجدها فى شخصية المؤمن (رحم الله عبداً سمحا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى).

وهذه هى روح الإسلام فلا يراد بتكاليف الإسلام إعنات الناس وإيقاعهم فى الضيق والحرج والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾،﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾، ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ .

وفى السنة المطهرة (إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا) وما روى عن النبى (ﷺ) " ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً " .

❑ الاجتهاد :

مثال آخر للإسلام واضح فى التكيف هو الاجتهاد وعندما كان الاجتهاد مزدهراً يعنى ذلك مجد الإسلام ، أما عندما جف معينة أصبح المسلمون متخلفين .

✍ ولكن ما علاقة الاجتهاد بالصلاة ؟

إن الصلاة عبادة والاجتهاد هو التكيف لأداء عبادة أيضاً، أداء شريعة الله على الأرض . فكما أن الصلاة عبادة لا تتوقف أبداً ما دام المسلم يتنفس وليس فى غيبوبة كذلك الشريعة الإسلامية عبادة تحكم المجتمع المسلم ولا تتعطل أبداً.

ورأينا كيف أن المسلم عندما تواجهه ظروف متغيرة تحاول أن تعوقه عن عبادة الصلاة ، كيف يتكيف مع هذه الظروف المتغيرة بالتيمم أو القصر فى الصلاة أو غير ذلك من الرخص التى منحها الله له ، وعلمها له ورسوله الكريم .

كذلك على المسلمين أن يؤدوا عبادة تحكيم الشريعة ، ولكن تقابلهم الأحداث المتجددة والأماكن المختلفة ماذا يفعلون حتى يستمر أداء الشريعة ولا يتوقف ؟ يكون هناك تكيف مع الأحداث المتجددة والأماكن المختلفة ، هو الاجتهاد .

هناك هدف هو تحقيق العبادة ، وهذا هدف مقدس لابد من الوصول إليه والوسيلة إلى تحقيق هذا الهدف يمكن أن تتحور أن تتعدل حتى يمكن الوصول إلى الهدف . هذا التحور أو التعديل فى الوسيلة هو التكيف ، مثلما يحدث عندما نحور وسيلة الوضوء فى الصلاة من الماء التعذر استخدامه إلى التراب الموجود فى كل مكان ، وبالتالى لا يتوقف الإنسان عن الاتصال بخالقه فى الصلاة بسبب عائق هو تعذر استخدام الماء.

والتكيف لتحقيق الشريعة الإسلامية هو تعديل الأسلوب المتبع والمؤدى إلى تحقيق الشريعة مادام هذا الأسلوب يصطدم مع الأحداث المتجددة أو الأماكن المتغيرة . ولكن وهذا هو الأهم أن هذا التحوير أو التعديل فى الأسلوب يجب ألا يمس الهدف أبدا ، وإلا تناقض مع الأمر الإلهي صريح أنزل فى القرآن ، أو حديث صحيح فى السنة المطهرة.

ولو نظرنا إلى الشرع الإسلامى نجده المصدر الثابت الذى يحتوى على المبادئ العامة التى لا تتقوقع فى التفصيلات الجزئية ، اللهم إلا أمور العبادة التى لا يطرأ عليها تغير مثل الصلاة ونجد أن الفقه الإسلامى عبارة

عن القانون المتطور الذى يستمده الفقهاء من الشريعة ، وهو متطور لأنه يتكيف مع ظروف الناس المتغيرة فى كل عصر وفى كل مكان وبحيث لا يصطدم بالأصول الثابتة للشريعة والتكيف مع ظروف الحياة المتغيرة ، ذلك التكيف الذى يمكننا من أداء الشريعة يطلق عليه علماء الفقه الإسلامى (الاجتهاد) .

والاجتهاد يعبر عن حيوية المسلم بإذاء الإسلام وظروف الحياة المتغيرة ، لأنه يلائم بين متغيرات الحياة التى يعيشها المسلم وبين شريعته الإسلامية التى يؤمن بها ويعتبرها أساسا لحياته ، فمبدأ الاجتهاد فى الإسلام مبدأ نمو وحركة إلى الأمام ، وهذا المبدأ ناشئ من توجه الرسول (ﷺ) فيقول: " من أجتهد وأصاب فله أجران ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد" .

وعلى هذا نجد أن الإسلام يحث على الاجتهاد ويعطى له درجات التقدير حتى للذى يخطئ وذلك حتى يتمكن المسلم من أن يتكيف مع أى عائق أمامه من ظروف مستجدة أو أماكن مختلفة فيكيف نفسه مع هذا كله بما يتلاءم مع الشريعة الإسلامية وبهذا يضمن الإسلام لنفسه النمو والازدهار والحركة عبر الزمان . وهذا ما عبر عنه أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز " يجد للإنسان من الأقضية بقدر ما يجد له من أقضية ".

وإن علماء القانون أجمعوا على أن الشريعة الإسلامية مرنة وقابلة للتكيف مع الظروف المتغيرة والأحداث المتجددة ويقول الدكتور محمود الشافعى فى ذلك :

١-اعترف المؤتمر الدولى للقانون المقارن الذى انعقد بلاهاى سنة ١٩٣٢ بأن الشريعة الإسلامية مرنة ، قابلة للتطور وأنها إحدى الشرائع

بسم الله الرحمن الرحيم

عبد الرزاق نوفل

أخي في الله

السيد الاستاذ محمد جمال الهاشمي

تحية طيبة وبعد

فلقد تسلمت خطابكم وكتابكم وكم اسعدني انه سيتعقب هذا الكتاب إذ يزداد عدد الدعاة إلى الله والاسلام بالقلم ... وتنضم إلى الصفوة الطاهرة التي كرست جهدها وحالها في سبيل الدعوة الاسلامية ادعو الله لكم بالتوفيق وأن يجد هذا الكتاب بالكثرة على ... ونتائج مثمرة ان شاء الله

ولقد اعجبني الكتاب حقا. فهو اضافة كانت ضرورية لما كتب من قبل عن الصلاة لا سيما وقد جمع الكتاب عديد آيات القرآن واستنتاجات الابحاث العلمية الحديثة في موضوع يعتبر الاصل والاساس في العبادة الاسلامية. كتب الله لك بعدد ما جهدت وجهدت ثوابا وغفرانا وفتح الله عليك دائما وابدا ونشر الدعوة على يديك والى مزيد من الانتاج الموفق النافع ان شاء الله

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اخوك

١٢/١٢/١٩٨١



الاجتهاد ليكونوا أئمة لمن يجئ بعدهم ، وذلك ليطمئن على قدرتهم على الاجتهاد .

وعندما أكتفى المسلمون بالتقليد فقط تحرك الآخرون وبقوا هم جامدين فى مكانهم تزدهر الحضارة فى الدول الأخرى حولهم ، وهم يعيشون عالة عليها .

وضاعت أصالة الفكر الإسلامى ... ووقف المسلمون عند دور الببغوات فى التقليد وأصبحوا تائهين يقلدون الشرق مرة فيفشلوا ثم يقلدون الغرب مرة أخرى فيفشلون أيضاً ، وتكون الحصيلة مسخ مشوه .

ألا عودة لروح الإسلام ألا عودة للنبع الصافى نرتوى منه أصالة الفكر ، ونمو الحركة للإمام لنلحق بركب الدول المتقدمة التى وطأت ارض القمر ونحن نخوض فى ترع البلهارسيا .

❑ انتقال اثر التكيف فى الصلاة :

إذا كانت روح الصلاة هى الأساس لا حركاتها فإنه يجب علينا أن نجعل هذه الروح تشع فى كل حياتنا ، بمعنى أنه علينا أن ننقل أثر اتجاه المرونة وتكيفنا مع الأحداث المتغيرة الموجودة فى الصلاة إلى كل سلوك فى حياتنا فتؤدى كل أعمالنا بمرونة ، وكل موقف متغير يطرأ لنا نتكيف معه فلا يصبح عائقاً أمامنا فلا تتوقف حياتنا ، ولا تجمد فى مكاننا .

وقد اثبت علم النفس أنه يمكن أن ينتقل أثر التعلم ، فتعلمنا التكيف مع المتغيرات فى الصلاة يمكن أن ينتقل أثره إلى مواقف الحياة المختلفة ، فيمكن انتقال أثر عادة من مجال إلى مجالات أخرى كعادة النظام أو النظام من البيت إلى المدرسة أو من المدرسة إلى البيت . وكذلك فإن التكيف مع الأحداث عادية عقلية يمكن أن ينقل أثرها من الصلاة إلى كل أحداث الحياة.

فـأى ظـرف متغـير فـى الحـياة يواجهـه المسـلم ويقـف حائـراً أمامـه لتحقـيق هـدف مـن أهدافـه يشـبه تمامـا مـا يواجهـه المصـلى عـندما يفقـد المـاء أو عند المرض أو عند أى متغير آخر .

فعلـيه فـى الحالتيـن أن يتكـيف مـع الظـروف المتغـيرة ليسـتمر فـى تحقـيق هـدف العـبادة الأولـى ، أو هـدف مـن أهدافـه الأخـرى، ويقـول الدكـتور/أحمـد عـزت راجـح " انـتقال أثـر طـريقة مـن طـرق الـتعلم : فـتعلم استذكار مـادة دراسـية معيـنة بالطـرق الصـحيحة للاسـتذكار قـد ينـتقل أثـره إلـى مـواد أخـرى ، وتعلـم اسـتخدام الأسـلوب العلمـى فـى المدرسـة قـد يدعـوا الفـرد إلى استخدامه لحل ما يلقاه من مشكلات خارج المدرسة .

فمـن الشـروط الأساسـية لانـتقال أثـر تعلـم التكـيف فـى الصـلاة إلـى مواقـف الحـياة المخـتلفة هـو التشـابه بيـن أسـلوب معالجـة العوائـق الـتى تعـترض إقامـة الصـلاة وأسـلوب معالجـة العوائـق الـتى تعـترض تحقـيق أهدافـنا فـى الحـياة ، ويقـول الدكـتور أحمـد عـزت راجـح فـى الشـروط الموضـوعية لانـتقال أثـر الـتعلم والتدريـب " تشـابه محـتويات وعناصـر المـادة أو المهـارة الأولـى مـع محـتويات وعناصـر المـادة أو المهـارة الثانـية فـتعلم الجمـع ينـتقل أثـره إلـى تعلـم الضـرب لأن الضـرب يتضـمن الجمـع . كذلـك الحـال فـى الرياضيات والطبيعة أو القانون والمنطق " .

- ❑ <u>التقليد الأعمى وسوء تكيف :</u>

إن كـل شـىء تنـتجه أوربـا أو أيـة دولـة أخـرى فـى العـالم مـن فكـر أو مصـنوعات لـيس بالضـرورة صـالحا لـنا ، لأنـنا نخـتلف فـى الكثـير عـنهم ، ولأن مـا يحـتاجه هـو الـذى يسـهل عملـية التكـيف مـع البيـئة الخاصـة بـنا ، ولـيس

معنى هذا رفض كل ما تنتجه الدول المتقدمة ، بل إننا مطالبون بالبحث عما ينفعنا منها وهو الذى يسهل لنا عملية التكيف مع ظروفنا الخاصة .

وإذا ما كان الإسلام يوجب الطهارة فإن مجارى الفضلات تحت الأرض واستخدام المواسير واستخدام الصنابير وإدخال ذلك كله إلى المساجد هو تكيف سليم لتحقيق هدف الطهارة .

بالمثل كل ما نحتاجه لخدمة أهدافنا .

وإذا جعلت أوروبا من السينما والتليفزيون أجهزة لنشر أفلام الإثارة الجنسية والعنف ، فإننا يمكننا أن نستخدم هذه الأجهزة ونعرض فيها الأفلام التى تساعد على نشر الثقافة التى لا تتعارض مع مفاهيمنا الإسلامية الأساسية وتساعد على توعية الناس .

هكذا دائماً نؤخذ ما يساعدنا على أن نتكيف تكيفاً سليماً فنلائم بين معتقداتنا وبين واقع الحياة ، وبالتالى تبدو بوضوح أصالتنا الفكرية ، لأن الحياة التى لا يتفق فيها السلوك مع المبادئ حياة غبية ، وهى أيضاً حياة مريضة لأنها منقسمة على نفسها .

يمكن إيجاز ما تقدم فى النتائج الآتية : -

١-التكيف السليم لمواجهة ظروف الحياة المتغيرة هو المرونة والنمو والنجاح .

٢-الصلاة مدرسة تعلم التكيف السليم ، فالصلاة إصرار على الاستمرار فى العبادة رغم التغيرات التى تعوق أدائها من مرض وسفر وحرب وغيرها.

٣-لأن روح الصلاة هى الأساس لا حركتها ، فانتقال روحها إلى أعمالنا المختلفة هو صدق العبادة .

٤-التيمم هو التكيف لاستمرار الصلاة رغم عائق الماء .

٥-الجمع في الصلاة والقصر في عدد ركعاتها ، هو التكيف أمام طارئ السفر .

٦-المرونة في أداء الصلاة حسب الإمكانيات الصحية للمريض سواء كانت بالصلاة جالسا أو على جنب أو إيماء هو التكيف أمام عائق المرض .

٧- حتى مواجهة الموت في الحرب ليست عائقا يمنع أداء الصلاة ، وغنما هناك تكيف في أسلوب أدائها حسب ظروف الحرب من مرابطة أو توثب أو التحام .

٨-التكيف السليم للظروف المتغيرة عادة عقلية يمكن أن ينتقل آثارها من الصلاة إلى كل أحداث الحياة .

٩-إن التقليد الأعمى لما تنتجه أوربا هو سوء تكيف لما يتلاءم مع ظروفنا الخاصة .

١٠-الصلاة تعلم التكيف السليم ، والاجتهاد هو تكيف سليم مع ظروف الحياة المتغيرة لتحقيق الشريعة الإسلامية .

١١-الفقه هو القانون المتطور الذى يستمد من الشريعة " أى أنه حصيلة الاجتهاد ، والشريعة هى الأصل الثابت الذى يحتوى على المبادئ العامة .

١٢-الاجتهاد هو التكيف مع ظروف الحياة المتغيرة الذى يمكننا من أداء الشريعة دون الاصطدام بالأحداث المتجددة أو الأماكن المختلفة .

١٣-الإسلام يحث على الاجتهاد ويعطى له درجات التقدير حتى للذى يخطئ، لأن مبدأ الاجتهاد فى الإسلام مبدأ نمو حركة.

١٤-استمر النمو والحركة فى الفكر الإسلامى حتى بلغ قمته فى نهاية القرن الثالث الهجرى ، ثم قفل باب الاجتهاد وأكتفى المسلمون بالتقليد وتجمد فكرهم .

١٥-العودة إلى روح الإسلام والاجتهاد عودة للحياة الإسلامية الصحيحة النامية والقوية .

الباب الثاني

الصلاة والحيوية

(أ) الصلاة والنفس

- حتى لا ينسون أنفسهم فيضيعوها.
- تنمية الثقة في النفس.
- مقاومة التـوتر.
- مقاومة الخوف.
- التوازن النفسي.
- دعوى للأمل المتجدد.
- سكينة النفــس.



الصلاة والحيوية

إن هناك علاقة بين الجسم والنفس ، وبين الجسم والعقل ، وبين النفس والعقل، والحيوية هى محصلة النمو فى القوة النفسية والقوة الجسدية ، والقوة العقلية .

وإن أى اضطراب فى هذه العناصر الثلاثة سوف يؤثر فى العنصرين الآخرين وبالتالى يؤثر فى حيوية الإنسان .

لذلك لابد من مناقشة علاقة كل عنصر من العناصر الثلاثة بالعنصر الآخر أولاً ، وثانياً علاقة ذلك كله بالصلاة .

ولماذا الصلاة ؟ .. لأن الصلاة سلوك راسخ ومواظب عليه فإذا أثرت الصلاة فى العناصر الثلاثة السابقة ، فهى بالتالى تؤثر فى حيوية الإنسان .

❑ **العلاقة بين الجسم والنفس :**

هذه العلاقة أصبحت حقيقة علمية وفى أحدث فروع الطب الآن وهو الطب " السيكوسوماتيك " لا يكتفى به فى علاج العصب العضوى بل علاج النفس والجسم فى آن واحد ، وهناك أطباء متخصصون فى هذا المجال خاصة فى أمريكا وإن أشهر الأمراض التى تعالج بهذه الطريقة ضغط الدم ، وقرحة المعدة ، المياه الزرقاء ، والصداع المزمن وغيرها كثير .

ولذا فإن النفس عندما تكون سليمة فإنها لن تفرز مرضا عضويا ، والجسم أيضاً يؤثر فى النفس فمن منا كان مريضاً بمرض ميكروبى وكان مرتاحا نفسيا لذلك ، فمن المؤكد أن رمش الجسم يؤثر فى النفس.

❑ الجسم والعقل :

قديما قالوا " إن العقل السليم فى الجسم السليم " وكان هذا اكتشافا مبكراً لعلاقة العقل بالجسم ، وعلى حسب الأفكار التى أجريت فى كتاب سيكاوجية القوة كما ذكرها " ديل كارينجى " والتى أثبتت أثر العقل فى التأثير على الجسم بالإيحاء .

كذلك إذا كان هناك مرض بالجسم أو حتى إرهاق له فإن العقل لا يعمل كما ينبغى ، وأبسط دليل على ذلك عندما يصاب الإنسان بالأنفلونزا فإنه يصاب بنوع من الدوار يجعل العقل لا يقوم بدوره خير قيام . والتجارب أثبتت أن الطلبة الذين يتمتعون بصحة جسدية تحصيلهم العلمى أفضل من الطلبة الذين يتمتعون بصحة جسدية أقل ، ولذلك كانت هناك الرعاة الطبية فى المدارس .

❑ النفس والعقل :

هناك تميز بين النفس العقل ، ونجد هذا واضحا فى الاختلاف بين المرض النفسى والمرض العقلى ولكن العلاقة بين النفس والعقل مؤكدة. إن العقل الذى يمتلئ بأفكار البهجة والتفاؤل والأمل سوف يجعل النفس تعيش مشاعر الانشراح والسرور ، والعقل الذى يمتلئ بالأفكار السوداء والتشاؤم لابد وأن يؤثر فى النفس فيلقى عليها ظلالا من الكآبة السوداء .

لا يمكن أن يكون هناك عقل مرتب الفكر وإيجابى الحركة ، وواضح الهدف ونجد أن النفس فى هذه الحالة ممزقة ومشاعرها هدامة .

ولقد خرج أطباء كبار بأسلوب للعلاج عن طريق العقل ، بعد أن اكتشفوا القوة الشافية الموجودة فيه . وكتاب (عقلك مصدر الصحة والمرض) يعالج هذا الموضوع ، وخطته فى هذا الموضوع أن يبدأ عن طريق العقل ليعالج النفس والجسم فيدرس ما يدور فى العقل من أهداف وأحلام يقظة ، وأحلام ، واهتمامات حتى يمكن إصلاح أى عطب فكرى فى العقل وضبط " فراملة " حتى لا تسبق تطلعاته قدراته فيمزقه الإحباط ، فإن فهم العقل والسيطرة عليه يمد الإنسان بقدرات هائلة .

نخلص من هذا أن الإنسان وحده واحدة جسم ونفس وعقل ، والتعامل السليم معه يجب ان يضع فى حسابه هذه العناصر الثلاثة التى تقاس بها حيوية الإنسان ، وإن أية قوة أو ضعف فى أى عنصر للفرد سوف يؤثر فى العنصرين الآخرين ليغير من محصلة حيويته . وكمثال نجد أن (الأنفلونزا) وهى مرض بسيط لا يؤثر على الجسم فقط وإنما يؤثر على النفس والعقل أيضاً ، وبالتالى لن نجد المصاب بها ممتلئا حيوية .

والآن وبعد هذه المقدمة يجب مناقشة تأثير الصلاة على كل عنصر من هذه العناصر الثلاثة .

الصلاة والنفس

الصلاة تجعل الإنسان لا ينسى نفسه فيضيعها ، وتنمى الثقة وتقاوم التوتر والخوف وتحفظ النفس توازنها . وتمنحها الأمل المتجدد وتصل بها إلى السكينة .

❑ **حتى لا ينسون انفسهم :-**

الصلاة صلة بالله تشمل حياة المصلى كلها ، من مطلع يومه حتى انتهائه ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾[1]. وهى صلة مباشرة ليس فيها آية واسطة . فعندما تلقاها الرسول (ﷺ). لم يتلقها عن طريق وسيط ، وإنما تلقاها من الله مباشرة وبهذا تتميز الصلاة عن أى تكليف آخر من الله لعباده التى جاءت كلها عن طريق الوحى وعلى الأرض .

البعد جفوة كما يقولون وإن الذى يقطع حبل اتصاله بالله وذلك بإهمال الصلاة فإنه ينسى الله فلا يتذكره إلا فى أوقات الشدة وهنا فقط يتذكر ، وحتى الذين يصلون وهم ساهون عن معنى الاتصال بخالقهم ، وقال الله فيهم ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾[2] ، إنهم لا يتصلون حقا بالله ، وإنما هم غافلون عنه ولذلك قال الله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾.[3]

---

(١) البقرة .
(٢) الماعون .
(٣) طه .

" حين تستنفذ الخطوب كل قوانا أو تسلبنا الكوارث كل إرادة غالباً ما تتجه ى غمره اليأس إلى الله فماذا بالله ننتظر حتى يتولانا اليأس ؟ لماذا لا تجدد قوانا كل يوم بالصلوات والحمد والدعاء . "[1]

هذا البعد والنسيان عن الاتصال بالله فى صلواته هو الذى جعل الإنسان ضائعاً وحيدا فى الحياة . ويقول " وج ما كبريد عالم النفس " إن الاعتقاد يزداد اليوم بأن معظم حالات المرض النفسى ترجع إلى هذه الحقيقة وهى أن فقدان الثقة بالله يفقد الإنسان ثقته بنفسه ومن حوله وضعف هذه الثقة يجعل الإنسان عندما تواجهه أزمة من الأزمات أو مشكلة لا قوة له على احتمالها يلتمس سبل اليأس فليلتجئ إلى الشراب والمخدرات والانتحار ، وقد يصل به الأمر إلى الجنون.[2]

وليس غريبا أن تحمل إلينا الأنباء أن معدل الانتحار والجنون مرتفع جداً فى البلدان المزدهرة ماديا ، ولكنها لا تهتم بالناحية الروحية مثل البلد الذى وصل فيه مستوى معيشة الفرد إلى أعلى مستوى فى العالم وهى السويد . ومن أين يتأتى لهؤلاء المرضى الثقة بالله ، إلا إذا واظبوا على الاتصال به بالصلاة ؟ ولذلك نجد أن هناك فرقا واضحاً بين حال المؤمن وحال الملحد .

وهناك بوصلة تحدد للمؤمن اتجاهه فى الحياة حتى لا نسى الله ، فهو دائم الاتصال به فى صلاته فيعرف نفسه وحقيقة وجوده ومصيره، وماذا يبغى من الحياة.

أما الملحد فيعتقد أنه جاء من العدم وإن كل ما حوله من مخلوقات أوجدتها الصدفة العمياء لا يعرف بالضبط أين هو من هذا الكون ؟ تائه وغارق فى مادياته ، وتبتلعه دوامة شهواته الحسية وهى الحقيقة التى لا

---

(١) دع القلق .
(٢) الخوف .

يعرف ولا يعترف إلا بها ، فإذا قابله موقف لا يقدر عليه ضاع والتمس الحلول الهروبية . ويلخص القرآن الكريم هذا المعنى : ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾.

❑ تنمية الثقة بالنفس :-

الصلاة بها ثلاثة عناصر أساسية تنمي الثقة بالنفس وهي :

الثقة بالله، والعناية بالمظهر، والقضاء علي العزلة الاجتماعية، وبناء العلاقات الاجتماعية السليمة.

الثقة بالله هى التى تقوى الثقة بالنفس ، والصلاة هى الرابطة التى تقوى من ثقة المخلوق فى خالقه لأنه بمداومة الصلاة وهى أساس العبادة فى الإسلام يصل الإنسان إلى اليقين ، ولذا فالصلاة بالضرورة تنمى ثقة الإنسان فى نفسه . وهذه الحقيقة قال بها " وج ما كبريد عالم النفس " إن فقدان الثقة بالله يجعل الإنسان يفقد ثقته بنفسه وبمن حوله.[1]

والصلاة تعنى الاعتناء بالمظهر قال الله تعالى : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾.[2] وليس معنى ذلك المغالاة فى الاهتمام بالمظهر ولكن الاعتناء بنظافة الثوب وحسن المظهر .

وعن جابر بن عبد الله " أتى رسول الله (ﷺ) رجل عليه ثياب وسخة فقال " أما يجد هذا ما يغسل به ثوبه "[3] وكان الرسول (ﷺ).

---

(١) الخوف .
(٢) الأعراف .
(٣) أبو داود .

يحرص على أن يكون المسلم حسن المظهر ولذلك قال (ﷺ) " من كان له شعر فليكرمه".[1]

والمظهر جزء مهم فى الصورة الاجتماعية ، وإذا كان هذا المظهر حسناً دون تطرف فى ذلك يعطى إحساساً بالثقة بالنفس والاعتناء بالمظهر عند كل صلاة يعطى للمصلى المواظبة على الاهتمام بمظهره فيصبح المظهر اللائق صفة ثابتة من صفاته ، فلا يكون قلقا على هندامه ومظهره(فلا تهتز شخصيته) والرسول الكريم ﷺ يقول" إن الله جميل يحب الجمال ".[2]

وفى صلوات الجمع والأعياد يحرص المسلمون على الذهاب إلى المساجد وهم مغتسلون وبأفضل ما عندهم من ثياب .

تتيح الصلاة للإنسان اللقاء المواظب عليه مع جماعة المصليين ، فيتعلم كيف يعامل الناس ويعرف ما يحبون وما يكرهون ، فلا يكون منعزلا عنهم بل يخالطهم ويتصل بغيره من الناس ، وإن صلاة الجماعة ضرورية فى الإسلام . فصلاة الجمعة لا تصلح إلا جماعة ، وثواب الجماعة أكبر من ثواب الفرد بكثير ، والله سبحانه وتعالى خلق الناس ليتعارفوا ويقيموا بينهم الروابط الاجتماعية ويقول سبحانه فى كتابه الكريم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾[3]
والمجال الأمثل لاكتساب الثقة بالنفس يكون فى خضم الناس ومعرفة كيفية الاتصال بهم والتعامل معهم ، فمعرفة ماذا يحب الناس وماذا يكرهون يزيد

---

(١) نيل الأوطار .
(٢) مسلم .
(٣) الحجرات .

مـن ثقـة الإنسـان فـى نفسـه، ولـذا نـرى أن الفـرد الاجـتماعى يتمـتع بـثقة فـى النفس أكثر من الشخص الإنطوائى الذى لا يهتم بالناس .

مقاومة التوتر :

تكـاد تكـون مـن طبـيعة الإنسـان صـفة " الاسـتعجال " ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾[1] . والرغبة فـى اكتشـاف المجهـول وعبور حواجز اللحظـة الحاضـرة ، تـوّاق دائمـا أن يعبر الجسـور قبل أن يصل إليها . عـندما يكون طفلاً يـتوق إلى أن يصل إلـى مرحلة الشـباب اليانع ، وعندما يصل إلـى مـرحلة الشـباب تجذبـه آمـال الـرجولة والـزواج وتشـده الرغـبة أن يجـد أطفالـه قـد كـبروا ، وعـندما يصـل إلـى مـرحلة مـتقدمة فـى السـن يجـد أن الحـياة كـان أجـدر لـه أن يحـيا كـل دقـيقة فـيها ويعتصر كـل لحظـة فـيها فيوفـيها حقـا ، بـدلاً من أن يعيش فى لهفة فى المستقبل .

والله سـبحانه وتعـالى يشـير إلـى هـذا المعـنى فـى قـرآنه الكـريم ﴿ وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولاً ﴾.[2]

وصـمام الأمـن الـذى يعـيد للإنسـان توازنـه فـلا يسـرف فـى اللهفـة والعجلـة فـى أمـره هـو الصـلاة . ولكـن ليسـت أيـة صـلاة الاطمـئنان وهـى الصلاة التى أمرنا بها رسول الله ﷺ وقال " صلوا كما رأيتمونى أصلى".[3]

وليسـت الصـلاة المـتعجلة السـريعة وكـأن المصـلى فـيها فـى سـباق مـع نفسـه وهـى الـتى سـماها . الرسـول ﷺ " بـنقر الغـراب " وتعتـبر صـفة نقـر الصلاة من علامات النفاق " .

---

(١) الأنبيـاء.
(٢) الإسراء .
(٣) البخارى .

" وعن أبي عبد الله الأشعرى قال : رسول الله ﷺ بأصحابه ثم جلس فى طائفة منهم فدخل رجل منهم فقام يصلى، فجعل يركع وينقر فى سجوده ، ورسول الله ﷺ ينظر إليه فقال " ترون هذا لو مات مات على غير ملة محمد : ينقر صلاته كما ينقر الغراب الدم ".

وقد جعل رسول الله ﷺ لص الصلاة وسارقها شرا من لص الأموال وسارقها ففى المسند من حديث أبى قتادة قال رسول الله ﷺ " أسوأ الناس سرقة الذى يسرق من صلاته ، قالوا: يا رسول الله كيف يسرق صلاته ؟ قال " لا يتم ركوعها . ولا سجودها أو قال لا يقيم صلبه فى الركوع والسجود ، فصرح بأنه أسوأ حالا من سارق الأموال ولا ريب أن لص الدين شر من لص الدنيا .

وفى المسند من حديث سالم عم سليمان الفارسى قال : قال رسول الله ﷺ " الصلاة مكيال، فمن وفى وفى له ومن طفف فقد علمتم ما قال الله فى المطففين" . وقال مالك وكان يقال : فى كل شىء وفاء وتطفيف فإذا توعد الله سبحانه بالويل للمطففين فى الأموال فما الظن بالمطففين فى الصلاة ؟.[1]

وصلاة الاطمئنان تدريب منتظم ومواظب عليه فى عدم اللهفة فى الوصول إلى النتيجة وهى الانتهاء من الصلاة ، وإنما صلاة تؤدى بتأن واتزان ، حتى لا يسرق المصلى خشوعه ويصيب النفس بالتوتر ، وسوف تنتقل صفة الاطمئنان فى الصلاة إلى الأعمال الأخرى فتؤدى بتأن وتقضى بالتدريج على اللهفة فى إنجاز الأعمال . ومن كلمات الأديب وليم شكسبير " بحكمة وببطء فمن يجرى بسرعة يتعثر " .

---

(١) الصلاة وحكم تاركها .

والرسـول ﷺ يطلـب مـنا صـلاة الاطمنـنان فـيقول " إذا قمـت إلـى الصـلاة فأسـبغ الوضـوء ثـم اسـتقبل القـبلة فكـبر ثـم أقـرأ مـا تيسـر معـك مـن القرآن ثـم أركـع حتى تطمئـن راكعا ثـم ارفـع حتى تعتدل قائما ، ثـم أسـجد حتـى تطمئـن جالسـاً ، ثـم ارفـع حتى تطمئـن جالسـا ، ثـم اسـجد حتـى تطمئـن ثـم افعل ذلك فى صلاتك كلها ."[1]

ويقـول " جوزيـف كـندى " مؤلـف كـتاب عـش هـادئ الأعصـاب " ولـيس مـن الضـرورى أن يكـون التسـرع مرتـبطا بـأداء عمـل مـا بحـركة سـريعة فقـد يكـون صـفة مـن صـفات سـلوكك الشخصـى ، فقـد تتسـرع وأنـت جـالس علـى مقعـدك تكـاد لا تـؤدى أى عمـل ، وقـد تتسـرع وأنـت واقـف تـنتظر الأتوبـيس علـى المحطـة وقد تتسـرع وأنـت متسـلق عملـي فراشـك فـي اللـيل فـي الوقـت الـذي ينبغـي أن تسـترخي فـيه. والتسـرع فضـلا علـى أنـه يـزيد مـن توتـرك فإنـه يقلـب موازيـن وظـائف أعضـاء جسـمك وهـو لا يحقـق فـى العـادة الهـدف الـذى كنـت تعتقد أنـه سييسـر لـك الوصـول إلـيه. فلـيس مـن المضـمون أبـدا أن تـتم العملـية التـي كنـت بسـببها فـى سـرعة بـل علـى العكـس قـد يؤخـرك التسرع عن إتمامها". [2]

وبعـد إن وصـل مؤلـف عـش هـادئ الأعصـاب إلـى نفـس المعنـى الـذى ينصـحنا بـه الرسـول ﷺ مـن قـبله بكثـير " المنبـت لا أرضـا قطـع ولا ظهـرا أبقـى " نجـده يطلـب مـنا التدريـب علـى أداء الأعمـال بأنـاة وهـو مـا يسـميه الرسـول ﷺ بالاطمئـنان فـى الصـلاة ، ومـا يسـميه هـذا الكاتـب بالتـباطوء المتعمد فى أداء الأعمال ، أليس أفضل تدريب هو الاطمئنان فى الصلاة ؟ .

(١)البخارى .
(٢)عش هادئ الأعصاب .

والصلاة التى تؤدى باطمئنان هى متقنة الآداء ، فالاطمئنان فى الصلاة أو فى أى عمل هو الخطوة الأولى فى إتقانه لأنه لا يتبع معه أسلوب (سلق البيض) والرسول ﷺ يقول: " إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه " .

❑ **مقاومة الخوف :-**

الصلاة تقف سدا منيعا أمام الخوف . إن الذى يعرف شخصية هامة بلغة البشر أو يكون له قريب يشغل منصبا كبيرا فإنه يشعر بظهر يحتمى به ، فما بالك بالذى هو دائم الاتصال بالله بصلاته ، فمن يخاف وهو مع الله ، أيخاف من مخلوق مثله ؟ هذا غباء ما بعده غباء.

قال رسول الله ﷺ " احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله ، وأعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك وإن اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف "[١] ويقول الله سبحانه وتعالى ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾.[٢]

وكون الصلاة تقاوم الإحساس بالخوف ، وهو أسوا المشاعر الإنسانية ، فهذا نصر صحى فى حد ذاته كيف ؟ .

---

(١) الترمذى .
(٢) التوبة.

" يقول ديل كارنيجى" ، فإن الخوف يسبب القلق ، والقلق يسبب توتر الأعصاب واحتداد المزاج ، ويؤثر فى أعصاب المعدة ، ويحيل العصارات الهاضمة إلى عصارات سامة ، تؤدى فى كثير من الأحيان إلى قرحة المعدة .

ويضيف ابن الربح الذى يشترى الإنسان نجاحه بقرحة المعدة ؟ وما الذى يفيده المرء إذا كسب العالم وخسر نفسه.[1]

إن المصلى يحمد الله مهما كانت الظروف التى يمر بها فالإيمان بالقدر خيره وشره جزء من الإيمان ، وهذا هو التسليم لله والرضا بما ليس منه بد والمناجاة فى الصلاة ليس لرد القضاء وإنما للطف فيه.

ويقول وليم جيمس عالم النفس الأمريكى الشهير " كن مستعدا لتقبل الأمر فإن تقبل الأمر الواقع خطوة أولى نحو التغلب على ما يكتنف هذا الأمر الواقع من صعاب. [2]

أحدث العلوم- وهو الطب النفسي- يبشر بمبادئ الدين. لماذا؟

لأن أطباء النفس يدركون أن الإيمان القوى ، والاستمساك بالدين والصلاة كفيلة بأن تقهر القلق ، والمخاوف والتوتر العصبى وأن تشفى أكثر من نصف الأمراض التى نشكوها . نعم إن أطباء النفس يدركون ذلك وقال قائلهم " أ . بريل إن المرء المتدين حقا لا يعانى قط مرضا نفسيا .[3]

والله سبحانه وتعالى ينبهنا إلى تأثير أثر العبادة وعمادها الصلاة فيقول الله تعالى ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ وَاعْبُدْ

(١) دع القلق .
(٢) نفســـه.
(٣) نفس المرجع.

رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾[1] . فكلما زادت صلة المخلوق بخالقه بالعبادة كلما وصل إلى قدر أكبر من اليقين ، وهذا اليقين هو القادر على طرد الخوف من النفوس ويقول الله تعالى ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾[2] فذكر الله فى الصلاة يطمئن النفس ويطرد ما بها من خوف .

وبعد سنوات طويلة من التجارب والدراسة فى علم النفس العلاجى يقول عالم النفس الانجليزى دكتور " هاد فيلد " نحن نحتاج إلى اليقين من أجل التغلب على الخوف الذى تمتلئ به نفوسنا . ولو أن إنساناً خاف الحياة فهل تستطيع قوة على ظهر الأرض أيا كان اسمها أن تحول ما لديه من خوف إلى ثقة وعزم وشجاعة ؟.[3]

وإلى مثل هذا الرأى ينتهى أحد كبار علماء النفس " يونج " إن ما يعانيه مريض النفس إنما هو نتيجة فقدان هذا القدر من اليقين الذى يمنحه الدين لمعتقديه وإن شفاء الواحد منهم مرده إلى الدين[4] وفى الحديث الذى أخرجه الترمذى " أيها الناس سلوا الله اليقين والعافية فإنه لم يعط بعد اليقين خيرا من العافية فسلوهما الله " .

فليس عجيباً إذا ما سمعنا أنه فى السويد يفكرون فى إقامة مستشفيات للانتحار بدون ألم بعد ارتفاع نسبة المنتحرين بسبب أنهم فقدوا اليقين الذى يمنحه الدين لمعتقديه ، وإلا ما خافوا الحياة إلى هذا الحد وهم يتمتعون بأعلى مستوى معيشة من البشر .

وكثير من البشر راودتهم فكرة الانتحار وما منعهم من تنفيذ ذلك إلا قدر من اليقين ، منحه لهم إيمانهم بوجود إله يحتمون به ، ووجود

---

(١) الحجر .
(٢)الرعد .
(٣)الخوف .
(٤)نفس المرجع السابق .

اليوم الآخر ، فإذا حلوا مشكلة الحياة بالانتحار فإن هذا الحل لا يدوم إلا لحظة ثم يبدأ عذاب الخلود .

❑ **التوازن النفسي :-**

الصلاة عملية تفريغ شحنات انفعالية ثقيلة على النفس خاصة أثناء السجود والرسول ﷺ يقول " أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء "[1] . ويقول الله سبحانه وتعالى:﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾.[2]

فأثناء السجود تكون المناجاة الخاشعة الخالصة التى ليس فيها رياء فالمصلى يقوم بتفريغ الهم الذى يمتلئ به صدره فى كلمات يعبر بها عما يثقل على نفسه وإن علم النفس يؤكد أن الذى تنوء بكاهله المتاعب سوف يجد راحة الصدر عندما يشاركه صديق له فى سماع مشكلته ، فما بالك وانت تشكو فى سجودك إلى الرحمن الرحيم ، القادر على كل شىء وإن فى شكواك إليه تقربا وفى دعائك له ثواب الطاعة فكيف تهجر القوى لتشكو إلى ضعيف مثلك ؟ وهناك قول متداول والشكوى لغير الله مذلة ، لماذا ؟ لأن الذى يداوم على الشكوى نفر الناس منه بطبيعتها تكره سماع الآلام بينما الشكوى إلى الله عبادة وعلاج فى نفس الوقت .

وقال الدكتور " الكسيس كاريل " لعل الصلاة هى أعظم طاقة مولدة للنشاط عرفت إلى يومنا هذا . وقد رأيت بوصفى طبيباً كثيرا من المرضى فشلت العقاقير فى علاجهم فلما رفع الطلب يده عجزاً وتسليما ، تدخلت الصلاة فأبرئتهم من عللهم إن الصلاة كمعدن " الراديوم " مصدر للإشعاع ومولد ذاتى للنشاط .. وبالصلاة يسعى الناس إلى استزادة نشاطهم

---

(١) مسلم .
(٢) العلق .

المحدود حين يخاطبون " القوة " التى تهيمن على الكون ويسألونها ضارعين أن تمنحهم قبسا منها يستعينون به على معاناة الحياة بل إن الضراعة وحدها كفيلة بأن تزيد قوتنا ونشاطنا ، ولن تجد أحدا تضرع إلى الله مرة إلا عاد التضرع عله بأحسن النتائج".[1]

وطلب الله سبحانه وتعالى من رسوله الكريم حتى يعالج مشاعر الضيق التى يضيق بها صدره بما يقول المشركون- أن يواظب على الصلاة ، وبعد أن قال سبحانه ولقد نعلم أنك يضيق صدرك مما يقولون .. قال سبحانه ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾.[2]

ويعطينا الله سبحانه وتعالى سلاح الصلاة ، ليكون من أهم الأسلحة فى مواجهة شدائد الحياة ومواقفها الصعبة فيقول سبحانه ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾[3] ولكن هذا السلاح لا يستطيع أن يستخدمه إلا الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ولذلك فالله سبحانه وتعالى يقول :
﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾.[4]

ويقول " ابن الجوزية " فإنما كبرت على غير هؤلاء لخلو قلوبهم من محبة الله تعالى وتكبيره وتعظيمه والخشوع له وقلة رغبتهم فيه.[5]

---

(١) دع القلق .
(٢) الحجر .
(٣) البقرة ٤٥ .
(٤) البقرة ٤٦ .
(٥) الصلاة وحكم تاركها .

ولـذا عـندما كانـت تـنزل بالرسـول ﷺ ضـائقة يهـرع إلـى الصـلاة ويقـول لسـيدنا بـلال " أرحـنا بهـا يـا بـلال "[1] فـإن التعبـير عـن آلامـنا فـى الصـلاة أثناء السـجود فـى حـد ذاتـه جـزء مـن حـل المشـكلة أو الموقـف الصـعب الذى يواجهنا .

فالصـلاة تعيـنك علـى التعبـير بأمانـة ودقـة عمـا يشـغل نفسـك ويـثقل علـيها . وقـد بيـنا فـيما سـلف أن مـن المحـال مواجهـة مشـكلة مادامـت غامضـة غـير واضـحة المعـالم ، والصـلاة أشـبه بالكـتابة الـتى يعـبر بهـا الأديـب عـن همومـه فـإذا كـنا نـريد حـلا لمشـكلاتنا وجـب أن نجـريها علـى ألسـنتنا واضـحة المعالم ، وهذا ما تفعله حين نبث شكوانا إلى الله ".[2]

وبـتكرار هـذا الـتفريغ المسـتمر لكـرب المشـاكل خمـس مـرات فـى الـيوم الواحـد يمكـن الحصـول علـى الاسـتقرار النفسـى ، لأنـنا لا نجعـل تـراكمات المشـاكل تحـيل الحـياة جحـيما ، بخاصـة تلـك المشـاكل الـتى ترسـب بالـنفس الشـعور بالذنـب . قـال رسـول الله ﷺ " الصـلوات الخمـس كمـثل نهـر عـذب غمـر بـباب أحدكـم يقـتحم فـيه كـل يـوم خمـس مـرات فمـا تـرون ذلـك يـبقى مـن درنـه ؟ قـالوا : لا شـىء . قـال ﷺ : فـإن الصـلوات الخمـس تذهـب الذنـوب كمـا يذهب الماء الدرن .[3]

أولا بـأول تـزيل الصـلاة مـا علـق بالـنفس مـن أدرانهـا ، فبالوضـوء خمـس مـرات نحصـل علـى نظافـة الـبدن الدائمـة . والصـلاة خمـس مـرات نحصل على صـفاء الـنفس ولذلـك تـبدو حالـة صـفاء الـنفس علـى وجـه الإنسـان

---

(١) الطبـرى .
(٢) دع القلـق .
(٣) مسـلم .

واضحة ولذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾[1]

والصلاة بعد هذا تحفزنا إلى العمل والإقدام بل إن الصلاة هى الخطوة الأولى نحو العمل وأشك فى أن يوالى أمروء الصلاة يوما بعد يوم دون أن يلمس فائدة أو جدوى أو بمعنى آخر دون أن يتخذ خطوات مثمرة نحو تحسين حاله ، وتفريج أزمته وقد قال " ألكيس كاريل " الصلاة هى أعظم طاقة مولدة للنشاط عرفت حتى الآن فلماذا لا ننتفع بها .[2] ولذلك يقول الرسول (ﷺ) " جعلت قرة عينى فى الصلاة".

❑ دعوى للأمل المتجدد :-

الصلاة دعوة للتفاؤل مع الحياة فأساسها حمد وشكر ودعاء ، فهناك الكثيرون لا يرون إلا ما ينقصهم أما ما وهبهم الله من نعم فلا يكادون يشعرون به ، أما المصلى فإن صلاته تتطلب منه أن يحمد الله على ما به من نعم ، وشكره على ما أتاه من فضله. وأن يتحدث بهذه النعم إلى نفسه ويدعو الله أن يزيده من نعمة خاصة أثناء سجوده ، والتحدث إلى النفس بالنعم هو إيحاء ذاتى يؤثر فى صحة الإنسان النفسية فينميها وهذا ما يؤكده علم النفس الحديث ، ولذا نرى العليم الخبير يقول فى محكم آياته ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾.[3]

وهناك مثال مشهور لشخص يرى ما يملكه وآخر لا يرى ما نقصه كاثنين ينظران إلى كوب فيقول المتفائل الذى يحمد الله إن الكوب ممتلئ

(١) الفتح ٢٨ .
(٢) دع القلق .
(٣) الضحى .

بالمـاء مـاعدا نصـفه ، ويقـول الآخـر المتشـاءم إن الكـوب فـارغ لـيس فـيه إلا نصفه ماء .

مـن هـنا كانـت أهمـية الصـلاة فـى أنهـا تصـحح مـن اتجـاه الإنسـان فـى النظر إلى الأمور .

وإن أى إنســان مهمــا كانــت الأشــياء الــتى تنقصــه ، ومهمــا كانـت الظـروف قاسـية حولـه فإنـه لـو نظـر إلـى الجانـب المضـىء مـن الـنعم الــتى يســتمتع بهــا ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾[1] فيشــكر الله علــى هــذه الــنعم فــيزيده الله مــنها ويقلــل فــيما ينقصــه﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾.[2]

وعلــى هـذا فـإن الصـلاة تسـاعد فـى تغيـير الاتجـاه الفكـرى للفـرد ، فيتغـير تـبعا لذلـك إحساسـه فـبدلا مـن أن يشـعر بالاكتـئاب والحـزن عـندما يفكـر فـيما ينقصـه ، سـوف يفكـر فمـا يتمـتع مـن نعـم ، فـيحس بالـتفاؤل والـبهجة ، وإن الـنفس المنشـرحة هـى الـتى تجـذب إلـيها مـزيداً مـن الـنعم، أمـا الـنفس الكئيبة فتنفر منها النعمة.

ويقـول" جـيمس لـين ألـن" فـى كـتابه كمـا يفكـر الإنسـان ، سـيجد المـرء مــتى غــير اتجاهــه الذهــنى حــيال الأشــياء والــناس إن الأشــياء والــناس سيستجيبون لهذا التغير بمثله .

وقـــال الفيلســـوف" مـــاركوس أوربلـــيوس" أن حياتـــنا مـــن صـــنع أفكارنا.[3]

(١) النحل ١٧ .
(٢) إبراهيـــم .
(٣) دع القلــق .

وقد وقع الشاعر ملتون ، برغم فقد بصره على هذه الحقيقة منذ ثلاثمائة عام مضت إذ قال :

" فى وسع العقل أن يخلق ، وهو فى مكانه مقيم جحيما فى الجنة أو نعيما فى الجحيم ".[1]

وأكد القرآن الكريم أنه على الإنسان أن يأمل خيرا ، وأن كل شدة سيتبعها فرج من الله ، حتى يتجدد الأمل فى نفس الإنسان فيقول الله: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ ﴾ .[2]

❑ سكينة النفس :-

إن سكينة النفس هى الحالة النفسية الناضجة ، التى يصل إليها المؤمنون ، بعد أن وصلوا إلى قدر كبير من اليقين ، واليقين لا يأتى من تلقاء نفسه ، ولكن يحصل عليه الإنسان بالعبادة وعمادها بل ومنحها الصلاة ، فلا يصل المؤمن إلى سكينة النفس إلا إذا كان من المصلين فيمنحه الله هبة سكينة النفس التى لا يعطيها إلا لعباده المخلصين ، ولذلك فالطريق للوصول إلى مرحلة اليقين التى تتوج بسكينة النفس مذكورا فى القرآن ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ .[3]

والنفس تحتاج إلى تزكية حتى تتشرب السكينة ، وهذه التزكية لا تأتى من فراغ ، وإنما لابد من العبادة وأهمها الصلاة حتى تتزكى النفس ، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا

---

(١) دع القلق .
(٢) الشرح .
(٣) الحجر ٩٩ .

فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾.[1]

والإنسان الذى بلغ سكينة النفس ، لا يهتز أمام تقلبات الحياة لا الفرح مهما كان كبيراً يهزه ، أو الحزن مهما كان شديداً يجعله يجزع ، فهو متأكد يقينا أن حياة الدنيا مقدمة قصيرة للحياة الحقيقة وهى حياة الآخرة، لأنه مؤمن بالقدر خيره وشره فلا تصبح نفسه ميدانا للانفعالات النفسية، وإنما يتمتع بنضج نفسى يصمد لتيارات الحياة المختلفة .

بالصلاة يبلغ الإنسان مرحلة اليقين التى تتوج بالسكينة ، فيختلف عن البشر الآخرين الذين لا يصلون ولذلك استثناهم الله فى آياته من صفة عدم الاستقرار النفسى فقال سبحانه ﴿ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾.[2]

وسكينة النفس مرحلة متقدمة من الإيمان ، يهبها الله لعباده المؤمنين ليزدادوا إيمانا ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ ﴾[3] فأمر المؤمن كله خير يرضى بحكمة الله العليا ويحمد الله على كل شىء ، فربما ما يكرهه الآن تأتى الأيام لتثبت بعد ذلك إنه كان خير ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ ﴾.[4]

---

(١) الشمس ٧.
(٢) المعارج ٢٣ .
(٣) الفتح ٤ .
(٤) البقرة ٢١٦ .

لقد كتب عن سكينة النفس فى السنوات الأخيرة عشرات الكتب بعد ما ثبت إن ما تضيفه السكينة على الإنسان لا يتمثل فى حيز معنوياته بل يتجاوز ذلك حتى تشمل وظائفه العضوية وصحته البدنية والعقلية .

وفى أحدث ما كتب فى هذا الشأن ما نشره الدكتور " ى ليميبان " فى كتابه " سكينة النفس " حيث يقول إن سكينة النفس هى الهبة التى يدخرها الله لاصفيائه إنه يعطى الكثيرين الذكاء والصحة والمال والشهرة أما سكينة النفس فإنه يمنحها بقدر ".[1]

وحتى فى اللحظات الأخيرة من العمر نجد أن النفس التى عاشت حياة السكينة يلازمها الاطمئنان ﴿ يَتَأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ ﴾.[2]

والموت هو أصعب حقيقة يواجهها الإنسان . ويقال إن الإنسان يتذكر ماضيه بسرعة فى لحظات حياته الأخيرة كأنه شريط سينمائى ، فهناك من تنتهى اللمسة الأخيرة من حياته بريشة الرحمن لترسم بلون الرضا نفسية مطمئنة . أين ذلك من حياة منتهية لونها الشيطان بجمرة الجحيم، وكانت اللمسة الأخيرة فيها الفزع والجزع والاضطرابات .

وإن المصلى فضلا على أنه فاز بسكينة النفس لصلته بالله الدائمة فى الصلاة فإنه فى لحظاته الأخيرة مطمئن للإجابة على أول سؤال يسأل به فى رحلة الحياة الآخرة فيقول الرسول ﷺ " أول ما يحاسب به العبد الصلاة فإن

---

(١) القرآن والعلم الحديث .
(٢) الفجر ٢٧-٢٨ .

فسدت فسد سائر أعماله"[1] . ويقول رسول الله ﷺ أيضا " مفتاح الجنة الصلاة".[2]

إن لحظات الصلاة نبضات روحية ، واتصال علوى مقدس ، وهى فترة من الزمن ينقطع فها المصلى من عالم الدنيا بقدر إمكانه ، وكأنها لحظات من عالم الآخرة . وفى الحديث " صل صلاة مودع "، وعلى قدر إحساس المصلى بالاطمئنان خلال الصلاة يكون هذا الإحساس ملازما له فى طريقه لحياة الآخرة . وأقدر الناس فيها لحقيقة الصلاة هم نبع الرجال الصافى الذين كانوا على عهد رسول الله (ﷺ) . ويقول الإمام الغزالى. ولذلك قال بعض الصحابة رضى الله عنهم يحشر الناس يوم القيامة على مثال هيئتهم فى الصلاة من الطمأنينة والهدوء ، ومن وجود النعيم بها واللذة " .

وفى حديث عن السيد عائشة رضى الله عنها " كان رسول الله (ﷺ) يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة كأنه لم يعرفنا ولم نعرفه"، الصلاة عالم ثان ، لا يعرف الرسول (ﷺ) أحد أثناءه من عالم الدنيا حتى أقرب الناس إليه زوجته السيدة عائشة . والله سبحانه وتعالى يقول فى هذا المعنى ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾.[3]

كذلك الصلاة الحقيقية شأن يغنى الإنسان عن كل الروابط الإنسانية الدنيوية وهكذا يجب أن نجاهد أنفسنا لتسير تلك المعانى . ولذلك تبدأ الصلاة بنداء هو الحسم .. الله أكبر من كل ما نعرف وما لا نعرف ، وبها

(١) الفجر .
(٢) المسند .
(٣) عبس.

يبدأ شأن الإنسان فى الاتصال بخالقه العظيم . نفس الموقف فى الآخرة حين يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأۡتِينَا فَرۡدٗا ﴾ انقطعت الصلات الإنسانية .. والروابط الأسرية .. ولم تبق غير الصلة بالله .. هذه الصلة التى تمارس من خلال الصلاة .

فلا ينجح ﴿ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴾ . ما هذا القلب السليم ؟ هل هو ذلك القلب العضوى الواقع أن الآية الكريمة تشير إلى قلب أعماق النفس البشرية .

فالصلاة تغسله وتطهره من الأحقاد ، والغل والحسد والقلق . حتى أن القلب العضوى نفسه ثبت علميا أنه لا يسلم من تلك الأمراض، بل إن أعلى نسبة إصابة لأمراض القلب بسبب تلك المشاعر الهدامة.

والمال والبنون من أشد الروابط الدنيوية التى تربط الإنسان بطين الأرض وتلهيه عن الاتصال بالسماء وبالصلاة ، ويحذرنا الله سبحانه وتعالى بقوله ﴿ أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ۝٢ ﴾ وتضع الآية الكريمة ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾ تضع النقط على الحروف حتى لا تنزلق الإنسان تحت تأثير هذه الفتنة ﴿ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ۝٨٩ ﴾ .

يمكن إيجاز ما تقدم فى النتائج الآتية :

- حيوية الإنسان هى محصلة النمو فى القوة العقلية والنفسية والبدنية .
- إذا كانت الصلاة تؤثر فى الثلاثة عناصر التى تكون وحدة الإنسان " العقل- النفس- الجسم " فهى بالتالى تؤثر فى حيويته .

- العلاقة بين الجسم والنفس أكيدة ، وحاليا يوجد فرع من الطب يعالج الاثنين في وقت واحد اسمه الطب " النفسى الجسدى " أو الطب " السيكوماتيك " .
- اكتشفت العلاقة بين الجسم والعقل مبكراً، وبالإيحاء أمكن إثبات أن للعقل تأثيرا على الجسم والتجارب أثبتت أن الجسم له تأثير على العقل أيضاً .
- هناك علاقة بين النفس والعقل ، وعن طريق العقل أمكن شفاء كثير من أمراض النفس ، والحالة النفسية المرء تؤثر فى كفاءته العقلية .
- الصلاة صلة بين الخالق والمخلوق ، وكل شىء فى عالم المخلوقات متغير والله سبحانه وتعالى هو الثابت الذى لا يتغير ، وبالتالى تكون صلة الإنسان به هى التى تحدد له اتجاهه فى الحياة فيعرف نفسه وحقيقتها ، وإذا نسى هذه الحقيقة نسى نفسه ضاع فى بحر المتغيرات.
- الصلاة تبنى ثقة الإنسان بنفسه ، لأن الصلاة تعنى الصلة بالله والثقة فيه وبالتالى فهى تنمى ثقة المصلى فى نفسه ، كما أن العناية بالمظهر التى هى من متطلبات الصلاة والاتصال بالآخرين فى صلاة الجماعة كل هذا يقوى من ثقة الإنسان بنفسه .
- صمام الأمن الذى يعد للإنسان توازنه فيقاوم التوتر الناشئ من اللهفة والعجلة هو صلاة الاطمئنان .
- المواظبة على الصلاة تجعل الإنسان مع الله دائما ، ومن كان مع الله فمن أى شىء أو من أى شخص يخاف .
- الصلاة تصل بالإنسان إلى مرحلة اليقين ، وهى المرحلة التى تطرد الخوف من النفوس وما يتبع الخوف من شرور نفسية وجسدية .

- الشكوى إلى الله تقربا وفى الدعاء له ثواب الطاعة ، والشكوى تفريج لشحنات انفعالية ثقيلة على النفس وفى الدعاء رجاء وأمل. وعندما تشكر فإننا نعبر عن مشاكلنا بألسنتنا بطريقة واضحة. وهذا هو أول الطريق لحلها ولذلك كان الرسول ﷺ يقول " جعلت قرة عينى فى الصلاة " .
- الصلاة دعوة للتفاؤل مع الحياة فأساسها حمد وشكر ودعاء ولذا فالصلاة تساعد على تغيير الاتجاه الفكرى للفرد نحو ما يمتلك من نعم لا ما ينقصه منها فيتغير تبعا لذلك إحساسه ، والله سبحانه وتعالى يقول ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ .
- السكينة هى قمة ما يصل إليه المؤمن من حالة نفسية بعد أن يصل بالعبادة وعمادها الصلاة إلى مرحلة اليقين . والسكينة هبة يمنحها الله لعباده المؤمنين ليزدادوا إيماناً .

(ب) الصـلاة والعقـل

- استخـدام العقل والذاكرة.
- الحث علي استخدام العقل.
- كيف تدرب الصلاة العقل والذاكرة.
- الصلاة تنظيـــم للفكـــر.
- الصلاة ومجـــال النشـــاط العقلـي.

الصلاة والعقل

استخدام العقل والذاكرة :-

قد يبدو أثر الصلاة واضحا فى النفس ، والجسم ، أما العقل فإن الصلاة لا يبدو أثرها واضحا لأول نظرة ولكن لو دققنا النظر وسبرنا غور الصلاة نجد أن العقل يحتل مكانا مرموقا فيها ، فبمقدار ما تستخدم عقلك فى الصلاة بمقدار ما تحصل على ثواب الصلاة . والحديث الصحيح لرسول الله ﷺ يقول " ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها ".[1]

كذلك لابد أن نستخدم الذاكرة فى الصلاة ، وهى جزء مهم من العقل ، فالصلاة لا تصلح إلا بتلاوة القرآن الكريم وهذه التلاوة تحتاج إلى ذاكرة . وبمقدار ما يحفظ المصلى من آيات ويتلوها أثناء صلاته بمقدار ما تنمو ذاكرته .

الإسلام يحافظ على العقل ، وعندما حرم الخمر ربط ذلك بالصلاة، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ ﴾[2] ، فلابد للمصلى أن يكون عقله يقظا طوال اليوم حتى يستطيع استخدامه بكفاءة فى الصلاة ومقدار هذه الكفاءة هو الذى يحدد الثواب . وإن أى شىء آخر غير الخمر يؤثر على العقل وعلى يقظة فإن استخدامه محرم شرعا ، وبذلك يحافظ الإسلام على العقل .

فالصلاة فى الحقيقة استخدام للعقل ، وتنمية له فالتدريب على استخدام العقل هو عملية نمو له أما إهماله وعدم استخدامه فيجعله يتحول إلى عضو قليل النفع لا يعطى إنتاجا ، فيصبح كالماء الراكد وتتعفن قدراته.

---

(١) الديلمى .
(٢) النساء ٤٣ .

أما الحركة المستمرة للعقل والتى توفرها له الصلاة تجعل الفكر يتدفق باستمرار ، والقدرة على استخدامه تكبر ويصبح آلة طيعة تنتج باستمرار(فيقول شكسبير على فم هاملت) " لا شك أن الله الذى خلقنا بعقل يحد ما مضى يرعى إلى ما سيجىء لم يمنحنا هذه القدرة لتدفن فينادون أن نستخدمها ".[1]

ويقول الأستاذ محمد الغزالى " إذا نظرنا إلى الصلاة وهى العبادة الأولى فى الإسلام وجدناها عملا عقليا فهى آيات تتلى من القرآن الكريم ، ومدى قبولها مقرون بصحوة الفكرة فى إقامتها وتدبر معانيها ".[2]

❑ الحث على استخدام العقل :-

الصلاة لا تصلح إلا بتلاوة آيات من القرآن الكريم ، والقرآن ملىء بالآيات التى تدعو إلى استخدام العقل وتحكيمه ، وبالتالى فالصلاة حث على استخدام العقل . ومن الآيات الكثيرة التى تدعو إلى تحكيم العقل هذه الآيات :

ففى سورة المؤمنون: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ .

وفى سورة العنكبوت : ﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ﴾ .

وفى سورة الأنعام : ﴿ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ

---

(١) عقلك مصدر الصحة والمرض .
(٢) خلق المسلم .

﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ .

وفى سورة الحشر : ﴿ لَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ .

وفى سورة الأنبياء : ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ .

وفى سورة المائدة : ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

وفـــى ســـورة الـــبقرة : ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾.

وايضـــــا : ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾.

وفـــى ســـورة آل عمـــران : ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ .

وفـــى ســـورة محمـــد : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ .

وفـــى ســـورة الحشـــر :﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى

قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ .

وفـى سـورة الزمـر : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

وفـى سـورة المجادلـة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ .

كـأن الله سـبحانه وتعـالى يقـول فـى آياتـه إن اسـتخدامك لعقلـك أيهـا المسلم هو الطريق السليم لإيمانك .

ويقـول الأسـتاذ عـباس محمـود العقـاد " وفريضـة التفكـير فـى القـرآن الكـريم تشـمل العقـل الإنسـانى بكـل مـا احـتواه مـن هـذه الوظـائف بجمـيع خصائصـها ومدلولاتهـا . فهـو يخاطـب العقـل الـوازع والعقـل المـدرك والعقـل الحكـيم والعقـل الرشـيد ولا يذكـر العقـل مقتضـبا بـل يذكـره مقصـودا منفصـلا على نحو لا نظير له فى كتاب من كتب الأديان ".[١]

ولـم يـدرك حقـيقة أن القـرآن يحـث علـى اسـتخدام العقـل المفكـر العـربى عـباس العقـاد وحـده بـل أن الكاتـب الفرنسـى " الدكـتور موريـس بوكـاى أدرك هذه الحقـيقة أيضـاً ونشر ذلك فى كـتاب لـه صـدر أخـيراً باللغـة العربـية بعنـوان

---

(١) التفكير فريضة إسلامية .

" دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة " القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم الحديث.

ويقول الدكتور بوكاى " لقد قمت أولاً بدراسة القرآن الكريم وذلك دون أى فكر سبق وموضوعية تامة باحثا عن درجة اتفاق نص القرآن ومعطيات العلم الحديث وكنت أعرف قبل هذه الدراسة وعن طريق الترجمات . أن القرآن يذكر أنواعا كثيرة من الظاهرات الطبيعة ولكن معرفتى كانت وجيزة وبفضل الدراسة الواعية للنص العربى استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها أن القرآن لا يحتوى على آية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم الحديثة " .

ويقول الدكتور بوكاى " وتناولت القرآن منتهيا بشكل خاص إلى الوصف الذى يعطيه عن حشد كبير من الظاهرات الطبيعية . لقد اذهلتنى دقة بعض التفاصيل الخاصة بهذه الظاهرات وهى تفاصيل لا يمكن أن تدرك إلا فى النص الأصلى ، أذهلتنى مطابقتها للمفاهيم التى نملكها اليوم عن نفس هذه الظاهرات والتى لم يكن ممكنا لأى إنسان فى عصر محمد ﷺ أن يكون عنها أدنى فكرة ، ولقد قرأت أثر ذلك مؤلفات كثيرة خصصها كتاب مسلمون للجوانب العلمية فى نص القرآن ولقد أتت إلى تلك المؤلفات بعناصر تقييم هامة ولكنى لم اكتشفه بعد أى دراسة شاملة منجزة فى الغرب فى هذا الموضوع ".

إن أول ما يثير الدهشة فى روح من يواجه مثل هذا النص لأول مرة هو ثراء الموضوعات المعالجة فهناك الخلق وعلم الفلك وعرض لبعض الموضوعات الخاصة بالأرض . وعالم الحيوان وعالم النبات والتناسل الإنسانى ، وعلى حين نجد فى التوراة أخطاء علمية ضخمة لا

نكتشف فـى القـرآن أى خطـأ . وقـد دفعـنى ذلـك لأن أتسـاءل : لـو كـان كاتـب القـرآن إنســانا ، كـيف اسـتطاع فـى القـرن السـابع مـن العصـر المسـيحى أن يكتـب مـا اتضـح أنـه يتفق اليـوم مـع المعـارف العلمـية الحديـثة ؟ لـيس هـناك أى مجـال للشـك فـنص القـرآن الـذى نملـك الـيوم هـو فعـلا نفـس الـنص الأول . مـا التعـليل الإنسـانى الـذى يمكـن أن نعطـيه لـتلك الملاحظـة فـى رأيـى لـيس هـناك أى تعـليل إذ لـيس هـناك سـبب خـاص يدعـو للاعـتقاد بـأن أحـد سـكان شـبه الجزيـرة العربـية فـى العصـر الـذى كانـت تخضـع فـيه فرنسـا للملـك " داجوبـير" اسـتطاع أن يملـك ثقافـة علمـية تسـبق بحوالـى عشـرة قـرون ثقافتـنا العلمـية فيما يخص بعض الموضوعات .

لقـد نـزل القـرآن علـى محمـد ﷺ وكانـت سـورة العلـق أول الآيـات نزلـــــــت: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَـٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَـٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ ﴾.

إن أول الآيـات مـدح القلـم باعتـباره وسـيلة إنسـانية للمعـرفة ومـن هـنا نفهم اهتمام النبى ﷺ بحفظ القرآن مكتوباً .

خلـق السـموات والأرض " توجـد فـى أماكـن محـددة مـن القـرآن فقـرات تذكـر بعـض جوانـب روايـة الخلـق وهـى تشـمل علـى كثـير أو قلـيل مـن التفصـيلات حـول أحـداث الخلـق:﴿ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِى يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوۡقِهَا وَبَـٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِىٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ۝١٠ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ۝١١

فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾

عالم الفلك فى القرآن : ففى سورة لقمان ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ " وفى سورة الرحمن "﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾. وفى سورة النحل : ﴿ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ ، وفي سورة يس: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾ .

غزو الفضاء : فى سورة الرحمن : ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴾ تشير الآية إلى ولوج عميق وخروج من جهة معاكسة للمناطق المعينة . وليس من شك فى أن هذه الآية تشير إلى إمكانية البشر ذات يوم بأن يحققوا ما نسميه فى عصرنا بغزو الفضاء . والنص القرآنى لا يتنبأ فقط بالنفاذ عبر مناطق السماء إنما يتحدث عن النفاذ عبر مناطق الأرض أى استكشاف الأعماق .

وعليه وفيما يخص غزو الفضاء فإننا نجد أنفسنا فى مواجهة فقرتين من القرآن تشير إحداهما إلى ما سيتحقق يوما بفضل السلطات التى سيخولها الله للفطنة والعبقرية والبشريتين .

فى حين تشير الفقرة الثانية إلى حدث لن يشهده من كفر بمكة ، ومن هنا كانت سمة هذا الفرض الذى لن يتحقق ولكن هناك آخرين سيعيشون هذا الحدث كما تترك الآية الأولى ذلك للفرض ، إنها تصف رد

الفعل الإنساني أمام المشهد غير المنتظر الذي سيوهب لمسافري الفضاء : نظرت مضطربة وشعور بالانحسار .

كذلك تماما عاش رواد الفضاء تلك المغامرة الخارقة منذ عام ١٩٦١م.

أ. الأرض :

آيات ذات مرمى عام : سورة البقرة:﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.

ب . دورة الماء والبحر:

سورة الزمر : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾.

جـ. البحار :

سورة إبراهيم ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴾ .

د. تضاريس الأرض :

سورة النبأ : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ ﴾ .

هـ - الارتفاع :

سورة الأنعام : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾.

و - الكهرباء الجوية :

سورة الرعد ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ ﴾.

ز - الظل :

سورة النحل : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾ .

وفى سورة الفرقان : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾.

❑ **التناسل الإنسانى :-**

عرف الناس القرآن بما يربو على ألف عام من قبل هذا العصر الذى كانت المعتقدات الوهمية تسوده . إن مقولات القرآن عن التناسل البشرى تعبر فى ألفاظ بسيطة عن حقائق أولى أنفقت مئات من السنوات لمعرفتها ".

ففى سورة المؤمنون : ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ .

❑ **القرآن والتربية الجنسية :**

فى سورة البقرة : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾.

ولبداية هذه العبارة معنى واضح تماما : فتحريم إقامة علاقات جنسية مع امرأة حائض أمر قاطع . أما الجزء الثانى فيشير إلى الحرث الذى يسبق ، عند الباذر ، وضع البذور التى ستنبت زرعا جديدا إذن العبارة تؤكد بشكل غير مباشر ، عبر الصورة المجازية ، على أهمية أن يكون واضحا لدى الإنسان أن الهدف النهائى للعلاقة الجنسية هو الإنجاب

والجملـة الأخـيرة تحـتوى علـى توصـية يـبدو وأنهـا تخـص مقدمـات للعلاقـة الجنسية .

قـد يتسـاءل الـبعض إذا كـان هـذا هـو حـال القـرآن . فلمـاذا لا يسـتخدم المسـلمون عقولهـم ويدلـون بدلوهـم فـى مـيدان العلـم ؟ ويجيـب علـى هـؤلاء الدكتور " بوكاى " بقوله :

وإن فـى العـالم الإسـلامى كمـا فـى العوالـم الأخـرى ، حـاول الـبعض إيقـاف الـتطور العلمـى . ولكـن علينـا أن نـتذكر أن فـى عصـر عظمـة الإسـلام. أي بيـن القـرن الثامـن والقـرن الثانـي عشـر مـن المسـيحى وعلـى حيـن كانـت تفـرض القـيود علـى الـتطور العلمـى فـى بلدانـا المسـيحية . أنجـزت كمـية عظـيمة مـن الأبحـاث والمكتشـفات بالجامعـات الإسـلامية . وفـى ذلـك العصـر كـان الباحـث بهـذه الجامعـات يجـد وسـائل ثقافـية عظـيمة . ففـى قرطـبة كانـت مكتـبة الخلـيفة تحـتوى علـى أربعمائـة ألـف مجلـد . وكـان ابـن رشـد يعلـم بهـا . وبهـا أيضـاً كـان يـتم تـناقل العلـم الـيونانى والهـندى والفارسـى ، لهـذا السـبب كـان الكثـيرون يسـافرون مـن مخـتلف بـلاد اوربـا للدراسـة بقرطـبة مـثلما يحـدث فـى عصـرنا أن نسـافر إلـى الولايـات المـتحدة لتحسـين وتكمـيل بعـض الدراسات .

ولكـم هـى كثـيرة تلـك المخطوطـات القديمـة الـتى وصلت إلينـا بواسـطة الأبـاء العـرب ناقلـة بذلـك الـثقافة إلـى الـبلاد المفـتوحة . . . ولكـم نحـن مديـنون للـثقافة العربـية الرياضـيات (فالجـبر عـربى) وعلـم الفلـك والفـيزياء (البصـريات) والجيولوجـيا وعلـم النـباتات والطـب (ابـن سـينا) إلـى غـير ذلـك. لقـد اتخـذ العلـم لأول مـرة صـفة عالمـية فـى جامعـات العصـر الوسـيط الإسـلامية . فـى ذلـك العصـر كـان الـناس أكـثر تأثـراً بالـروح الدينـية ممـا هـم

عليه فى عصرنا .. ولكن ذلك لم يمنعهم من أن يكونوا فى أن واحد مؤمنين وعلماء . كان العلم الأخ التوأم للدين . لكم كان ينبغى على العلم ألا يكف عن أن يكون كذلك .

نفهم من كلام الدكتور " بوكاى " أنه عندما يعمل المسلمون بقرآنهم وبما يحثهم عليه من استخدام العقل تكون النهضة العلمية للمسلمين كما حدث قبل ذلك .

وعندما يبتعدون عنه وعما حث عليه يكون التخلف وعندما نقرأ كلام الدكتور " بوكاى " لا يملك أن نقول سبحان الله حين يقول:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَـٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ .

❑ **كيف تدرب الصلاة العقل والذاكرة :**

القدرة على التركيز الذهنى هى القدرة على استخدام العقل . وتدريب الذهن على التركيز يؤدى إلى الوصول إلى درجة كبيرة من جنى ثمار العقل لذلك كان هناك جزء كامل عن التركيز الذهنى فى هذا البحث بعنوان " الصلاة والتركيز الذهنى " .

وأهم النتائج التى تم التوصل إليها فى الجزء الخاص بالصلاة والتركيز الذهنى ، هى أن الصلاة لا تصلح إلا بقدر من التركيز الذهنى يتيح الحصول على ثواب أكبر من الصلاة وفى نفس الوقت يصبح الذهن مدربا على التركيز فى كل شئون الحياة الأخرى .

الصلاة تعطى ميزة للفكر تجعله مرنا وليس متحجرا ولذلك فى الجزء الخاص " بالصلاة والتكيف " من هذا البحث نجد أن الصلاة برنامج

تدريب للعقل فى التلاؤم مع الظروف المتغيرة . فمهما تغيرت الظروف المحيطة فهناك التكيف بحيث تستمر الصلاة ولا تنقطع ولو فى الحرب أو حتى عند الموت نفسه فلا يكون العقل المسلم كعقل سكان استراليا الأصليين الذين يقال عنهم أنهم انقرضوا بسبب تغير الظروف فعندما كانوا يسيرون من مكان إلى مكان آخر وجدوا أمامهم جبالا عالية فوقفا أمام هذه المشكلة ولم يتحركوا . هنا التجمد والتحجر للفكر ، أنهم لم يستطيعوا التكيف مع الظروف المتغيرة ألا وهى وجود الجبال العالية .

ولأن الصلاة متكررة فى اليوم الواحد وفى أوقات ثابتة فالتدريب على التركيز الذهنى والتكيف مع الظروف المتغيرة يأخذ من خلالها صفة المواظبة .

وإن المواظبة هى أفضل صفة يمكن استخدامها فى التدريب على أى عادة يراد اكتسابها .

ويقول مؤلف كتاب " صحتك بين يديك " أن خير الوصفات لا تأتى بالفائدة المرجوة منها حتى يتوفر لها عامل المواظبة " ويقول أيضاً " إن التدريب الذهنى أمر أساسى لا غناء عنه . وإن تدريب عقلك بحيث يعمل بصورة منتظمة مرتبة له تأمين ضد التشتت وضياع المجهود".[١]

وهذا ما تقوم به الصلاة ففى كل يوم وفى أوقات ثابتة من اليوم الواحد يؤدى المسلم خمس صلوات ، فكأنه يؤدى خمسة تدريبات منتظمة كل يوم للذهن .

والذاكرة جزء من العقل والصلاة تدربها ، وتكتسب الذاكرة صفة المواظبة على التدريب أثناء الصلاة لأن فى كل صلاة تلاوة قرآن كريم .

ويقول مؤلف كتاب " أتح لنفسك فرصة " لا ينتظر أحد أن يكتسب عقلا

---

(١) كورتنى د . فارمر .

مدربا فعالا مادام يهمل ذاكرته . فالذاكرة كالعضلة إذا داومت على تدريبها ازدادت مقدرتها ونمت قوتها ، وإذا أهملتها ترهلت ، ولانت ولم تعد تستجيب لإرادتك " ويضيف والذاكرة ككل جزء من أجزاء الجسم والعقل تنمو وتقوى بالتمرين المستمر "[1] وخير تمرين مستمر هو الصلاة فهى مستمرة لا تتوقف والتدريب فيها يكون على الحفظ والتلاوة.

وهناك نقطة هامة لماذا اختار الله لنا صلاة الصبح لتمتاز بطول قراءة القرآن الكريم ، حتى لقد سماها سبحانه قرآن الفجر؟.

هل نجد إجابة فى علم النفس عن هذا السؤال . وهل قراءة القرآن فى الفجر مناسبة أكثر للذاكرة ونموها ، واستخدامها ؟

من المعروف علميا أنه أثناء التحليل النفسى لمريض لابد أن يكون ذلك المريض مسترخيا تماما لأن الاسترخاء يضعف من عمل الرقيب على العقل الباطن وهو الجزء اللاشعورى من عقل الإنسان وعندما يضعف الرقيب بالاسترخاء يمكن لطبيب النفس استخراج الحوادث المؤلمة ، والقابعة فى العقل الباطن وهو المخزن الواسع فى الذاكرة .

وبعد ذلك يحلل الطبيب ذلك كله ويستنتج العقد النفسية التى تتحكم فى ذلك المريض .

وفى أثناء النوم حيث تسترخى عضلات الجسم يضعف ما يسمى بالرقيب أيضاً فتخرج من عقل الإنسان الباطن الحوادث التى لا يرضى عنها والمشاعر التى يرفضها ذهنه فى حالة اليقظة ، ولكن حتى تستمر عملية النوم فلا يفزع النائم ، فإن تلك الأشياء التى خرجت من العقل الباطن تأخذ

---

(١) جوردون بايرون .

صفة الرمز ولذلك فتفسير الأحلام عمل من أعمال أطباء النفس أيضاً ويقصد بالأحلام هنا ما سماها القرآن الكريم " بأضغاث أحلام ".

وقد وجد العلماء أنه أثناء استرخاء الجسم ، يمكن إدخال ما نريد من معلومات إلى العقل الباطن وزرع هذه المعلومات فيه . لتصبح هذه المعلومات الجديدة جزءا من ذاكرة الإنسان وتسمى هذه الطريقة بطريقة الإيحاء .

واستنتج العلماء أن أفضل فترة من الوقت يمكن اكتساب فيها المعلومات هى قبل النوم مباشرة أو بعد النوم مباشرة . فى كلتا الحالتين يكون الجسم فى حالة استرخاء ، ولذلك نصح العلماء أن تكون المذاكرة للطلبة فى فترة الصباح لأنها أفيد فى اكتساب المعلومات .

وبذلك نصل إلى أن أفضل فترة لنمو الذاكرة فى حفظ القرآن وتلاوته هى بعد القيام من النوم مباشرة والتى هى ميعاد صلاة الصبح . ولذلك أطلق عليها العليم الخبير " قرآن الفجر " حتى يرتب المسلم مخزون ذاكرته بالطريقة الصحيحة ، فيحتل القرآن الكريم منها مكان الصدارة وتصبح ذاكرته نامية باستمرار .

وسبحان الله حين يقول : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾.

❑ **الصلاة تنظم الفكر :**

الصلاة للإنسان عملية تنظيم لفكره . كيف ؟

إنها ترتب له الأولويات فيحدد درجات الأهمية لما بين يديه من الأعمال.

فالأهم دائما هو الصلاة فى ميعادها لذكر الله ، فعندما تنبض المآذن بالدعوة إلى الله بالأذان ، فلابد من المبادرة الفورية للصلاة ، فهذا هو الأهم ، إذن لقد عرف المسلم الأهم ، أما المهم فهو أى شىء آخر غير الصلاة ثم بعد ذلك يميز بين الأشياء حسب أهميتها .

ويقول مؤلف " أتح لنفسك فرصة " إن القدرة على التفكير والتمييز وتقدير قيم الأشياء من أهم الأسلحة التى يتسلح بها الشاب الطامح إلى النجاح ".(1)

والصلاة تقوم بعملية ضبط المسار العقلى للإنسان ، فالمسلم هدفه الأسمى هو رضاء الله ، وفى كل صلاة تذكرة ـ له بذلك . وعلى هذا يحدد عقل المصلى قيمة الأعمال التى يقوم بها بالنسبة لهدفه السمى وهو رضاء الله ، بعد أن رسخت الصلاة فى نفسه هذا الهدف ، فيعرف درجات أهمية الأعمال التى يقوم بها .

ولذلك يقول الرسول ﷺ : " من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا ".(2)

كل أهداف المسلم المحسوسة كتكوين ثروة أو الوصول إلى مركز اجتماعى مرموق ، وغير ذلك مما كبر أو صغر ، كلها فروع لابد أن تصب فى النهر الأساسى وهو رضاء الله ويقول ك . س . واختل " يجد المتعمقون فى الدين الوفاء بمجرد محاولة الحياة بالطريقة التى تسر الله.(3)

---

(1) جوردون بايرون .
(2) الطبرانى .
(3) عقلك مصدر الصحة والمرض .

الصلاة إذا تقوم بربط الأهداف المحسوسة الصغرى بالهدف الأسمى . أن يجمع المسلم الثروة كهدف مباح له ولكن يجب أن يرتبط ذلك بالزكاة حتى يلتحم الهدف المحسوس بالهدف الأسمى فتكون لحياة المسلم معنى .

وفى كل صلاة نجد أن هناك استخداما للعقل ، وتوجيها للمشاعر الروحية وليس جعل العقل يسير فى ركاب الانفعالات الدينية مهما كانت صادقة ، فليست الصلاة مجرد نشوى انفعالية دينية ، بدليل أن المصلى لا يأخذ من صلاته إلا ما عقل منها . أما المشاعر التى تنتاب المصلى أثناء الصلاة فهى تأتى نتيجة لاستخدام العقل ، فأثناء تلاوة القرآن العقل يتدبر المعانى فتنتاب المصلى المشاعر الدينية .

وهذا هو الدور الطبيعى للعقل فى الصلاة وفى كل عمل آخر يقود المشاعر ولا ينقاد إليها .

ويسمى ك . س . واخـتل هـذا الـدور للعقل بسر الصحة العظيمة ويقول " إن غرائزك بالنسبة لبقية جهازك هى كموتور عربتك بالنسبة لبقية العربة فمن غير القوة التى يولدها الموتور لا تستطيع العربة أن تسير ودون الانفعالات التى تولدها غرائزك لا تستطيع أن تسير وسواء كانت القوة التى يولدها موتور العربة تساعدك أو تضرك فإن ذلك يعتمد على حسن إدارتك لها ".[1]

إن ك . س . واختل يريد أن يؤكد أنه لابد من ضبط الانفعالات حتى لا تتحول إلى قوة مدمرة وإنما يجب التحكم فيها وإن الذى يقوم بهذه

(١) عقلك مصدر الصحة والمرض .

العملية هو العقل ، ولذلك يقول فى مكان آخر من كتابه عقلك مصدر الصحة والمرض " إنه يجب أن تحتفظ بعقلك فى مقعد السائق ".

وهذا هو المعنى الذى ينبهنا إليه القرآن الكريم فى سورة محمد : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ والإسلام لا يدمر الغرائز ولا يحتقرها ولكنه يهذبها ، وبذلك فليس هناك صراع فى الإسلام بين الغرائز والعقل فالعقل أداة لتهذيبها والتحكم فيها لا لقتلها أو تجاهلها.

والذى يجعل انفعالاته فى مكان السائق سوف يسخر عقله لتحقيق أهوائه ، كالذى يعمل عقله فى السرقة ليشبع الرغبة الملحة فى شراب المخدرات فلو كان عقله أخذ القيادة لكان أوقف الرغبة الحرام فى السرقة للحصول على ما يعتبره العقل مضرا ، ولذلك ينصحنا ك . س واختل أن نجعل شعارنا " العقل فوق الغريزة " .[1]

وقد ربط الله سبحانه وتعالى بين ضياع الصلوات واتباع الشهوات فأداء الصلاة يجعل المسلم يتحكم فى شهواته لأنه يجعل عقله يقظا فلا ينقاد إلى الشهوات التى تتعارض مع هدفه الأساسى وهو رضا الله . هكذا فإن الصلاة تجعل العقل فى مكان القيادة فلا ينقاد لشهوة ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾.[2]

---

(١) عقلك مصدر الصحة والمرض .
(٢) مريم .

يحذر الله الناس من إضاعة الصلاة مما يسهل عليهم اتباع أهوائهم فهذا هو مصدر ما سيلقونه من سوء المصير ، ليس فقط فى الآخرة إنما فى الدنيا أيضاً .

ويحذرنا (ك . س واختل) " لا تدع غرائزك تفكر لك فإنها لا تستطيع.

والناس الذى يفكرون باستمرار بغرائزهم أى أولئك الذين يفكرون بطريقة انفعالية . يفقدون قدرتهم على الحكم فى النهاية فالقدرة على التفكير أداة مثلها مثل الذاكرة ، يجب أن تكون دائما فى حالة جيدة وذلك باستخدامها وإلا فإنها تميل إلى أن تضمر وعندما يحدث هذا فإن قابليتك للإصابة بالمرض الذى يسببه العقل تكون خطرة جداً ".[1]

❑ **مجال النشاط العقلى :-**

الصلاة هى أهم ركن فى الإسلام تدرب العقل على الاستخدام . والإسلام يحدد إطار هذا الاستخدام ، حتى يحافظ على العقل . إذا الصلاة ترعى العقل والإسلام يؤمن له حدوده .

الإسلام يحافظ على العقل تماما وعلى قدره يقيم الإنسان فليس العاقل كالمجنون أو السفيه وليس الصغير كالكبير . والإسلام يحافظ على العقل من أن تنشر جداول أفكاره فى بحار السراب فيحدد له حدوده حتى لا يتعداها فيفقد قيمته .

أن يفكر العقل فى حدوده فيفكر فى وجود الله فهذا هو حقه أما أن يتعدى ذلك ليفكر فى ذات الله أو إدراك أبعاد صفاته جل وعلا . هنا يفقد

---

(١) عقلك مصدر الصحة والمرض .

العقـل قيمـته ويـتحول إلـى مسـخ مشـوه لأن العقـل مخلـوق كحـبة الـرمل إذا تصـور أنــه قــادر علــى أن يحـيط علمــا بــذات الله فإنــه أعطــى لنفســه صــفة الألوهـية لأنــه تعـدى حـدود البشـرية . وأن القـرآن الكـريم ذكـر لـنا صـفات الله لـيس لتجسـيمها أو لـتحديدها حاشـا لله ، وإنمـا لمجـرد الإحسـاس العقلـى بهـا لا للإحاطة بها .

تمامـا ككـل طفـل نـريد أن نعـرفه بشـىء لا يمكـنه إدراكـه بحكـم سـنه الصـغير فـنعطى لــه تشـبيهات تقـرب لــه بهـا ذلـك الشـىء مـن ذهـنه . بـالقطع ليست هذه التشبيهات هو هذا الشىء.

أو كـالذى ولـد أعمـى ونـريد أن نصـف لــه الضـوء إنــه لا يعـرف شـيئاً عـن الألـوان أو الأضـواء كـل معرفـته مبنـية علـى الانطـباعات الصـوتية . فأنـت لا يمكـن أن تخـبره مـا هـو الضـوء بحكـم عجـزه ولكـن ممكـن أن نعطـى لـــه بعـض الأمـثلة والتشـبيهات المسـتمدة مـن عالمــه الخـاص عـالم الأصـوات .. كـأن تقـول لــه الأضـواء تخـتلف فـى الشـدة فهـناك فـرق بيـن ضـوء الشـمس الشديد وضوء الشمعة الضعيف مثلاً :

هـناك فـرق بيـن طلقـة المدفـع المدويـة وبيـن الـنقر علـى الـباب بالإصبع أنـك بـالقطع لـم تقـل مـا هـو الضـوء لكـن قربـت لــه صـفة مـن صـفاته بقـدر الإمكان فليست الأصوات تعطى حقيقة الأضواء .

ولذلـك عـندما خاطبـنا الله فـى قـرآنه الكـريم كـان يخاطبـنا علـى قـد عقولـنا وذلـك لـنا صـفاته لتقريـب المعـنى إلـى أذهانـنا وحـتى لا يخـرج العقـل عـن حـدوده فيتصـور أنــه قـادر علـى الإحاطـة بصـفات الله جـل وعـلا حسـم القـرآن الكـريم الموقـف فقـال الله سـبحانه وتعـالى : ﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا

﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

هنا فصل الخطاب . فالعقل ليس هدفا بذاته وإنما هو وسيلة لتحقيق هدف ألا وهو الخلافة فى الأرض ، وتعميرها باستخدام المادة ومعرفة قوانينها التى هى سنة الله فى خلقه .

ويقول الإمام الغزالى فى كتابه المقصد الأسمى فى أسماء الله الحسنى : " إن العقل لا يستطيع أن يحكم على شىء حتى يحصره فى اثنين الزمان والمكان ، فيقول متى وأين فما لم ينحصر بينهما لم يكن للعقل عليه سلطان ، فالعقل لا يستطيع أن يحكم على الله تبارك وتعالى ولا على صفاته ولا على قضائه وقدره والعقل محدود لا يستطيع أن يتصور غير المحدود ولا يحكم على غير المتناهى والله عز وجل غير محدود فالعقل لا يستطيع أن يحكم عليه ، والعقل لا يتصور الخلود ويختل ميزان العقل أن حاول الحكم على غير المحدود ويقع فى المتناقض المستحيل والعقل لا يستطيع أن يحكم ولا يصح حكمه إلا فى الأمور المادية أما " ما وراء المادة " أى عالم الغيب فلا حكم للعقل فيه.

وهذا الذى قال به الغزالى أعاده الفيلسوف كانت فى كتابه نقد العقل الخالص بعد ثمانمائة سنة ".[١]

فبالعقل البشرى المحدود لا يمكن أن يكون الإنسان مسيرا ويحاسب على أعمال هو مجبر على إتيانها ، ولا يمكن أن يكون للإنسان حرية الاختيار وإرادة الله مطلقة.

إذا لابد أن يكون الإنسان مخيراً ومسيراً فى نفس الوقت ، كيف ؟ إن ذلك يرجع إلى حكمة الله العليا . إن العقل يدرك أن الإنسان مخير

---

(١) الإنسان والعقل : أنور الجندى .

ومسير فى نفس الوقت لكن لا يملك معرفة حكمة الله العليا فى ذلك أو فى القضاء والقدر ، تماما مثلما يصل العقل إلى أن الله موجود لكن يجب أن يقف عند التفكير فى ذات الله ، وإلا هلك بحتمية عجزه .

هكذا حدد الإسلام الدائرة التى يعمل فيها العقل ، دائرة رحبة تتفق مع طبيعة العقل وهى تعامله مع المادة ، أما ما وراء المادة فليس من حق العقل أن يفكر فيه . والصلاة تدريب مستمر للعقل حتى يستخدم المادة بأقصى ما يمكنه من طاقة بالطريقة النافعة ، حتى يحقق الغاية من خلقه وهى الخلافة فى الأرض .

يمكن إيجاز ما تقدم فى النتائج التالية :

- بمقدار ما يستخدم المصلى عقله فى الصلاة ، بمقدار ما يحصل على ثواب منها . والرسول ﷺ يقول " ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها "
- لابد من استخدام الذاكرة فى الصلاة وهى جزء من العقل ، وبمقدار ما يحفظ المصلى من آيات ويتلوها فى الصلاة بمقدار ما تنمو ذاكرته .
- الصلاة تنمية للعقل باستخدامه ، فالعضو الذى لا يستخدم يضمر .
- الصلاة لا تصلح إلا بتلاوة آيات من القرآن الكريم ، والقرآن ملىء بالآيات التى تدعو إلى استخدام العقل ، وبالتالى فالصلاة تحث على استخدام العقل .
- لم يكتشف حقيقة أن القرآن يدعو إلى استخدام العقل المفكر العربى " عباس العقاد " وحده بل شاركه الكثيرون ومنهم الدكتور بوكاى فى ذك ويقول " إن القرآن لا يحتوى على أى مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم الحديث " .
- لم يكتف القرآن الكريم بالحث على استخدام العقل بل وجه النظر إلى الطبيعة وظواهرها هى مجال استخلاف الإنسان حتى يعمل عقله فى عمارتها ، ويقول الدكتور " بوكاى " : " لقد أذهلتنى مطابقتها للمفاهيم التى نملكها اليوم عن نفس الظاهرات والتى لم يكن ممكنا لأى إنسان فى عصر محمد أن يكون عنها أدنى فكرة ".
- ليس معنى أن العالم الإسلامى متخلف اليوم أن القرآن لا يحث على استخدام العقل . ويذكرنا الدكتور " بوكاى " بعصر عظمة الإسلام

" حين كانت القيود على التطور العلمى فى بلادنا المسيحية أنجزت كمية عظيمة من الأبحاث والمكتشفات بالجامعات الإسلامية " .

- التدريب على التركيز الذهنى ، والتكيف مع الظروف المتغيرة ، يأخذ من خلال الصلاة صفة المواظبة .
- ولا يمكن تدريب العقل إذا أهملنا الذاكرة ، والصلاة تدرب الذاكرة ، ففى كل صلاة تلاوة لآيات القرآن الكريم .
- سميت صلاة الفجر " بقرآن الفجر " لأن افضل فترة لنمو الذاكرة بعد الاستيقاظ من النوم مباشرة .
- سميت صلاة الفجر " بقرآن الفجر " لأن فيها أطول قراءة للقرآن ، وهذا مناسب تماما لنمو الذاكرة وترتيبها بحيث يحتل القرآن الكريم فيها مركز الصدارة . وافضل الأوقات لنمو الذاكرة بعد الاستيقاظ مباشرة من النوم أى فى الفجر .
- الصلاة تنظم فكر الإنسان ، وتعلمه ترتيب الأولويات فالأهم دائما هو الصلاة ، وبعد ذلك يأتى ترتيب الأعمال الأخرى فيرتب المسلم أعماله فى ضوء هدفه الأسمى وهو رضاء الله .
- فى الصلاة نتعلم كيف نستخدم العقل ونتدبر المعانى ، ثم تأتى بعد ذلك ما تؤثر فيه هذه المعانى من مشاعر فى النفس . وهذا هو الدور الطبيعى للعقل فى الصلاة وفى كل عمل آخر أن يقود المشاعر ولا ينقاد إليها .
- الإسلام يحافظ على العقل ويدربه على الاستخدام ، لكن فى نطاق حدوده كمخلوق يتعامل مع المادة ، أما ما وراء المادة فليس من حقه الخوض فيه ، وبهذا يحفظ الإسلام قدراته من أن تتسرب فى بحار السراب .

(ج) الصلاة والجسم

- الصلاة والنظافـــة.
- الصلاة والغـــذاء المعتــدل.
- الصلاة والــرياضـــة المنتظمة.
- الصلاة والاسترخاء.
- الصلاة والرعـــايــة الطبيـة.
- الصلاة والوقاية من الأمراض.
- الصلاة كـعــــــلاج.

الصلاة والجسم

إن الجسم هو الآلة التى تحفظ للإنسان حياته ، ولذا كان الإنسان حريصا على صحة جسده حرصه على حياته . ومهنة الطب من المهن التى عرفها الإنسان منذ فجر التاريخ وهي مازلت تعتبر من أهم المهن يعمل بها الإنسان. والدول تقوم بالرعاية الصحية لأبنائها وتتخذ لذلك وزارة تعرف بوزارة الصحة .

وإن قواعد الصحة تكاد تكون معروفة للجميع وأهمها النظافة ، والغذاء المعتدل ، والرياضة المنظمة ، والعناية الطبية ، وهذه العناصر من العناصر المهمة التى ذكرها " كورتنى . د . فارمر " فى كتابه صحتك بين يديك " . ولنبحث هل الصلاة لها علاقة بهذه القواعد ؟ ونناقش كل قاعدة منها وعلاقتها بالصلاة .

❑ الصلاة .. والنظافة :-

شرط ضرورى لإقامة الصلاة الطهور بالاغتسال لمن تستوجب ظروفه الاغتسال . والله سبحانه وتعالى يقول ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ

عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾.[1]

والاغتسال واجب يوما فى كل أسبوع وهو يوم الجمعة، قبل صلاة الجمعة .

قال رسول الله (ﷺ) " غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم وسواك ويمس من الطيب".[2]

وأيضاً يقول الرسول(ﷺ) " إن هذا يوم عيد جعله الله للمسلمين، فمن جاء الجمعة فليغتسل ".[3]

وشرط أساسى لقيام الصلاة الوضوء حتى تم غسل أعضاء جسم الإنسان المعرضة للغبار والاتساخ ، وتكرر هذا مع كل وضوء وبالتالى تكون نظافة هذه الأعضاء مستمرة. فتكون يد الإنسان المصلى دائمة النظافة فلا تكون عرضة لأى تلوث مرئى أو غير مرئى ، كذلك النظافة الدائمة للوجه وبخاصة العينان فلا تتعرضان للإصابة بالأمراض مثل الرمد. والنظافة الدائمة لفتحات الأنف خاصة من الإفرازات عند الإصابة بالبرد .

وبالنسبة للفم فإن مضمضة الوضوء تنظيف دائم له ، وتغير للوسط الذى تتكاثر فيه الميكروبات .

وخبراء الصحة ينصحون بغسل الفم بالفرشاة والمعجون بعد تناول الطعام مباشرة ، خاصة المواد السكرية وإذا لم يتيسر ذلك يغسل الفم بالماء.

وبذلك تكون المضمضة فى الوضوء تنظيفا مستمرا للفم . يقول الدكتور محمد ذكى سويدان " وقد ثبت أن غسل الفم بالماء فوق الغسيل

---

(١) المائدة : ٦ .
(٢) مسلم .
(٣) ابن ماجة .

بـأى معجـون أسـنان إلا مـا يحـوى مـادة الفلوريـن الـتى تحمـى الأسـنان مـن التسوس .[1]

وفـى الوضـوء يـتم أيضـاً تنظـيف الأذنيـن وخلـف الرقـبة . وشـعر الـرأس والقدميـن وأصـابعهما ولـو نظـرنا إلـى الاغتسـال نجـد أنـه يعنـى الـنظافة تمامـا لجمـيع أجـزاء الجسـم ، ولابـد لكـل فـتحة مـن فـتحاته أن يصـلها المـاء ، هكـذا كـل تفاصـيل الجسـم تـنظف بالمـاء ولـيس مجـرد إلقـاء كمـية مـن المـاء على الجسم وكفى .

هـذا هـو تمـام الطهـر وإتقـان عمـل الـنظافة والصـبر علـى تفاصـيل أدائـه. فـإذا كنا فـى كل عمل نصبر علـى التفاصـيل الدقـيقة فـإن هذا هـو الإتقـان فـى الأداء مـاذا لـو كـنا فـى كـل أعمالـنا نصـبر علـى التفاصـيل ولا " نهـرج " فيتم العمل أى عمل بكل حذافيره فلا تنتج أعمالنا ناقصة أو مبتورة .

والإنسـان بـدون صـبر فـى خسـران ، والله سـبحانه وتعـالى يقسـم بالعصـر فـيقول سـبحانه : ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣ ﴾ .[2]

إن كلمـة السـر عـند " دكـتور د. هارولدفـنك " هـى التفاصـيل فالتفاصـيل تـزيد مـن قـدرات الإنسـان وقـول " ولقـد سـمعت أناسـاً يقولـون إنهـم لا صـبر لهـم علـى التفاصـيل وأنـا أرثـى لهـم ، لأنهـم يفصـحون عـن ضـجر بالحـياة ، فالحـياة كلهـا تفاصـيل . والعش كلـه تفاصـيل فالإنسـان لا يسـتطيع إلا أن يـأخذ نفسـا واحـدا فـى الشـهيق فـى المـرة الواحـدة ، والأكسـجين الـلازم لـه

(١) الصلاة صحة ووقاية وعلاج .
(٢) العصر .

فـى مـدى ثمـان وأربعيـن سـاعة أو فـى حـياته كلهـا لا يمكـن اخـتزانه فـى صـهريج لـيؤخذ فـى جـرعة واحـدة مـن التـنفس . وروح الفـنون وجوهـرها ومن ضمنها الحياة ، هو لمسة الصانع الزائدة وحب التفاصيل .[1]

الصلاة والجسم

❑ **الغذاء المعتدل :-**

إن الصـلاة تؤثـر فـى الجهـاز الهضـمى للإنسـان ، ففـى بدايـته تـتعهد الفـم بالـنظافة المـتجددة بالمضمضـة فـى الوضـوء ، وبالنسـبة للأسـنان فإنهـا تحـافظ علـيها ومـا السـواك أو مـا يقـوم مقامـه إلا تعهـد للأسـنان والفـم بالعـناية والـرعاية . ويجـب أن تشـمل روح الصـلاة إلـى أعمـال الإنسـان كلهـا فكمـا أن الصـلاة لا تصـلح إلا بالاطمئـنان فـى أدائهـا كذلـك طـريقة تـناول الطعـام لا يجـب أن يبـتلع المـرء طعامـه بسـرعة بـل يجـب أن يمضـغه جـداً بـتأن . وهـذا مفـيد جداً للاستفادة من الطعام ولصحة الجهاز الهضمى .

وكمـية الطعـام ونوعـه وتوقيـت تـناولـه تؤثـر فـيها الصـلاة أيضـاً . كـيف؟ لـو عرفـنا أن علـة تحـرم الخمـر فـى الآيـة القرآنـية:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾[2] . نجـد أن هـذه العلـة الـتى حـرم الخمـر مـن أجلهـا فـى الآيـة الكـريمة هـى غفلـة العقـل بسـبب الخمـر فـتكون النتـيجة أن المصـلى لا يفقـه مـا يقول أثناء الصلاة .

---

(١) لمن ترهقهم الحياة .
(٢) النساء ٤٣ .

ويقـول الإمـام الغـزالى : " قـيل : سكارى مـن كـثرة الهـم وقـبل مـن حـب الدنـيا " وقـال وهـب : " المـراد بـه ظاهـره ففـيه تنبـيه علـى سـكر الدنـيا إذ بيـن فـيه العلـة فقـال : " حـتى تعلمـوا مـا تقولـون " وكـم مـن مصـل لـم يشرب خمرا وهو لا يعلم ما يقول فى صلاته".[1]

ومـن هـنا نـرى أن أى عمـل آخـر يـؤدى إلـى غفلـة العقـل يـتعارض مـع إقامـة الصـلاة . وامـتلاء المعـدة بالطعـام يجعـل الـدم يهـرب مـن الـرأس ويذهـب إلـى المعـدة ويسـاعدها فـى عملـية هضـم هـذه الوجـبة الثقـيلة وبالـتالى لا يكـون العقـل يقظـا وإنمـا يمـيل إلـى الـنوم والكسـل والخمـول وهـذا مـا نلاحظـه بصـورة أوضـح بعـد تـناول طعـام الإفطـار بعـد يـوم مـن الصـيام ، وتكـون الوجـبة فـى الإفطـار كبـيرة فيشـعر الإنسـان بعدهـا بالـنوم . إذ يكـون ملـىء المعـدة بالطعـام فى الوجبة الواحدة يتعارض مع الصلاة الصحيحة .

ويقـول الرسـول (ﷺ) مـا مـلأ ابـن آدم وعـاء شـر مـن بطـنه " ويقـول أيضـاً " نحـن قـوم لا نـأكل حـتى نجـوع وإذا أكلـنا لا نشـبع . ولذلـك يأمـرنا الله سـبحانه وتعـالى فـى محكـم كـتابه بعـدم الإسـراف فـى المـأكل والمشـرب فـيقول سـبحانه ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾[2]
فالإسراف فساد ، والإسراف فى المأكل والمشرب فساد للبطون والعقول .

وطالمـا أن المسـلم مـن الأفضـل لـه ألا يمـلأ معدتـه بالطعـام ، بـل يجـب أن تكـون وجبـته معـتدلة مـن ناحـية الكمـية - فذلـك يوجـب علـى المسـلم أن

(١) كتاب أسرار الصلاة .
(٢) الأعراف ٣١ .

تشتمل وجبته هذه على العناصر الأساسية التى يحتاج إليها جسمه بقدر استطاعته ، فليست المسألة هى الكم وإنما الكيف .

ويقول الرسول ﷺ " وإن لبدنك عليك حقا " فمن حق بدنك أن تختار له الغذاء الذى يشمل العناصر الأساسية المحتاج إليها .

والصلاة تحدد للمصلى بهذه الطريقة كم الطعام ، لأنها تتطلب ألا يكون العقل خاملاً بسبب وجبة ثقيلة من الطعام ، وكذلك فإن الصلاة تحدد النوع للطعام لأنه ليس من المنطق أن يأكل الإنسان كمية قليلة من الطعام وهى فى نفس الوقت لا تفيد الجسم وكذلك فإن الصلاة تضبط نظام حياة المسلم ، فهى فى الوقت نفسه تجعله يتناول وجباته الغذائية فى أوقات ثابتة ، لأن نظام حياته مضبوط بدقات " آذان المساجد " حتى عملية إخراج الفضلات فإن الصلاة كمنظم لحياة الإنسان تعمل على أن تضبط توقيتها وهذا شيء صحى لعمل الجهاز الهضمى وللقضاء على الإمساك .

ويقول الدكتور/ رفعت كمال (فى مجلة آخر ساعة) " فالنظام الطبيعى هو تناول الطعام بكميات معتدلة فى الإفطار والغذاء والعشاء ثم تناول بعض المواد الغذائية البسيطة مثل البسكويت مع فنجان الشاى بين الوجبات فهذا يؤدى إلى هضم منظم وامتصاص منظم بينما الأكل مرة واحدة وبكمية ضخمة من الأطعمة يؤدى إلى سوء الهضم وسوء الامتصاص . وذلك يكون الأكل عرضة للتخمر بالأمعاء مما يؤدى إلى الشعور بالكسل والخمول والميل إلى النوم " ويضيف " وإذا يمكننا أن نقول الآن إن تنظيم الطعام توقيتا وكما نوعا هو الأساس فى تنظيم الجهاز الهضمى وعدم الشكوى منه ، وكلمة المصران الغليظ هو مرض المصريين والعرب هذا ليس صحيحاً بل إن ذلك ناتج من سوء استعمالهم لجهازهم

الهضمى ، كالسيارة مثلا يوجد من يحسن استعمالها كما يوجد من يسىء استعمالها . فالجهاز الهضمى إذا اضطرب فهو ناتج عنا ويجب أن نعالجه بحكمة وأن نعدل نظام طعامنا حتى لا يضطرب مرة أخرى وبهذا يمكن القضاء على أمراض الجهاز الهضمى " .

ولو نظرنا إلى سنة الرسول الكريم لوجدنا أن تنظيم الطعام كما ونوعا وتوقيتا ، هو حجر الزاوية فى الهدى النبوى لمسألة الطعام :

أ- فمن ناحية الكمية نجد هذه الأحاديث :

" بحسب ابن آدم لقيمات يقمن بها صلبه ، فإن كان لابد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه " (قم عن الطعام وأنت تشتهيه) وهذه المعانى تتفق تماما مع الأمر الإلهى :﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾[1]

ب- من ناحية النوع :

" كان الرسول (ﷺ) يهتم بأنواع الأكل ذات العناصر الغذائية القيمة ، ولقد عرفنا اليوم أن هذه المواد تحتوى على بروتينات ودهنيات وسكريات ومعادن وفيتامينات ونشويات . نجد هذا واضحا فى أحاديثه (ﷺ) فيقول عن اللحم : الذى يحتوى على نسبة عالية من البروتينات هو سيد طعام أهل الدنيا والآخرة. (ابن ماجة) .

وكان (ﷺ) يقول عن اللبن- الذى يحتوى على معظم العناصر الغذائية " فإنه ليس شىء يجزى من الطعام والشراب إلا اللبن " .

---

(١) الأعراف.

ويقول الدكتور نجيب الكيلانى - فى مجلة المسلم المعاصر العدد ٢٣ سنة ١٩٨٠ . " هذا وقد ورد فى القرآن أسماء أطعمة كثيرة كالعسل واللبن والتفاح والرمان والسمك واللحم والتين والزيتون والرطب والفاكهة عموماً".

وغير ذلك كثر أيضاً ورد ذكر بعضها فى الأحاديث النبوية ، بمناسباتها وأحيانا بفائدتها وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على اهتمام الطب النبوى بالأسس الصحية للغذاء ، وأفضل الوسائل لإعداده ، بل إن الرسول (ﷺ) رسم لنا طريقة الأكل ، وطريقة الجلوس أمام الطعام ، وعدم النوم بعد الكل مباشرة وعدم الشرب أثناء الأكل أو عقبه مباشرة ، لأن كثرة الماء تؤثر كما نعلم اليوم على علمية الهضم وتخفيف العصارة الهاضمة ، فيقل تركيزها ، ويضعف مفعولها وتتسبب فى عصر الهضم ومتاعبه.

جـ - من ناحية التوقيت :

فإن أعظم تنظيم فى حياة الإنسان ينبع من الصلاة . ويقول الدكتور الفنجرى " نجد أن مواعيد الصلاة وتوقيتها الدقيق يهدف بجانب العبادة إلى تنظيم حياة الإنسان فى عمله ونومه وطعامه ، فصلاة الفجر تلزمنا بالاستيقاظ المبكر والنوم المبكر" . وهذا أيضاً يلزمنا بتناول وجبه الفطور مبكرا والتبكير أيضا بالعشاء .

والنوم بعد الأكل مباشرة يسبب عسر الهضم ، وكثرة الغازات ، ويربى التخمة والكرش والإمساك وهذه الأغراض قد تؤدى بدورها إلى سوء رائحة الفم والنفس . ولذلك فقد جاء الإسلام بتشريعات مذهلة تضطر

المسلم ألا ينام قبل انقضاء ساعة على الأقل بعد طعامه ، بحيث تكون عملية الهضم قد انتهت " .

وفى الحديث " أذيبوا طعامكم بالذكر والصلاة ، ولا تناموا عليه فتقسوا قلوبكم " .

والصلاة تقضى على ظهور ما يسمى " بالكرش " عن طريقتين :

أولاً : عدم تناول كمية كبيرة من الطعام فى الوجبة الواحدة حتى لا تتعود المعدة والأمعاء على التمدد من جراء ذلك .

ثانياً : أن الحركات الجسدية التى يقوم بها المصلى والتى تؤدى كما كان يفعل الرسول الكرم من قام وركوع وسجود تمنع الارتخاء العضلى فى عضلات البطن .

وقد قال إن هناك أناسا يصلون ومع ذلك يظهر لهم " الكرش " وللرد على ذلك نقول : إنهم لا يؤدون الصلاة الصحيحة فهم لا يحرصون على أن تظل عقولهم يقظة ونشطة بتناولهم كمية كبيرة من الطعام فى الوجبة الواحدة . وعندما يمارسون الصلاة لا يؤدونها كما كان يفعل الرسول الكريم فلا يحدث الشد العضلى الكافى لعضلات البطن عندهم خاصة فى الركوع والسجود . وفى الحديث " إياكم والبطنة فإنها مفسدة للدين مورثة للسقم ، مكسلة عن العبادة " وأيضاً فى الحديث " وأعوذ بأمتى من كبر البطن ومداومة النوم والكسل " .

ويقول " بنيامين فرانكلين " إن تسعة رجال فى كل عشرة يقتلون أنفسهم من غير عمد والحق ما قال فالذين عناهم فرانكلين يختصرون سنوات من حياتهم بتجاهلهم قواعد الصحة وقوانينها .

إنهم إما يكتنزون لحما وشحما بالإفراط فى الطعام وإهمال الرياضة، أو يوهنون حيويتهم فى الإقلال من الطعام ، وهم على الحالتين يفسدون معداتهم ويعرقلون عملة الهضم فإذا أظهرت الطبيعة احتجاجها على خرقهم قوانينها راحوا يعالجون ظواهر أمراضهم بالقهوة والمشروبات الروحية أو المكيفات من أى نوع كانت ، وتكون النتيجة إنهاكا محتما للبدن وأجهزته مما يختصر العمر ويختزل الحياة.[1]

❑ **الصلاة .. والرياضة .. المنتظمة :**

إن أبلغ تأثير للصلاة نجده واضحا على الجسم فالآخرون يمكن أن يلاحظوا ، كما أن الإنسان نفسه يشعر به . وإذا قابل المرء إنسانا ولاحظ عليه بعض الصفات الجسدية يمكن أن يحكم عليه فيقول بأن هذا ضابط لأن روتين الحياة العسكرية اثر فى جسمه فجعله مشدود القامة ومصافحته قوية ، وغر ذلك من الصفات التى تطبعها الحياة العسكرية .

نفس الشىء يحدث عند الصلاة على نفس الهيئة التى كان الرسول الكريم يؤديها فإنها تطبع الجسم بصفات معينة . هذه الصفات لا نجدها واضحة عند الذى لا يصلى أو عند الذى لا يصلى الصلاة الصحيحة التى أمرنا بها الرسول ﷺ فيقول " صلوا كما رأيتمونى أصلى ".[2]

إن الذى يصلى الصلاة الصحيحة لابد أن يكون معتدل القامة ، مرن الحركة نشطا ولا يكون له " كرشا " يقسم جسمه إلى جزئين . فكما أن الكلية الحربية تخرج الطلبة ولهم صفات جسدية معينة ، فكذلك الصلاة الصحيحة تخرج مسلمين لهم صفات متميزة ، يلاحظها الآخرون عليهم

---

(١) افتح لنفسك فرصة .
(٢) البخارى .

ويقال إن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وجد رجلا يصلى وهو منحنى القامة فلا هو قائم ولا هو راكع فنهره عمر بن الخطاب وقال ما معناه لا تمت علينا ديننا ، أماتك الله . ورأى رجل يطاطئ رقبته مظهراً للخشوع فقال له : " أرفع رأسك فإن الخشوع فى القلوب وليس الخشوع فى الرقاب" .

الصلاة بها حركات جسدية منتظمة فى أوقات ثابتة ، ومستمرة فى اليوم الواحد وفى كل يوم ، فإذا كانت هذه الحركات الجسدية تفيد الجسم فإن هذه الفائدة تصبح متواصلة بحكم أن الصلاة دائمة . ويقول " كورتنى . د. فارمر " ليس المقصود من ممارسة التمرينات الرياضية تنمية العضلات إلى درجة التضخم بل كل ما نرغب هو ممارسة تمرينات تساعدك على الاحتفاظ بصحتك ، إذ أن أول هدف فى أهدافنا أن نؤمن أن نمو الجسم وتطوره . يجب أن يصبح عادة صحية أكثر منها واجبا ضروريا.[1]

وفى آخر الكتاب يضع " كورتنى . د . فارمر " بعض التمرينات الرياضية ويقول " لو أن الفرد قضى خمس دقائق فقط كل يوم فى المساء وفى الصباح فى أداء أحد هذه التمرينات فسوف يحس بنتيجة فعلية فى نهاية الأسبوع الأول".[1]

ولو نظرنا إلى التمرينات التى ينصح بها هذا المؤلف نجدها تحرك لعضلات الجسم وهو نفس الدور الذى تقوم به الصلاة . ويقول الدكتور محمد زكى سويدان " إن ممارسة التمرينات الرياضية فى انتظام واستمرار ضرورة لاستمرار الرشاقة والمرونة وخفة الحركة واستمرار الشباب

---

(١) صحتك بين يديك .

والقـوة " . وأفضـل أنـواع الرياضـة هـى السـباحة والـتجديف ولكـن الصـلاة تفوقهـا جمـيعا إذ أنهـا تـؤدى فـى أى مكـان مناسـب ولا تتطلـب إمكانـيات موائمـة وتشـمل حـركات جمـيع مفاصـل الجسـم وبهـذا يكتسـب الجسـم قـوة ومرونة فى الحركة.[٢]

والحـركات الجسـدية الـتى تمـارس فـى الصـلاة لا تـؤدى مـرة صـباحا ومـرة مسـاء فقـط ، كمـا ينصـح مؤلـف كـتاب " صـحتك بيـن يديـك " إنمـا تـؤدى خمـس مـرات فـى الـيوم علـى الأقـل . والدافـع إلـيها لـيس مجـرد الحصـول علـى الصحة، وإنما الدافع أكبر وهو رضاء الله سبحانه وتعالى .

" كورتـنى . د . فارمـر" ، يوضـح لقـرائه وصـفا للجلسـة الصـحيحة والوقفـة الصـحيحة . ولـو نظـرنا إلـى الصـلاة نجـد أن هيـئة الرسـول () فـى القـيام والـذى يجـب أن يكـون أسـوة للمصـلين ، كـان يقـف معـتدلا مقـيما صـلبة مـع الطمأنيـنة وفـى الجلـوس مجلـس مسـتويا مقـيما صـلبة مـع الطمأنيـنة. وهـذا مـا يطلـبه " كورتـنى د. فارمـر " كتماريـن مـن تماريـن الصـحة : وإن تعـود المصـلين علـى الوقفـة الصـحيحة فـى القـيام والجلسـة الصـحيحة فـى القعـود أثناء قراءة التشهد يجعل ذلك من صفاتهم بحكم أن الصلاة لا تتوقف .

وأن الاعـتدال فـى القامـة الـذى تطـبعه الصـلاة الصـحيحة فـى جسـم المصـلى يؤثـر فـى التـنفس فـيقول " مـن المحـال أن يكـون التـنفس صـحيحا فـى شـخص قوامـه غـير معـتدل . إذ أن الـرأس تكـون فـى القـوام الصـحيح مـرتفعة والكتفيـن إلـى الخلـف ممـا يسـاعد قدرتـه علـى مـلء رئتـيه بمقـدار كـاف مـن

---

(١) نفس المرجع السابق .
(٢) الصلاة صحة ووقاية وعلاج .

الأوكسجين على العكس ممن لا يسمح قوامه إلا بالتنفس السطحى السريع".[1]

ويلخص " كورتنى . د . فارمر " (حكمته بقوله) وإن الجسم السليم نتيجة طبيعية للمعيشة المنتظمة[2] . وهل هناك أعظم منظم للمعيشة من الصلاة التى تربط حياة الإنسان بنظام يومى ثابت من صباحه حتى مسائه من صلاة الصبح حتى صلاة العشاء .

والجسم البشرى مثل أى آلة ، إذا أدت عملها فى انتظام حافظت على سلامتها ولكن إذا استخدمت بطريقة مضطربة فوضوية استهلكت بسرعة . وإذا كانت الإحصائيات تخبرنا بأن الوظائف تؤثر فى حياة الناس فحياة الطبيب لأنها غير منتظمة نجد أن أعلى نسبة للإصابة بالأمراض الخطوة مثل مرض القلب يتعرض لها الأطباء ، عكس المدرسين ، لأن روتين الحياة الدراسية ينظم الآلة البشرية للمدرس .

كذلك بالنسبة لأئمة المساجد فلأن الصلاة تنظم حياتهم ، فإنهم بذلك يكونون أقل عرضه للإصابة بالأمراض الناتجة عن اضطراب المعيشة . ولو أخذت إحصائيات لنسبة الذين يصلون إلى سن المعاش بالنسبة لعدد الذين يعملون فى كل وظيفة فمن الأرجح أن يحتل أئمة المساجد المركز الأول ، لأن الصلاة تنظم حياتهم .

وهناك قول (الذى أوتى الصحة يؤتى الأمل والذى يؤتى الأمل يؤتى الشىء الكثير) . ويقول " جوردون بايرون " (إن الرياضة هى الزيت الذى يجعل حركة الجسم تدور فى مرونة وسهولة).[3] ،

---

(١) صحتك بين يديك .
(٢) نفس المرجع السابق .
(٣) أتح لنفسك فرصة .

ويعتبر جوردون بايرون أن أهم قواعد الصحة هى الرياضة المنظمة ، وهذا ما تقوم به الصلاة . ويقول الدكتور محمد زكى سويدان " عن حركات الصلاة " إن هذه الحركات هى فى الواقع تمرينات رياضية رفيعة المستوى لا تدانيها ممارسة عملية أخرى) . ويضيف (وإذا استعرضنا الحركات فى كل ركعة نجد أنها تشمل انقباضات لجميع عضلات الجسم متضمنة حركات لجميع المفاصل) ثم يقول (وقد أصبح من الثابت المسلم به أن التمرينات الرياضية ينبغى ألا تقتصر على مجموعة معينة يقصد تصغير أو تضخيم جزء معين من العضلات بل ينبغى أن تتناول الرياضة جميع عضلات الجسم للحصول على تناسق عام من الجسم كله).[1]

❑ الصلاة والاسترخاء :

عمل العضلة هو انقباض واسترخاء ، وأثناء انقباض العضلة يؤدى الإنسان مجهودا عصبيا لأن الأعصاب المتصلة بهذه العضلة المنقبضة تكون متوترة أما الاسترخاء فهو تحرر من ذلك التوتر العصبى وكل عضلة متصلة بأعصاب تنقل إليها أمر الحركة الصادر إليها من المخ بالانقباض أو الاسترخاء . فإذا كانت العضلة منقبضة فإن ذلك يعنى أن هناك توترا فى الأعصاب كلها ، والعكس صحح فإن استرخاء العضلة يعنى أن الأعصاب المتصلة ليست متوترة .

ومن محصلة مجموع توترات الأعصاب المتصلة بالعضلات المنقبضة فى الجسم يكون هناك التوتر العصبى ، وبالتالى فإن الإنسان الذى تعودت عضلات جسمه على الانقباض وهى لا تؤدى عملا تحتاج من

---

(١) الصلاة صحة ووقاية وعلاج .

أجلـه أن تنقـبض فـإن أعصـابه تـأخذ صـفة الـتوتر . ولذلـك فالـتوتر العصـبى عـادة والاسـترخاء أيضـا عـادة وهـذا الأمـر يلاحـظ حتـى لشـخص ينام عـددا مـن السـاعات كافـيا لراحـته ولكـنه يسـتيقظ مـن الـنوم أكـثر إرهاقـا . إن السـبب فـى ذلك هو أن عضلات جسمه كانت متوترة قبل أن ينام .

هـناك صـفة للعضـلات " اسـمها القصـور الذاتـى " أى أن العضـلة إذا كانـت بادئـة عملـية الانقـباض فإنهـا تسـتمر فـى هـذا الانقـباض حـتى ولـو لـم تـتدخل إرادة الشـخص فـى هـذا الانقـباض العضـلى وهـذا مـا يحـدث لاسـتمرار عملـة انقـباض العضـلات والـتوترات الخاصـة بالأعصـاب المتصـلة بهـا أثـناء فـترة الـنوم . والعكـس صـحيح إذا بـدأ الإنسـان الـنوم وعضـلاته مسـترخية فإنهـا تسـتمر فـى الاسـترخاء أثـناء فـترة نومـه فيسـتيقظ مـن نومـه وهـو مستريح تماما ، ولذلك ينصح الأطباء الناس بأن يسترخوا قبل النوم .

ولشـرح الاسـترخاء وأهميـته لصـحة الإنسـان ، ظهـرت كثـير مـن الكتـب العلمـية مـن أهمهـا كـتاب " عـش هـادئ الأعصـاب " الـذى يوضـح كـيف تكتسب عادة الاسترخاء .

وهـناك بديـل لعملـة التدريـب علـى الاسـترخاء ألا وهـو الصـلاة . وهـذا الكـلام يقولـه عـالم طبيـب يـزن كـل كلمـة مـن كلامـه ، ويسـتخلص هـذه الحقـيقة مـن بيـن خـبرته الطويلـة ، وتجاربـه الكثـيرة . ويقـول الدكـتور " تومـاس هـا يسـلوب ": (إن مـن أهـم مقومـات الـنوم الـتى عرفـتها فـى خـلال سـنين طويلـة قضـيتها فـى الخـبرة والـتجارب هـو الصـلاة وأنـا ألقـى هـذا القـول بوصـفى طبيـباً فهـى أهـم أداة عرفـت إلـى الآن لبـث الطمأنيـنة فـى الـنفوس وبـث الهـدوء فـى

الأعصاب) ، ويعلق ديل كارنيجى على هذا الكلام بقوله" فإذا لم تكن متدينا فتعلم الاسترخاء بالوسائل الطبيعية".[1]

الصلاة والرعاية الطبية :-

الصلاة وقاية لكثير من الأمراض التى يتعرض لها الجسم وهى أيضاً علاج لأمراض أخرى . وقد كتب فى هذا الموضوع باستفاضة علمية أستاذ للأمراض الباطنية بكلية طب عين شمس هو الدكتور " محمد زكى سويدان " وهو يتناول الصلاة من الناحية الطبية ويلخص نتيجة ما توصل إليه من بحث فى هذا الميدان بقوله " فاستوثقت أنها أهم سبل الوقاية من الأمراض المعدية والطفيلية كما أنها أرقى النظم للمحافظة على الصحة.[2]

الصلاة تقى من الأمراض :-

إن النظافة وهى الشرط الضرورى للصلاة من اغتسال ووضوء واستنجاء .

هى عامل حاسم فى الوقاية من الأمراض المعدية فإن غسل اليدين والساعدين فى الوضوء ينظفها من التلوث بالجراثيم ولذلك يقول الدكتور سويدان " إن غسل اليدين يقى المرء نفسه من أن يعدى نفسه عن طريق تناول الطعام بيديه كما يقى غيره " ويقول أيضاً ولكى يتم تنظيف الأيدى على الوجه الأكمل فإنه يجب قص الأظافر حتى لا تتراكم القاذورات تحتها

(١) دع القلق وابدأ الحياة .
(٢) الصلاة صحة ووقاية وعلاج .

ويتعذر التخلص منها ومما يكون عالقا بها من جراثيم وعلى هذا فإن قص الأظافر شرط أساسى لصحة الوضوء .

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رجلا توضأ فترك موضع ظفر على قدمه فأبصره النبى ﷺ وقال ارجع وأحسن وضوءك فرجع ثم صلى .[1]

وهنا نرى فى الحديث السابق كم كان الرسول ﷺ حريصا على إتقان العمل والصبر على تفاصيله ، ذلك الصبر الذى يعتبره "هارولدفنك" سر التفوق . حتى موضع الظفر لا يهمله المصلى فى وضوئه. هذا هو تفوق الإتقان فى الأداء .

والصلاة مدرسة لتعلم الصبر على أداء العمل بتفاصيله . والله سبحانه وتعالى يقول فيها : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾.[2]

ومضمضة الوضوء هى غسيل الفم بالماء ، فإن الدفء الموجود بالفم بالإضافة إلى الرطوبة الموجودة به مناخ مناسب لنمو الجراثيم خاصة جراثيم التسوس ، فالمضمضة تغير لهذا المناخ ، ولا يكتفى بالصلاة بالمضمضة فقط فإن الرسول (ﷺ) يقول لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة .[3]

المشقة هنا تأتى من الحد الأقصى وهو استخدام السواك لكل صلاة إذن هناك حد أدنى لابد من إتيانه وهو لا يقل عن مرة فى اليوم بأى حال من الأحوال .

---

(١) نفس المرجع السابق .
(٢) طـه .
(٣) نيل الأوطار .

بل يجب على المسلم أن يستخدم السواك عندما يتغير طعم الفم خاصة عند القيام من النوم . أى مع صلاة الصبح .

وقبل النوم أى عند صلاة العشاء ويمكن أن يقوم مقام السواك الفرشاة ومعجون الأسنان ، فالهدف هو تنظيف الفم والأسنان ويقول الرسول (ﷺ) السواك مطهرة للفم ومرضاة للرب .[1]

ويقول الدكتور " حسن رستم مدير بإدارة الثقافة الصحية " ولفظ السواك يقصد به عملية سواك الأسنان سواء بالسواك الخشبى المعروف أو بفرشاة ومعجون أسنان . وعملية السواك بالطريقة السليمة كفيلة بأن تزيل كل ما علق بالأسنان وما بينها من فضلات الطعام التى لو بقيت لتحللت وتعفنت وأضرت اللثة والأسنان وهذا يعرض الإنسان للكثير من المتاعب الآلام بداية من عجزه عن تناول الغذاء وما يعقب ذلك من سوء تغذية واضطراب فى الجهاز الهضمى علاوة على تأثير سموم بؤرة العفن للثة والأسنان المريضة على باقى أجزاء الجسم فتنتج التهابات المفاصل وتصلبها والتهاب المرارة ، والتهاب الكلى المزمن مما قد ينتج عنه ارتفاع فى ضغط الدم .. وكلها أمراض خطيرة لها عواقب وخيمة على صحة الفرد. وإلا أنه يمكن الوقاية منها بالعناية بنظافة الفم والأسنان ".[2]

لأهمية تنظيف الأسنان والفم على صحة الإنسان ، ربط الرسول (ﷺ) تنظيف الأسنان بالصلاة فى حديثه " لولا أشق على أمتى .. " حتى يجعل من نظافة الفم والعناية بالأسنان جزءا من نظام حياة المسلم يؤديه دون أن يفكر فيه وكأنه يتنفس الهواء .

---

(١) ابن ماجه .
(٢) مقالة بعنوان النظافة تحت باب الدين والطب فى إحدى الجرائد المصرية .

ونلاحظ أيضاً روح التفوق فى إتقان العمل ، عندما ينبهنا الرسول (ﷺ) إلى التخليل فى التنظيف فيقول ، تخللوا فإنه نظافة والنظافة تدعوا إلى الإيمان والإيمان مع صاحبه فى الجنة " ويضيف الأستاذ / محمد الغزالى " وقد اقترنت نظافة الوضوء ونظافة الطعام فى هدى النبى ﷺ فعن أبى أيوب قال : خرج علينا رسول الله فقال " حبذا المتخللون من أمتى . قالوا وما المتخللون يا رسول الله قال : المتخللون فى الضوء والمتخللون من الطعام . أما تخليل الوضوء فالمضمضة والاستنشاق وبين الأصابع . وأما تخليل الأسنان فمن الطعام " إنه ليس أشد على الملكين من أن يريا بين أسنان صاحبهما طعاما وهو قائم يصلى .[1]

وهناك فى الأسواق يباع ما يسمى " بالخلة " وهى أعواد رفيعة من الخشب للقيام بعملية تخليل الأسنان ، التى ينصح أطباء الأسنان القيام بها لتمام عملية التنظيف ، وخاصة قبل النوم .

هذا بالنسبة للفم ، أما بالنسبة للأنف فيقول الدكتور محمد زكى سويدان: " إن غسل الأنف يزيل إفرازات الأنف فى الأحوال المرضية التى تشاهد فى حالات الزكام والتهابات الأنف والجيوب الأنفية".[2]

وبالنسبة للوجه " يقول الدكتور محمد سويدان " يشمل غسل الوجه إزالة الغبار وإفرازات الجلد والقاذورات والجراثيم العالقة وغسيل العينين وما يتعرضان له من الجراثيم المختلفة وخاصة التى تنتشر بالحشرات وأهمها التراكوما والرمد الصديدى والرمد الحبيبى .[3]

---

(١) أحمد .
(٢) الصلاة صحة ووقاية وعلاج .
(٣) نفس المرجع السابق .

ثم يتعرض الدكتور " سويدان " لبقية الأجزاء التى يشملها الوضوء ويشرح أثر ذلك فى الوقاية من الأمراض التى يمكن أن تصبها حتى ينتهى إلى القدمين فيقول " هذا آخر جزء فى الجسم يغسل فى الوضوء لأنه أكثر أجزاء الجسم تعرضا للتلوث . وتعدد مرات غسل القدمين يشمل حل الحذاء والجوارب مع إطالة لبسها تساعد على تكاثر الجراثيم إذا أنها تهيئ مكانا دافئا رطبا ، لأنها تحفظ درجة حرارة الجسم وماء العرق بها".[1]

❑ الصلاة كعلاج :

والصلاة علاج طبيعى لبعض الأمراض التى تصيب الإنسان . ويقول الدكتور سويدان عن التمرينات التى تتضمنها الصلاة بجميع عضلات الجسم ومفاصلها ، ومن أعظم الفوائد لهذه التمرينات تقوية العمود الفقرى ومنع تيبسه وانحنائه ، ومداومة الصلاة تمنع هذه الظواهر التى تزداد فى الشيخوخة ومع تيبس العمود الفقرى تصعب حركة الجزع كما يؤدى إلى ضيق فتحات مخرج الأعصاب من النخاع الشوكى فينتج ضعف الأطراف وآلام بها خاصة عرق النساء ومع تقوية عضلات الظهر يقل أو ينعدم انزلاق الغضاريف فى الرقبة وأسفل الظهر والذى يحدث آلام بها شديدة فى الذراعين والساقين والمعروف بعرق النساء بل إن علاج هذه الآلام هى ممارسة التمرينات الرياضية بهدف تقوية عضلات الظهر وهى نفس حركات الركعات فى الصلاة .

---

(1) الصلاة صحة ووقاية وعلاج .

والصلاة تزيد من مركز التحكم فى تنظيم الدورة الدموية فى الجسم، ذلك الجهاز الذى نلحظ أثر ضعف قدرته أثناء الإصابة بأى نوع من الحمى مثل الأنفلونزا ، فيكثر الدوخان أو الوقوع ويشرح الدكتور سويدان بالتفصيل عمل ذلك الجهاز أثناء حركات الصلاة المختلفة فيقول " فعند الوقوف تنشط الانعكاسات العصبيةَ التى تؤدى إلى ضيق الأوعية الدموية بأسفل الجسم وخاصة فى الساقين حتى يتوفر الدم فى أجزاء الجسم العليا . وعند السجود فإن ضغط الدم فى مركز التحكم بالمخ وفى المنظمات من الشريان الأورطى والصباتى يرتفع فتنشط الانعكاسات العصبية التى تؤدى إلى اتساع الأوعية الدموية لجميع أجزاء الجسم فينخفض ضغط الدم ، وعند الانحناء فإن هذه الانعكاسات فى حالة توازن ولهذا فإنها تكون مرحلة متوسطة بين نشاط الانعكاسات فى الوقوف والنشاط العكسى فى السجود ، من هذا يتضح أن السجود يؤدى إلى انخفاض ضغط الدم أثناء فترة السجود ، وكلما طال السجود كلما طال انخفاض ضغط الدم . وقد تكون الصلاة أهم عامل فى ندرة الإصابة بضغط الدم فى الركوع والسجود فى الخاشعين ، كما أنها علاجا ناجحا للمصابين به هذا علاوة على ازدياد كفاءة مركز التحكم والمنظمات فى تنظيم الدورة الدموية بالجسم فيقل استعداد الجسم للإصابة بالدوار[1]، ومن ضمن ما يخبرنا به الدكتور سويدان عن وضع السجود أن القدماء فى الشرق الأقصى قد عرفوا أهمية هذا الوضع من الناحية الطبية فيما يسمى برياضة اليوجا .

---

(١) الصلاة صحة ووقاية وعلاج .

والتنفس الصحيح لا يحدث إلا لشخص معتدل القامة ، واعتدال القامة سمة مميزة للصلاة الصحيحة كما هو موضح فى الكلام السابق ويقول " كورتينى د. فارمر " التنفس الصحيح يشفى كثيرا من الأشخاص من ضيق الصدر ، والذين يعانون آلام الأعصاب يلاحظون تقدما ملموسا أيضا "[1] ويذكر لنا الدكتور سويدان أن التكبير والقراءة والتسبيح فى الصلاة تمرينات تنفس منتظمة .

ومن الأمراض الأخرى التى تعالجها الصلاة أو تساعد على عدم ظهورها أمراض مثل أمراض الجهاز الهضمى ، خاصة ما يسمى المصران الغليظ ، وسوء الهضم والإمساك هكذا نرى بوضوح كيف أن الصلاة تقوم برعاية المصلى طبيا عن طريق وقايته من بعض الأمراض ، وعن طريق معالجة أو عدم ظهور أمراض أخرى .

إذن الصلاة نمو فى النفس والعقل والجسم ومن محصلاتها تتكون حيوية الإنسان ، ونجد بوضوح أن الصلاة لها أثرها الواضح فى كل عنصر من عناصر تكوين الإنسان النفس ، والعقل ، والجسم . وبالتالى فالصلاة الصحيحة حيوية متدفقة لا ينضب معينها .

إنه من المرجح أن يكون المؤرخون قد اغفلوا عاملا هاما من عوامل انتصار المسلمين الأوائل وتكوين إمبراطوريتهم الواسعة فى هذه المدة القصيرة من الزمن .

ألا وهو الصلاة . التى كانت مصدرا هائلا من الحيوية فمن مدرسة المسجد خرجت الدفعة الإسلامية الأولى المدربة بالصلاة الصحيحة ومنها

(١) صحتك بين يديك .

كانوا يستمدون مصدر قوتهم وحيويتهم ، ولذلك حتى فى الحرب لم يكن مدد الحيوية المتدفق يتوقف وإنما كانت هناك صلاة الخوف .

فبقدر حرص المسلمين على أداء الصلاة الصحيحة ، بقدر حرصهم على مصدر قوتهم وسلامة إسلامهم ، ولذلك يصفها رسولنا الكريم بأنها عماد الدين ، وبدونها يفقد المسلم خاصية هامة من خواص إسلامه .

<u>يمكن إيجاز ما تقدم فى النتائج الآتية :</u>

- من أهم قواعد الصحة النظافة ، والغذاء المعتدل ، والرياضة المنتظمة، والعناية الطبية .
- الصلاة مرتبطة بالنظافة تماما . وشرط ضرورى لإقامتها الطهارة ، كذلك لابد من الوضوء بالإضافة إلى الاستنجاء .
- الصلاة تؤثر فى كمية الطعام ونوعيته وتوقيت تناوله ، فكمية الطعام الكبيرة فى الوجبة الواحدة تجعل العقل خاملا مما يتعارض مع تعقل الصلاة . وإذا كان عليه أن يتناول كمية معتدلة فلابد أن تكون من نوعية تفى باحتياجات الجسم بقدر الاستطاعة . والصلاة تنظم حياة الإنسان وبالتالى فهى تنظم له أوقات طعامه .
- إن تنظيم الطعام توقيتا وكما ونوعا هو الأساس فى تنظيم الجهاز الهضمى وعدم الشكوى منه كما يقول الدكتور رفعت كمال .

الصلاة تقضى على ظهور " الكرش " عن طريقتين :

<u>أولاً :</u> عدم تعود المعدة والأمعاء على التمدد لتناول كمية كبيرة من الطعام فى الوجبة الواحدة .

<u>ثانياً :</u> الحركات الجسدية أثناء الصلاة الصحيحة تمنع الارتخاء العضلى للبطن.

- كما تطبع الكليات العسكرية طلابها بصفات بدنية معينة كذلك الصلاة الصحيحة تطبع المسلمين بسمات بدنية مميزة .
- الصلاة تفوق أفضل أنواع الرياضة ، والفائدة منها متواصلة بحكم أنها دائمة .
- يتحقق فى الصلاة قول " كورتنى د. فارمر " ليس المقصود من ممارسة التمرينات الرياضية تنمية العضلات إلى درجة التضخم بل كل ما نرغب فيه هو ممارسة التمرينات التى تساعد على الاحتفاظ بصحتك.
- الصلاة تنظم الآلة البشرية وهى كأى آلة إذا أدت عملها بانتظام حافظت على سلامتها .
- الصلاة تساعد على الاسترخاء . ويقول الدكتور هايسلوب " الصلاة هى أهم أداة عرفت إلى الآن لبث الطمأنينة فى النفوس وبث الهدوء فى الأعصاب " .
- الصلاة وقاية من بعض الأمراض ، فالنظافة التى تتطلبها الصلاة عامل حاسم فى ذلك .
- الصلاة علاج لبعض الأمراض ومنها منع تيبس العمود الفقرى وانحناؤه وهى تنظم الدورة الدموية وتؤدى إلى انخفاض ضغط الدم . وقد تكون أهم عامل فى عدم الإصابة به ، والصلاة تساعد على التنفس الصحيح .
- من المرجح أن يكون المؤرخون قد اغفلوا عاملا هاما فى انتصار المسلمين الأوائل ألا وهو الصلاة وبقدر حرص المسلمين على أداء الصلاة الصحيحة بقدر حرصهم على مصدر عزتهم .

الباب الثالث

الصلاة والتركيز الذهنى

- تركيز الذهن أثمن اقتراح.
- الصلاة ومشتتـات الانتباه.
- الاهتمام في الصــلاة والانتباه لها.
- الإمام الغزالى والتركيز الذهني في الصلاة.
- علاج مشتتات الانتباه عند الغزالي.
- التركيز الذهني والتــدريــب عليـه.
- التركــيز الذهنـــي فـــي كــل خطــوة مـــن خطــوات الصـــلاة (تكبــيرة الإحـــرام، الفاتحـــة، القـــرآن فـــي الصـــلاة، الـــركوع، الســـجود، التشهد).

الصلاة والتركيز الذهنى

❑ تركيز الذهن اثمن اقتراح :-

من منا لم يشعر أن صلاته ليست كاملة ، لأن فكره شت منه وهو يصلى ، وهرب فى موضوعات دنيوية أخرى لا علاقة لها بالصلاة ؟. ومن منا لم يتمنى أن يشغل عقله بالصلاة فقط أثناء إقامتها ، وانتابه الضيق لأن الخواطر الدنيوية ومشاكل الحياة تضيع منه معظم صلاته. إن لم تكن كلها؟.

إن تشتيت الانتباه فى الصلاة مرض يشتكى منه الجميع ، وليس تشتيت الانتباه مقصورا على الصلاة فقط ، وإن كانت هى أهم عمل. بل على معظم حياة الإنسان ويقول " ويليم مارستون " إن عصرنا هذا هو عصر تشتيت الذهن ، بما فيه من مقاطعة إما من التليفون أو من الأصدقاء، أو الضجيج أو المخاوف أو هروبنا نحن من الواقع. ولابد أن يتم عملنا تحت ظروف لا تساعد على التركيز ومع ذلك فإن نجاح الشخص في عالمنا المتخصص يزداد اعتمادا علي التركيز . فالتركيز ليس مهما للعمل فحسب ، بل ولزيادة الحياة الداخلية غنى وخصوبة".(١)

وعند التحدث فى موضوع التركيز الذهنى لابد من الاستعانة بعلم النفس الذى يدرس الانتباه ومشتتات الانتباه ، فالتركيز الذهنى هو عادة يمكن اكتسابها كأية عادة أخرى . واكتساب عادة التركيز الذهنى يعتبرها " أرنولد بنيت " اثمن اقتراح يعرض على الإنسان فى حياته ويشجع القارئ بقوله " هيا حاول سيطر على ذهنك وانظر كيف تعالج هذه

---

(١) المختار يوليه ١٩٦٥ .

العملية نصف الشرور فى حياتك ولاسيما القلق هذا المرض التعس المخجل الذى لا مناص منه ... القلق ".[1]

ومن الذين ألقوا الضوء على موضوع التركيز الذهنى وعلاقته بالصلاة حجة الإسلام أبو حامد الغزالى وتعرض لهذا الموضوع باستفاضة علمية فى كتابه (أسرار الصلاة) وكأنه عالم من علماء النفس المعاصرين ولا يختلف عما يقولون إلا فى الألفاظ فقط ، لأن لكل عصر ألفاظه الشائعة فى الاستخدام .

ويميز " وليم مارستون " بين قوة تركيز الذهن كقوة يملكها كل إنسان ، والسيطرة على هذه القول فيقول : " إن السيطرة على قوة التركيز لا القوة نفسها هى التى تحتاج إلى مران .. والقوة موجودة بالفعل . كل ما عليك أن تثيرها حتى تلبى نداءك . فإذا تعلمت كيف تجعل مكانتك كلها تتركز فى المشكلة التى أمامك دون أن تشتت فإنك ستجنى ثمرتين ، فسوف يزيد عدد الأعمال التى تستطيع إنجازها ، وفى الوقت نفسه ستزيد السعادة التى تشعر بها وأنت تنجزها ".[2]

❑ الصلاة ومشتتات الانتباه :

العقل مناط التكليف فى الإسلام ، والإسلام يحرص عليه يقظا . والمسلم لا يأخذ من صلاته إلا ما عقل منها ، فالصلاة أولى الأوقات بتركيز الذهن وعندما بدأت آيات القرآن الكريم فى تحريم الخمر ربطت ذلك بالصلاة، إذا الصلاة وبنص القرآن أهم فترة تحتاج إلى تركيز الذهن:

---

(١) المختار مايو ١٩٥٨ .
(٢) المختار يوليو ١٩٦٥ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ ﴾، حتى يكون العقل يقظا ، ولذلك كانت تكملة الآية الكريمة ﴿ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾.[1]

إذا عندما نريد تركيز انتباهنا في الصلاة لابد من البعد قدر الإمكان - إن لم يكن تماما - عن المشتتات الخارجية عن الإنسان ، وان ندرب أنفسنا على مكافحة المشتتات الداخلية النابعة من الفرد ذاته. ويقول الأستاذ / أحمد عزت راجح (أستاذ علي النفس) " يرجع العجز في الانتباه إلى عدة عوامل بعضها يرجع إلى الفرد نفسه وهذه عوامل جسمية ونفسية، وبعضها إلى عوامل خارجية طبيعية واجتماعية.[2]

والرسول الكريم علمنا كيف نقاوم مشتتات الانتباه الخارجية والداخلية ، حتى تصفو لنا لذة العبادة في الصلاة ، فالرسول (ﷺ) عندما حث المسلمين على استخدام السواك عند الصلاة في حديثه " لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة [3] " فضلا على ما في السواك من منفعة صحية للثة والأسنان.

إلا أنه يفيد في ناحية تركيز الذهن أيضا في ناحيتين :

أولا فالسواك ينظف الفم من أي بقايا طعام ، حتى لا يكون المصلي منشغلا بتذوق ما يتبقى في فمه من طعام أثناء الصلاة والرسول – (ﷺ)

---

(١) النساء .
(٢) أصول علم النفس .
(٣) نيل الأوطار .

يقول : " ليس اشد على الملكين من أن يريا بين أسنان صاحبهما طعاما وهو قائم يصلى ".[1]

ثانيا : وأيضا تنظيف الأسنان خاصة عند كل صلاة يزل أو يضعف أية رائحة كريهة للفم يمكن أن تضايق ما يجاور المصلى من المصليين فى صلاة الجماعة ، فتقلل قدرتهم على تركيز أذهانهم فى الصلاة .

وبهذا الحس العظيم يقول الرسول ﷺ للذين يتناولون أنواع الأكل التى لها رائحة نفاذة تؤثر على المصليين ألا يذهبوا إلى صلاة الجماعة بهذه الرائحة.

وقد أسقط الإسلام سنة الجماعة فى المسجد عن من أصيبوا بعلل تجعل روائح أفواههم وأجسادهم كريهة .

وعن جابر أن النبى (ﷺ) قالوا : " من أكل الثوم والبصل والكرات فلا يقربن سجدنا ، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم[2] . حتى الرائحة النفاذة ولو كانت طيبة كالتى تنبعث من النساء ، نهى عنها الرسول الكريم حتى لا تشتت انتباه المصلين .

عن زينب أمرأة عبدالله قالت : قال لنا رسول الله (ﷺ) ، إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تمس طيباً ".[3]

ومن نظام الصلاة فى المسجد أن تكون الصفوف الأولى للرجال ، والأخيرة للنساء وصفوف الصبيان الذين لم يبلغوا الحلم فى الوسط كعازل، حتى تصفوا أذهان الرجال والنساء للعبادة . وفى الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه " خير صفوف الرجال أولها ، وشرها آخرها . وخير صفوف النساء آخرها ، وشرها أولها " .

---

(١) أحمد .
(٢) نيل الأوطار .
(٣) مسلم .

والصلاة لها آداب معينة تحفظ لعقل المصلى ذهنه من التشتيت البصرى . فإن المصلى يجب أن ينظر إلى موضع سجوده ، أى إلى نقطة ثابتة أثناء القيام . وأثناء ركوعه ينظر إلى ظاهر قدميه وإلى أرنبة أنفه ساجداً ، وإلى حجره جالسا ، وإلى المنكبين مسلما . أى تكون هناك نقطة ثابتة يضع فيها المصلى بصره حتى لا يثبت منه ، وبالمعنى الطبى يصبح المجال البصرى المصلى محدودا .

ويقول الرسول (ﷺ) : " لو يعلم المار بين يدى المصلى ماذا عليه لكان أن يقف أربعين خيرا له من أن يمر بين يديه ".[1]

وفى الحديث السابق بينه الرسول (ﷺ) المسلمين آلا يقتحموا المجال البصرى للمصلى ، حتى لا يشتوا انتباهه . وفى الحديث ذكر الرسول كلمة (أربعين) وقيل فيها : يوما أو شهر أو سنة أو المقصود إشعار من ينتهك حرمة المجال البصرى للمصلى بفداحة ما قام به .

ومن يخرج عن دائرة المجال البصرى المحدد له فى الصلاة ويلتفت فإن الله سبحانه وتعالى لا ينظر إليه .

وعن أبى دائرة أن النبى (ﷺ) قال : " لا يزال الله مقبلا على العبد فى صلاته ما لم يلتفت ، فإذا صرف وجهه انصرف عنه ".[2]

ويحكى عن عمر رضى الله عنه أنه قال لبعض الناس الذين يقومون ببناء مسجد بأن لا يطلوه بالألوان أو النقوش حتى لا تشد تلك الألوان والنقوش المصلى وتضعف تركيز ذهنه .

---

(١) البخارى .
(٢) نيل الأوطار .

قال الإمام البخارى قال عمر (ﷺ) " ابن للناس ما يمكنهم وإياك ان تحمر أو تصفر فتفتن الناس "

ومن ضمن عناصر تشتيت الانتباه ارتفاع درجة الحرارة ، وعن انس قال : " كان النبى (ﷺ) إذا اشتد البرد بكر بالصلاة . وإذا اشتد الحر ابرد بالصلاة ".[1]

وشرح الدكتور محمد إسماعيل عبده معنى الحديث بقوله (إذا اشتد الحر استحب الإبراد . وهو تأخير الظهر وهو تأخير الظهر حتى يهدأ لفح الشمس . ومثل الظهر ذلك فى الجمعة).

وهنا الرسول (ﷺ) يتكيف مع عامل ارتفاع درجة الحرارة حتى لا يتشتت انتباه المصلى .

وأيضا الضوضاء تؤثر على الانتباه وتشتته . ولذلك فمن الأفضل للمصلى أن يتخذ مكانا هادئا حتى يؤدى فيه عبادته . ويطلب منا الرسول (ﷺ) أن نتصدى لمن يحدث ضوضاء فى المسجد وما رواه الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال : إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع فى المسجد فقولوا : لا أربح الله . تجارتك ، وإذا رأيتم من ينشد ضالة فى المسجد فقولوا لا ردها الله عليك .

وعن معاوية بن الحكم ان النبى (ﷺ) قال : إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما التسبيح والتكبير وقراءة القرآن ".[2]

هكذا رأينا كيف عالج الإسلام المشتتات الخارجية والداخلية للانتباه من رائحة نفاذه ، ومن تشتيت بصرى ، ومن تغير فى درجة الحرارة .

---

(١) البخارى

(٢) مسلم

ومن ضوضاء حتى يحصر ذهن المصلى فى دائرة الصلاة. لكن ليست العوامل الخارجية هى كل ما يشتت انتباه المصلى ويهتم لها الفكر الإسلامى ولكن هناك العوامل الداخلية أيضاً ويقول عنها الأستاذ أحمد عزت راجح .

والتعب والإرهاق الجسمى وعدم النوم والاستحمام بالقدر الكافئ وعدم الانتظام فى تناول وجبات الطعام أو سوء التغذية أو الاضطراب فى الغدد الصماء هذه العوامل من شأنها أن تنقص حيوية الفرد وأن تضعف قدرته على المقاومة بما يشتت انتباهه ".[1]

والصلاة كأثر من آثارها تحافظ على صحة الإنسان الجسمية ، فتقلل إصابته بالتعب والإرهاق وتجعله ينتظم فى غذائه فهى تنظم آلته البشرية وتحفظ له حيويته (مشروح فى الجزء الخاص بالصلاة والجسم).

والفكر الإسلامى يعالج عوامل تشتيت الانتباه الداخلى جسماً ونفسيا ويقول الأستاذ محمد إسماعيل عبده: " من الدوافع النفسية ما هو أولى فطرى تتوقف على إشباعه حياة الإنسان وحفظ نوعه كالبحث عن الطعام وإفراز الفضلات ، والراحة والميل الجنسى ، يترتب على جوع هذه الدوافع توتر نفسى شديد يتعذر معه إقبال النفس على العبادة وغيرها من الأعمال التى تتطلب الصفاء وفراغ البال ، فمن حق الشارع أن يحكم بكراهة الصلاة فى الحالات التى تتأثر فيها هذه الدوافع من حضور طعام شهى ، أو مدافعة بول أو غائط ، أو مغالبة نعاس أو نوم (العبادات فى الإسلام).

---

(١) اصول علم النفس

١-عن عائشة قالت سمعت الرسول (ﷺ) قال: (لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافع الأخبثين).[١]

٢-عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى (ﷺ) قال: (إذا قام أحدكم من الليل فاستعجم القرآن على لسانه فلم يدر ما يقول فليضجع).[٢]

وفى كتاب العبادات فى الإسلام يحدثنا الأستاذ محمد إسماعيل عبده عن أنواع أخرى من الدوافع التى تتحكم فى الإنسان فيقول :

(هناك نوع آخر من الدوافع ، وهو الدوافع الثانوية والاجتماعية كالميل إلى الإجماع والتملك ، والمقاتلة واللعب ، وهذا النوع من الدوافع يحتمل التأجيل دون أن يترتب على ذلك ضرر الجسم أو شغل شديد للنفس، ولذلك ينبغى تقديم الصلاة) من قول أبى الدرداء : " من فقه الرجل إقباله على حاجته " حتى يقبل على صلاته وقلبه فارغ.[٣] . أبو الدرداء يعنى هنا الدوافع التى لا تحتمل التأجيل .

❑ الاهتمام فى الصلاة والانتباه لها :-

وهذه هى أهم نقطة فى التركيز الذهنى فى الصلاة لأنهما تتعلق بالناحية الداخلية التى تعتمد على اجتهاد الفرد وقوة إرادته ، فالظروف الخارجية التى تشتت الانتباه يبطل مفعولها بمجرد الابتعاد عنها وتحاشيها، أما العوامل النفسية داخل الفرد نفسه فهى التى تحتاج إلى إرادة إنسانية .

وقد يجتهد المصلى ضد كل مشتتات الانتباه التى تعترض الذكر والقرآن ، ويعمل فكرة فى معانى الصلاة بجدية ثم يجد أشياء كثيرة تحاول

(١) نيل الأوطار .
(٢) الدين الخالص .
(٣) نيل الأوطار .

أن تقتحم عليه فكره ، كتعدد الأفكار والأصوات والانطباعات الداخلية، وبهذا ترد عليه الخواطر أشتاتاً من شئون الحياة .

إن تلك الوساوس والأفكار التى تقتحم على الإنسان ذهنه أثناء الصلاة مرجعها شدة التعلق بالدنيا وهذا يؤدى إلى الاهتمام الشديد بها، والذى يجذب انتباه المصلى من صلاته إلى خواطر دنياه .

فلابد أولاً أن يتعلم المصلى كيف يلقى بكل اهتمامه فى الصلاة . ومسألة الاهتمام هذه اشبه بعمل فى اتجاهين ، فالتركيز الذهنى يتبع الاهتمام، ولكن أيضاً الاهتمام يتبع التركيز الذهنى . فإذا أراد المصلى أن يركز ذهنه فى الصلاة فلابد أن يكون مهتما بلقاء ربه ولذلك ينصحنا الرسول (ﷺ) أن نصلى صلاة مودع وإذا أراد المصلى أن يجعل ذهنه مركزا فى أعمال الصلاة فإن ذلك سيزيد من اهتمامه بالصلاة .

ويقول وليم مارستون (ولا شك فى أن سر هذه القدرة فى السمو فوق الأشياء التى تشتت الانتباه فى الحياة يكمن فى الاهتمام الشديد بالعمل الذى تقوم به . وأن مثل هذا الاهتمام يخلق انتباها ، كما تحمل الشجرة ثمارها ، وتجد نفسك تركز اهتمامك دون أى مجهود . ولكن مسألة الاهتمام هذه أشبه بعمل فى اتجاهين ، فالتركيز يتبع الاهتمام ، ولكن الاهتمام يتبع أيضا التركيز وعندما سأل " جوته " كيف أنجز كل أعماله العظيمة أجاب برزانة تامة كنت أتفخ فى يدى فقط).[1]

ولا يحاول المصلى أن يشغل عقله فى استبعاد الوساوس والأفكار التى لا صلة لها بالصلاة ، وإنما يمضى قدما فى تركيز ذهنه على الصلاة

(١)مجلة المختار (يوليو ١٩٦٥)

ومعانـيها ، وبالـتالى لـن تجـد الأفكـار الطارئـة علـى ذهـنه أى فرصـة لهـا ، وتبعد عن مجال تفكيره .

وأثـناء أداء الصـلاة سـيجد المصـلى أن ذهـنه مشـغول بطبـيعة الحـال بعشـرات مـن الأشـياء الـتى يجـب عملهـا ، أى تلـك الحاجـات الدنـيوية الملحـة . إن تلـك الحاجـات يجـب ان تنـتظر حـتى ينـتهى المصـلى مـن صـلاته ، ثـم يفـرغ لهـا ويوجـه انتـباهه إلـيها بكاملـه ، فـالعمل الواحـد فـى المـرة الواحـدة ، هـذا مـا يجـب أن يـتعلمه كـل إنسـان . إن العقـل لا يقـدر ولا يسـتطيع إلا أن يـؤدى عمـلا واحـدا فـى كـل مـرة وبـدون هـذا تخـتلط الأفكـار أو الأعمـال ببعضـها ولا ينـتج الإنسان شيئاً .

فمـثلا أثـناء العمـل لا يخلـط الإنسـان اهـتمامه فـى عملـه بالاهـتمام باللعـب أو المـزاح لأن الـناتج سـيكون اضـطراب فـى كـل مـن العمـل واللعـب والمـزاح . وعـند أداء الصـلاة يجـب ان ينشـغل بهـا المصـلى فقـط ولا يشـرك معها أى تفكير فى عمل آخر مهما كانت أهميته . فإن الصلاة هى الأهم .

ويقـول (ولـيم مارسـتون) : وعـندما نقـوم بعمـل معيـن سـتجد ذهـنك بطبـيعة الحـال مشـغولا بعشـرات الأشـياء الـتى يجـب عملهـا .. أشـياء لا يمكـنها الانـتظار كمـا تقـول .. فهـل صـحيح أنهـا لا تسـتطيع الانـتظار ؟.. إنهـا تسـتطع ذلـك بطبيعة الحـال ، بـل أنهـا يجب ان تنـتظر . إن القلـق يسـير معـنا كأنـه شـبح لا يظهـر إلا أمـام أعينـنا وذهنـنا يحـدق فـيه فـى يـأس بـدلا مـن تركـيزه علـى العمـل الـذى يجـب أن نقـوم بـه ولكـن مهمـا كانـت الصـورة المعيـنة الـتى يـتخذها القلـق فعلـيك أن تقـول لعقلـك الباطـن : اجـل هـذا شـىء مهـم، ولكـنه يجـب ان

ينتظر حتى ينتهى إنجاز هذا الشىء الآخر ، وبعد ذلك أوجه لها انتباهى كله).[1]

وإننا نجد من الناحية العملية أن القوانين الطبيعية التى هى سنة الله تكره الفراغ ، فإذا ثقب أى مصباح كهرباء أسرع الهواء ليشغل الحيز الفارغ . وإذا وضعنا فى هذا المصباح ماء نجده يطرد الهواء ليحل محله . وهكذا عقولنا إذا لم نملأها بالأفكار التى نريدها ، الأفكار الإيجابية للعمل الذى نقوم به أسرعت الوساوس والأفكار الأخرى السلبية لتملأ عقولنا . فأثناء أداء الصلاة عندما يعيش المصلى الصلاة بأعمالها ومعانيها لن تجد الأفكار الطارئة والوساوس المتحفزة فرصة لأن تملأ حيز فكر المصلى لأنه ممتلئ فعلا بأفكار الصلاة .

ويقول لنا أبو حامد الغزالى فى هذا المعنى " وعلى الجملة : فهذه الدنيا وهمة الآخرة فى القلب مثل الماء الذى يصب فى قدح مملوء بخل ، فبقدر ما يدخل فيه من الماء يخرج منه من الخل لا محالة ولا يجتمعان".[2]

وإذا أراد المصلى أن ينمى قدرته على التركيز الذهنى فى الصلاة فلابد أن يلقى بكيانه كله فيها . وسرعان ما تستولى الصلاة على اهتمامه . ويقول " وليم جيمس " فى هذا المعنى وهو "أبو علم النفس الحديث " أن أهم شىء هو خوض العمل . " إنك تستطيع أن تحتفظ باهتمامك إذا جعلت جسمك وعقلك يعملان معا فى عمل واحد ".[3]

---

(١) مجلة المختار (يوليو ١٩٦٥) .
(٢) أسرار الصلاة .
(٣) مجلة المختار (يوليو ١٩٦٥).

وهـذه الحقـيقة النفسـية موجـودة فـى الصـلاة الإسـلامية فهـى ليسـت مقصـورة علـى تدبـر المعـانى المقدسـة بـالعقل فقـط وإنمـا بالجسـم أيضـاً الـذى يشـترك مـع العقـل فـى التعبـير عـن الخشـوع فـى القـيام والـركوع والسـجود والجلوس والتشهد .

وفـى الحديـث " لا يـنظر الله إلـى صـلاة لا يحضـر قلـب الـرجل فـيها مـع بدنــه " (الديلمــى) . وعـندما رأى رسـول الله (ﷺ) رجـلا يعبـث بلحيـته فـى الصلاة فقال : لو خشع قلب هذا الرجل لخشعت جوارحه. (الترمذى).

الإمام الغزالى والتركيز الذهنى فى الصلاة:-

إن الإمــام الغــزالى فــى كــتابه (أســرار الصــلاة) تكلــم عــن التركـيز الذهنى لمعانى الصـلاة ، وسماها حضـور القلـب . خلـص الإمـام الغزالى إلـى أن " حضـور القلـب هـو روح الصـلاة وأن اقـل مـا يتبقى بـه رمـق الـروح الحضـور عـند التكبـير فالنقصــان مــنه هــلاك ، وبقــدر الــزيادة علـيه تنبسـط الـروح فـى أجـزاء الصـلاة وكـم مـن حـى لا حـراك فـيه قريـب مـن ميـت ! فصـلاة الغـافل فـى جميعها إلا عنـد التكبيـر كمثـل حـى لا حـراك بـه، نسـأل الله العـون".[1]

إن الإمــام الغـزالى هـنا يقـرر حقـيقة نفسـية ، وهـى أن الانتـباه العقلـى لا يثبـت علـى شـىء واحـد إلا للحظـة وجـيزة مـن الزمـن ثـم ينصـرف عـنه . ولكــن يمكــن للشــخص أن يحصــر انتــباهه إذا ركــز ذهــنه فــى شــىء يثــير اهـتمامه . ففـى إمكـان كـل إنسـان أن ينتـبه أثـناء لحظـة التكبـير ، لأنهـا لحظـة من الوقت فقط ينتبه فيها إلى الموقف العظيم الذى يقف بين يدى الله .

---

(١) أسرار الصلاة .

وإذا لـم تكـن لحظــة التكبـير تثـير اهـتمام المصـلى فإنهـا تمـر دون أن ينتـبه إلـيها ، وفـى هـذه الحالـة تصـبح الصـلاة لا روح فـيها ، ولا أمـل مـنها. وعلـى المصـلى بعـد لحظـة التنبـيه الـتى هـى لحظـة التكبـير علـيه أن يحصـر انتـباهه فـى الصـلاة فـيكون ذهـنه كلـه مركـزا فـى معانـيها ، وبقـدر نجاحـه فـى ذلـك تكـون الفـائدة مـن الصـلاة . ويقـول الإمـام الغزالى فـى إجمـاع الفقهـاء علـى صحة الصلاة " فإنهم لم يشترطوا إلا حضور القلب عند التكبير " .

والمصـلى يحصـر انتـباهه فـى الصـلاة ، أى يركـز ذهـنه فـى معانـيها إذا كانـت الصـلاة تثـير اهـتمامه ويقـول الأسـتاذ " أحمـد عـزت راجـح ": (لا يثبـت الانتـباه علـى شـىء واحـد إلا لحظـة وجـيزة مـن الزمـن ومـا علـيك إلا أن تلاحـظ عيـنى شـخص يسـتطلع مـنظرا طبيعيا أو لوحـة فنـية ، لـنرى أنهمـا تـنتقلان مـن نقطـة إلـى أخـرى كـل ثانـية أو ثانيتيـن وحـتى إذا كانـت العيـنان مثبتتيـن علـى موضـوع خـارجى خـاص لـم يلبـث الانتباه أن يـنتقل مـنه إلـى فكـرة أو خاطـر فـى ذهن الفرد) .[1]

وإذا كـان الموضـوع الـذى ينتـبه إلـيه الإنسـان يثـير اهـتمامه ، يقـول الأسـتاذ " راجـح " فـى ذلـك (فـى هـذه الأحـوال يتسـنى للمـرء حصـر انتـباهه لمـدة طويلـة إذ يـنتقل بانتـباهه مـن جانـب إلـى آخـر مـن جوانـب الموضـوع أو بتقلـب الموضـوع علـى وجوهـه الكثـيرة فالمخـتص فـى موضـوع يسـتطيع أن يحصـر انتـباهه فـيه مـدة طويلـة فكـان الانتـباه المسـتمر لموصـول لـيس انتـباها جـامدا لا حـراك فـيه ، بـل انتـباها مـتحركا يتغير بسـرعة ولكـن فـى دائـرة اهـتمام واحدة ، لا يحيد عنها ولا يستسلم للمشتتات) .[2]

---

(١) أصـول علـم النفس .
(٢) نفس المرجع السابق .

الإمـام الغـزالى يوضـح لـنا أن إرادة الإنسـان لازمـة لعملـية التركـيز الذهـنى بقولـه " إن حضـور القلـب سـبب الهمـة "[1] . فلابـد أن يعمـل المصـلى علـى إجبار عقلـه علـى أن يسـير فـى خـط الصـلاة ، ويصـر علـى أن يعـيده إلـى طريق العبادة كلما جنح بعداً وديان الدنيا .

وقـوة الإرادة أمـر طبـيعى عـند كـل إنسـان ، المهـم هـو اسـتخدامها . فـإذا اسـتخدمها المصـلى فـى العـبادة ركـز ذهـنه فـى معانـيها . وإذا لـم يكـن ذهـنه مركـزا فـى أعمـال الصـلاة فإنـه لا يعـنى أن ذلـك الذهـن خـاو مـن الأفكـار ، أو متعطل لا يعمل وإنما يعنى أنه منصرف إلى أمر آخر من أمور الدنيا .

فأذهانـنا تعمـل سـواء أردنـا أو رفضـنا ، لـذا علـينا أن نجعلهـا تعمـل حسـب إرادتـنا ويعيـنـنا علـى ذلـك إظهـار قـوة الدافـع الـذى مـن أجلـه نصـلى، وهـو أن الآخـرة خـير وأبقـى ، وان طريقـنا إلـيها هـو الصـلاة . فـيقول الإمـام الغـزالى فـى هـذه المعـانى " فـإن قلـبك تـابع لهمـتك فـلا يحضـر إلا فـيما يهمـك ، ومهمـا أهمـك أمـر حضـر القلـب فـيه شـاء أم أبـى ، فهـو مجـبول علـى ذلـك ، مسـخر فـيه ، والقلـب إذا لـم يحضـر فـى الصـلاة لـم يكـن مـتعطلا بـل جـائلا فـيما الهمـة مصـروفه إلـيه مـن أمـور الدنـيا ، فـلا حـيلة ولا عـلاج لإحضـار القلـب إلا بصـرف الهمـة إلـى الصـلاة ، والهمـة لا تنصـرف إلـيه مـا لـم يتبيـن أن الغـرض المطلـوب مـنوط بهـا ، وذلـك هـو الإيمـان والتصـديق بـأن الآخـرة خـير وأبقـى وأن الصلاة وسيلة إليها.[2]

فـإذا أضـيف هـذا إلـى حقـيقة العلـم بحقـارة الدنـيا ومهماتهـا ، حصـل مـن مجموعهـا حضـور القلـب فـى الصـلاة وبمـثل هـذه العلـة يحضـر قلـبك إذا

---

(1) أسرار الصلاة .

(2) نفس المرجع السابق .

حضرت بين يدى بعض الأكابر ممن لا يقدر على مضرتك ومنفعتك ، فإذا كان لا يحضر عند المناجاة مع ملك الملوك ، الذى بيده الملك والملكوت ، والنفع والضر ، فلا تظن أن له سببا سوى ضعف الإيمان".[1]

نرى أن الإمام الغزالى يتكلم فى التركيز الذهنى كعالم من علماء النفس المعاصرين برغم أنه عاش فى الفترة ٤٥٠ هـ-٥٠٥ هـ . أى قبل أن يكون هناك شىء اسمه علم النفس . وصدق الله العظيم حين يقول:

﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.[2]

☐ علاج مشتتات الانتباه عند الغزالى :

بعد أن ألقينا الضوء عن فكرة التركيز الذهنى فى الصلاة عند الغزالى نلقى الضوء على طريقته فى علاج مشتتات الانتباه وهو يقسمها مثل علماء النفس المعاصرين إلى مشتتات خارجية عن الإنسان، ومشتتات داخلية تنبع من الإنسان ذاته .

يقترح الغزالى علاجا للأسباب الخارجية والأسباب الداخلية التى تشتت انتباه المصلى وتبعده عن التركيز فى معانى الصلاة . ويقول الإمام الغزالى فى الأسباب الخارجية." قطع هذه الأسباب بأن يغض بصره ويصلى فى بيت مظلم وألا يترك بين يديه ما يشغل حسه "[3]. والإمام الغزالى هنا يرى علاج مشتتات الانتباه الخارجية للمصلى، فى الابتعاد عنها فيبتعد عن المكان الكثير الضوضاء، أو المكان الذى يجد فيه ما يشد بصره و يشغل عقله ، فيقترح عليه الإمام الغزالى أن يصلى فى مكان

(١) أسرار الصلاة .
(٢) البقرة ٢٨٢ .
(٣) أسرار الصلاة .

مظلم. وباختصار فإن راى الغزالى هو أن يبعد المصلى بقدر الإمكان عن كل ما يشتت انتباهه من عوامل تأتيه من خارج نفسه حتى يتفرغ للصلاة .

أما الأسباب الداخلية : أو ما يسميها الإمام الغزالى الأسباب الباطنية فعلاجها على حسب قوله " ان يرد النفس قهرا إلى فهم ما يقرأ فى الصلاة ويشغلها به عن غيره ويعينه بذلك أن يستعد له قبل التحريم بأن يجدد على نفسه ذكر الآخرة وموقف المناجاة وخطر المقام بين يدى الله سبحانه وتعالى وهو المطلع ويفرغ قلبه قبل التحريم بالصلاة عما يهمه فلا يترك لنفسه شغلا يلتفت إليه خاطره ".[١]

أى على المصلى إذا أن يسيطر على عقله ويجبره كالطاغية إلى فهم ما يقرؤه فى الصلاة وهذه القوة فى السيطرة على العقل موجودة فينا جميعا ، فكل إنسان عنده هذه القوة المباركة فى السيطرة على ذهنه وإنما الفرق بين شخص وآخر هو فى استخدام هذه القوة . فشخص قادر على تركيز ذهنه كالطبيب الماهر الذى يقوم بالعمليات الجراحية فإنه يكون مسيطرا تماما على ذهنه أثناء إجراء العملية . وكالشخص الذى ينادى عليه آخر أثناء قراءته لكتاب أو أدائه لأحد الأعمال ، فلا يسمع من ينادى عليه لأنه مشغول تماما . ويمكن أن نلاحظ أيضا أن قوة تركيز الذهن فطرية فى الإنسان منذ طفولته ، والأطفال عندما ينشغلون فى ألعابهم لا يهتمون مطلقا بما حولهم .

وهذه القدرة الإنسانية كأى قدرة أخرى للإنسان تنمو بالاستخدام ، وتضعف بالإهمال . وعندما تقرأ القرآن فى الصلاة لابد أن تنشغل لقراءته عن أى شىء آخر ، وسوف تجاهد نفسك فى هذا مجاهدة كبيرة فسوف

---

(١) اسرار الصلاة .

يقفز ذهنك منك بعيدا بعد فترة وجيزة ، ليهتم بموضوع آخر فارجعه مرة أخرى إلى معانى الصلاة وسوف يتكرر معك هذه الحالة أكثر من عشرين مرة فى الصلاة الواحدة . فلا تيأس فهذا أمر طبيعى . فإذا جاهدت وصبرت سوف تصل إلى الدرجة التى تسيطر بها على عقلك أثناء الصلاة وفى أى وقت آخر غير الصلاة .

إن هذه المجاهدة هى تدريب على تركيز ذهنك يمكن أن يجعلك تؤدى الصلاة كاملة وتعيش الحياة كما ينبغى ، لأنك مسيطر على ذهنك العنصر الأول لوجودك فى الحياة وقد وصف القصصى " ارنولد بنيت " التركيز (بأنه القوة على إملاء الذهن مهمته ، وضمان طاعته . وهذه القوة تأتى بالمران : والمران كما يقول المثل يحتاج إلى صبر إن الانتقال من التفكير المشتت إلى التركيز الواضح الدقيق ، هو نتيجة لجهد مستمر مثابر).[1]

وأعظم ما فى هذا التدريب أنه منتظم ومواظب عليه فى أوقات معلومة ، خمس مرات يوميا تدرب فيها ذهنك على التركيز وتجاهد نفسك لتصل إلى الأفضل باستمرار ، حيث النمو فى قدرتك على التركيز .

وعلى الإنسان وهو يجاهد على تركيز ذهنه أن يحظر الحماسة التى تجعله يشعر بأنه سيحرك الجبال ثم تنطفئ . فابدأ بهدوء واقنع بالقليل فى البداية ، وكلما حرصت على المجاهدة كان هناك نمو متواصل . فإن النجاح الصغير يؤدى إلى نجاح كبير فى حين أن الفشل واليأس فى البداية من جدوى التدريب على تركيز ذهنك لن يؤدى إلى شىء . فاحرص تماما على نجاح الخطوة الأولى لأنها أهم خطوة فى أى عمل .

---

(١) المختار يوليو ١٩٦٥ .

ويقـول الإمـام الغـزالى فـى هـذا " فـلا ينـبغى أن تـترك المجـاهدة ورد القلب إلـى الصـلاة وتقلـيل الأسـباب الشـاغلة فهـذا هـو الـدواء المـر ، ولمـرارته استبشـعته الطـباع ، وبقيـت العلـة مزمـنة" . ويضـيف الغـزالى " وصـار الـداء عضـالا ، حـتى إن الأكابـر اجـتهدوا أن يصـلوا ركعتيـن لا يحدثـون أنفسـهم فـيها بـأمور الدنـيا فعجـزوا عن ذلـك ، فـإن لا مطمـع فـيه لأمثالـنا وليـته يسـلم لـنا مـن الصـلاة شـطرها أو ثلـثها مـن الوسـواس لـنكون ممـن خلـط عمـلا صـالحا وآخـر سيئاً ".[1]

هكـذا يقـول الغـزالى إن أئمـة الإسـلام لـم يقـدروا علـى تركـيز أذهـانهم تركيزاً مطلقـا فـى الصـلاة وإنمـا المسـألة نسـبية ، فلابـد مـن المجـاهدة الـتى هـى تدريـبا مسـتمر لـنمو القـدرة علـى التركـيز فـى الصـلاة ، لنصـل إلـى حصـيلة مـن التركـيز تـبلغ ثلـث الصـلاة أو نصـفها أو اكـثر ، حـتى يمكـن لإيجابيتـنا أن تغطـى على سلبياتنا فى الصلاة .

ويقـول " أرنولـد بينـت " ومـن الكسـل أن تـزعم أن ذهـنك عاجـز عـن التركـيز (ألا تذكـر هـذا الصـباح الـذى تلقيـت فـيه خطابـا مثـيرا كمـا يتطلـب ردا تخـتار كلماتـه بعناية تامـة : لقـد ظللـت يومـنذ تركـز ذهـنك علـى موضـوع الـرد ، حتى بلغت المكتب ، وهناك جلست على الفور وكتبت الرد) .

كانـت تلـك حالـة إثـارتك فـيها الظـروف إلـى درجـة مـن الحـيوية جعلـتك قـادرا علـى السـيطرة علـى ذهـنك كالطاغـية . لقـد أصـررت علـى انـه يجـب أن يقـوم بواجـبه وقـد قـام بواجـبه وبالتدريـب المنـتظم علـى التركـيز تسـتطيع أن تسيطر على ذهنك كل ساعة فى اليوم وفى أى مكان ".[2]

---

(١) أسـرار الصـلاة .
(٢) المختار مايو ١٩٥٨ .

ويرجع الغزالى عدم القدرة على الوصول إلى درجة كبيرة من التركيز الذهنى فى الصلاة إلى الاهتمام بأمور الدنيا فيقول " وهمة الرجل مع قرة عينه ، فإن كانت قرة عينه فى الدنيا انصرف لا محال إليها همه"[1] . أى أن الاهتمام بالدنيا هو يولد الانتباه لها ، فإذا أهتم الرجل بأمور دنياه وضع انتباهه فيها وبعد عن الصلاة .

ولكن عدم قدرتنا على التركيز فى الصلاة لا يمنعنا مطلقا من التدريب على ذلك فيقول الغزالى: " ولكن مع هذا لا ينبغى ترك المجاهدة".[2]

إن الاستفادة التى ستعود على المصلى من تدريبه على تركيز ذهنه ، فتجعله مسيطرا على عقله ، فيكون بذلك استطاع أن يحقق العنصر الأول للوجود الكامل للمؤمن ، فيكون يقظا ومنتبها وفى الحديث " المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين " لأنه منتبه ويقظ . ويكون قادرا على استخدام قدرته العقلية بدون تشتيت انتباهه فى كل ما يقوم به من أعمال ، ولذلك يصف الرسول (ﷺ) المؤمن بأنه " المؤمن كيس فطن " .

وإن التدريب على تركيز العقل فى حد ذاته مجرد إجراء أولى كمعرفة حروف الهجاء للغة يتبعه الكتابة بهذه اللغة . ولذلك فإذا وصلت إلى مرحلة متقدمة من التركيز الذهنى فستمكنك من ان تستخدم عقلك بكفاءة بالغة فى أى عمل تقوم به ، بالإضافة إلى الصلاة التى هى أهم ما تقوم به ونقطة الابتداء لأى عمل . وعلى هذا فالتدريب الذهنى أمر ضرورى للإنسان وهو تامين ضد التشتت وضياع المجهود ويحسب الناس

---

(١) أسرار الصلاة .

(٢) نفس المرجع السابق .

الذيـن لـم يمارسـوا التركـيز الذهـنى أنهـم يفكـرون ، والحقـيقة أن مـا يسـمونه تفكـيرا إنمـا هـو ضـرب " مـن الإحسـاس العقلـى " كمـا يسـميه: " جـوردون بايرون " .

والقـدرة علـى التدريـب الذهـنى ، وصـب الاهـتمام فـى العمـل الـذى نؤديـه مـن أهـم مقومـات الـنجاح . حقـا إن التدريـب علـى التركـيز الذهـنى عملـية شـاقة ولكـنه يسـتحق كـل مجهـود يـبذل فـى سـبيله . والمجهـود الـذى يـبذل فـى التدريـب علـى التركـيز الذهـنى سـتثاب علـيه مـن الله سـبحانه وتعـالى أولا لأنـك سـتؤدى الصـلاة وأنـت تفقـه مـا تقـول " وقـال عـبد الواحـد ابـن زيـد ":(أجمعـت العلمـاء علـى أنـه لـيس للعبد مـن صـلاته إلا مـا عقـل مـنها ، فجعلـه إجماعـا)[1]. أو بقولـه الغـزالى " حضـور القلـب " ممـا يسـاعد علـى أداء الصـلاة سـليمة . وأيضا سنجد المكافأة من نتيجة أى عمل نقوم به ، فيكون الإنجـاز رائعا .

ويقـول " ا . ج جـريس " أحـد رجـال الصـناعة البارزيـن (ان صـب الاهـتمام فـى العمـل أو المشـكلة الـتى هـى قـيد البحـث ثـم نسـيان الأمـر بـتاتا بمجـرد حسـمه والوصـول إلـى قـرار فـيه بحيـث تسـتعيد قـوة تركـيز ذهـنك كاملـة غير منقوصة ، من أهم الأسباب المؤدية إلى النجاح فى الحياة).[2]

❑ التركيز الذهنى والتدريب عليه :-

إن التدريـب الذهـنى خـلال الصـلاة كـاف للـنمو بهـذه القـدرة ، ولكـن إذا كـان المـرء يـريد أن يـزود دخلـه مـن رصـيد هـذه التدريـبات، ويـريد أن تنـتقل ممارسـته لتركـيز ذهـنه فـي الصـلاة إلـي شـواغل الدنـيا، فعلـيه بممارسـة تدريـب إضـافي. والإنسـان بهـذا يحسـم الوصـول إلـى قـرارات فـى شـواغل الدنـيا ويـألف

---

(١) أسرار الصلاة .
(٢) أتح لنفسك فرصة .

التعامل معها فتبعد بعضها عن مجال تفكيره أثناء الصلاة وتضعف من أثر الأخرى. وهذا المبدأ الذى يقول " عمل واحد فى كل مرة " فشواغل الدنيا لها وقتها وشواغل الصلاة لها وقتها أيضاً ، فإذا أردت أيها المصلى أن تتوسع فى تدريبك الذهنى فيمكنك فى وقت معين كل يوم أن تمارس التدريب على التركيز الذهنى ، وهو بالقطع سيفيدك أيضاً أثناء صلاتك . لأنك كلما استفدت نمواً فى التركيز الذهنى اكتسبت قدرة ممتازة على ممارسة أعمالك كلها وأهمها الصلاة.

ولكن كيف يمكن للمصلى المواظبة على التدريب اليومى ؟ . أنه يواظب على الصلاة فى أوقات ثابتة من اليوم . إذن يمكنه أن يربط تدريبه على تركيز ذهنه بأحد أوقات الصلاة وليكن بعد الفجر مثلا . " وهذا المعنى مشروح بالجزء الخاص" (بالصلاة والعادة) .

كل يوم بعد صلاة الفجر يركز الإنسان ذهنه فى موضوع دنيوى ويفضل الذى له تأثير ملح عليه فيكون الدافع إلى الاهتمام به كبيراً ، مما يجعله منتبها وهو يعمل فكره فيه ، ويكون من السهل عليه أن يصبر على هذا الموضوع الدنيوى وهو بهذا الأسلوب فى التدريب سيكتسب قدرة ممتازة فى مواجهة مشاكل الحياة ولا يجب التدريب على أمور مفتعلة ، فأفضل تدريب هو ما يتعامل مع الواقع. مع المشاكل الحقيقية التى نمر بها.

وليس معنى أن تركز ذهنك فى موضوع معين أن توجه ذهنك إلى فكرة ثابتة ، فتسلط فكرة ثابتة على الذهن مرض . إنما تركيز الذهن يعنى توجيهه إلى كل الزوايا والنواحى التى تحيط بموضوع معين ، أى تفاصيله،

وعليك أن تبذل مجهوداً لكى ترد ذهنك إلى الموضوع الذى بين يديك كلما مال إلى البعد عنه .

ويقول " جوردون بايرون " لكى تكتسب التفكير الواضح لابد لك من تقسيم تفكيرك وتدريبك . لنفرض مثلا أننا نريد أن نركز أذهاننا فى هذا الصندوق الماثل أمامنا : أن علينا أن نقسم هذا الصندوق إلى مكوناته الرئيسية . ثم التى تليها ، على ألا نفرغ من واحدة حتى نستوفيها بحثا ، وألا نترك واحدة بغير بحث .

مثال ذلك أننا نلاحظ أولا ارتفاع الصندوق ، وطوله ، وعرضه. وبهذا نحيط علما بسعته ثم نلاحظ بعد ذلك المادة المصنوع منها ، وسمكها، ثم نستطرد إلى طريقة صنعه ، وهل جوانبه متداخلة بعضها فى بعض أو لاصقة بعضها ببعض . وبهذا نحيط خبرا بمتانة الصندوق ونوعه، وهل هو صندوق من الكرتون استخدم لغرض عابر أو هو صندوق خشبى جعل للشحن. أو هو صندوق فاخر يمكن أن يستخدم للزينة . ومن هنا نستطرد إلى نموذجه ، وهل يفتح من الجانب أو من أعلى ، وهل يدور غطاؤه على " مفصلات " أو أنه مثبت الغطاء بواسطة المسامير أو غيرها. وهكذا نستطيع أن تكون فكرة واضحة عن هذا الصندوق وعن الغاية التى يمكن أن نستخدمه فها " .[1]

ويقول لنا " ديل كارنيجى " فى فصل من كتابه يتحدث فيه عن استخلاص الحقائق وتحليلها واتخاذ قرار حاسم فى هذه الأمور التى تتطلب التركيز الذهنى فيورد لنا قول " رديارد كبلنج " إن لى ستة من الخدم

---

(١) اتح لنفسك فرصة .

المخلصين ، عنهم تعلمت كل ما أعلم علم اليقين أسماؤهم هى : ماذا ، ولماذا ، ومتى ، وكيف ، وأين ، ومن ".[1]

والمراد بهذا إننا إذا ركزنا أذهاننا فى موضوع معين إننا نبحثه من جوانبه المختلفة الإجابات عن أدوات الاستفهام السابقة لأى موضوع هى بحثه من مختلف نواحيه . ومعرفة تفاصيله ، وهذه هى عملية تركيز الذهن فى استخلاص الحقائق المحيطة بأى موضوع.

التركيز الذهنى فى كل خطوة من خطوات الصلاة :-

كيف يمكننا أن نسيطر على الذهن أثناء التكبير ، وأثناء القيام ، وأثناء قراءة الفاتحة ، وأثناء قراءة سور القرآن الكريم ، وأثناء الركوع وأثناء السجود وأثناء قراءة التشهد .

تكبيرة الإحرام :

نقطة بداية الاتصال بالله ، والوقوف بين يديه فى مجال السمو ، وهو غير مسموح للمصلى أن يخرج من الصلاة إلا بعد انتهاء الصلاة والتسليم إلا وإذا وجد عذرا قاهرا . إنه بعد تكبيرة الإحرام وهى لحظة التنبيه الأولى لبداية هذا العمل المقدس ، وهذه هى أهم لحظات الصلاة وبدونها لن يدخل المصلى إلى مجال الصلاة المقدس والرسول الكريم يقول " مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير ، وتحليلها التسليم".[2]

---

(١) دع القلق وابدأ الحياة .
(٢) نيل الأوطار .

وإذا لم يكن المصلى منتبها للحظة التكبير فإنه لم يبدأ الصلاة حقا ، وإنما بروتين العادة قام بأداء الحركة الأولى من الصلاة ، تماما كالشخص صاحب الهزة العصبية كهز الرجلين فأنه يهز رجليه دون أن يكون يقظاً لما يؤديه ، ولكن يمكن للمصلى أن يوجه انتباهه للحظة التكبير بسهولة ، أما كونه يحتفظ بانتباهه لمدة أطول من هذه اللحظة فإن هذا هو الذى يحتاج إلى مجاهدة .

والمجاهدة تمكن الذهن فى أن يستمر فى التركيز خلال الصلاة ، ويسمى الإمام الغزالى عملية المجاهدة هذه " إدمان الفكر "[1] . ولما كانت تكبيرة الإحرام فاصلا بين الدنيا باهتماماتها وعالم الصلاة بشئونه كان لابد من التهيئة للحظة التكبير حتى لا تمر تلقائيا دون أن ينتبه لها عقل المصلى . لأن المصلى لو دخل إلى الصلاة دون التنبه للحظة التكبير فقدت الصلاة كل روحها . فأقل قدر من التنبيه فى الصلاة مسموح به هو لحظة التكبير ، وأولها تكبيرة الإحرام.

لذلك كان هناك تهيئ للصلاة ، والله سبحانه وتعالى الذى قال : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾[2] . جعل التمهيد حتى تتقبله طبيعة الإنسان . إن النهار لا يخرج فجأة على الإنسان فيفزعه بالضوء الشديد ، ولا يأتيه ظلام الليل فجأة فيشل حركته ، إنما هناك التمهيد الذى يسير مع طبيعة الإنسان ، رويدا رويدا تطلع الشمس بالنور ، فيتنفس الصبح الحياة، كذلك لا يأتى الليل بغته وإنما يأتى تدريجيا حتى يتهيأ الإنسان لتقبل الظلام.

(١) أسرار الصلاة .
(٢) القمر ٤٩ .

هـذه هـى سـنة الله . والله سـبحانه وتعـالى الـذى خلـق الليـل والـنهار وكـل شـىء ، هـو الـذى أمـر بالصـلاة وأمـر بالتمهـيد لهـا بالوضـوء ، فالوضـوء تهـيأ لذهـن الإنسـان لـيؤدى العمـل المقـدس وهـو الصـلاة . ولذلـك كـان الرسـول (ﷺ) عـندما يتوضـأ يصـمت ولا يـتكلم . وهـذا هـو روح الوضـوء ، خطـوة أولـى للصـلاة وإعـداد لهـا . حتـى إنـه إذا لـم يكـن هـناك مـاء للوضـوء . لـم يلـغ الله الوضـوء ، لكـن أبـدل الله جلـت حكمـته الوضـوء بالتـيمم فـيكون التـيمم هـو عملية تهيأ الذهن البديلة عن الوضوء .

وفـى المعـانى الـتى تهيـئ الذهـن للصـلاة ، قـال الرسـول (ﷺ): " صـل صـلاة مـودع " أى الصـلاة الـتى لـيس بعدهـا إلا لقـاء الله . وبهـذا عـندما يـبدأ المصـلى صـلاته لا تمـر لحظـة تكبـيرة الإحـرام وهـو غـافل عـنها . والله سـبحانه وتعـالى يطلـب مـنا أن نسـتعد ونتهـيأ للصـلاة فـيقول: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾.[1]

نقـول فـى تكبـيرة الإحـرام الله أكـبر ، الله أكـبر مـن كـل شـىء فـى الدنـيا، الله أكـبر تنـبه يـا عقـل . ننطـبق بهـا لحظـة التنبـيه الكـبرى . فـالله اكـبر مـن أى مشـتتات للذهـن مهمـا كـان نوعهـا . وهـذه حقـيقة كـنور الشـمس تجـذب الذهـن من قفاه إذا شرد مع أى موضوع آخر ، لعود ويكون حاضرا .

إن نـداء الله أكـبر ضـبط لانتـباه ذهـن المصـلى حـتى يسـير فـى اتجاهـه الصـحيح . ولحظـة التنـبه المقـدس هـذه يقـول عـنها الإمـام الغـزالى أنهـا إذا غابـت عـن الصـلاة غـاب عـنها روحهـا ، فـنداء الله أكـبر روح تسـرى فـى عـادة أداء الصـلاة ، فـتحولها مـن عـادة إلـى عـبادة . ويقـول الإمـام الغـزالى :

---

(١) النساء .

" إن حضـور القلـب هـو روح الصـلاة ، وإن قـل مـا يتـبقى بـه رمـق الـروح الحضور عند التكبير ، والنقص منه هلاك ".[1]

ويقـول ابـن القـيم الجوزيـه " والتكبـير يتضـمن تفاصـيل أفعـال الصـلاة وأقوالهـا وهيـئاتها فالصـلاة مـن أولهـا إلـى آخـرها تفصـيل لمضـمون الله أكبر ".[2]

❑ **الفاتحة :**

وهـى أم الكـتاب ولا يصـلح الصـلاة إلا بهـا . والمصـلى يـتلوها سـبع عشر مـرة يومـياً علـى الأقـل ، لكـن هـل تكـرار السـورة القصـيرة يجعلـنا نألفهـا فـلا تثـير اهتمامـنا معانـيها فـتفقد انتباهـنا لهـا أثـناء قـراءتها ، فتصـبح فـترة قراءتها فترة نطق بألفاظها فقط ، والعقل مغلق عنها أو سارح فى غيرها .

إن الفاتحـة هـى معنـى القـرآن الكـريم كلـه مركـزاً فـى سـورة واحـدة . وإنهـا تحـوى الخطـوط العريضـة لمـا جـاء فـى القـرآن الكـرم كلـه ، إنهـا باختصـار بجمـل القـرآن موضـوع فـى سـبع آيـات . ولذلـك يقـول لـنا رسـول الله (ﷺ): لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب ".[3]

وقـد اقتضـت سـنة الله سـبحانه وتعـالى فـى خلقـه أن يـبدأ كـل شـىء مـن المجمـل ثـم يسـير إلـى المفصـل . فالـنواة هـى كـل عناصـر الـنبات مركـزا فـى حجـم صـغير ، إنهـا مجمـل الـنبات الـذى بالـنمو يـتحول إلـى تفاصـيله المـتفرعة. وكذلـك الجنيـن يحـوى مجمـل الكائـن الحـى إذا نمـا أعطـى تفاصـيله . وإن العقـل

(1) أسرار الصلاة .
(2) الصلاة وحكم تاركها .
(3) البخـارى .

الإنسـانى هـو خلـق مـن مخلوقـات الله فـى عملـية تعلمـه ومعرفـته يسـتوعب المعانى التى تبدأ بالمجمل ثم يعرف التفاصيل بعد ذلك .

والعقل الإنسـانى يـتعامل مـع المجمـل ليهـئ نفسـه لمعـرفة مـا بعـد ذلـك مـن تفاصـيل فـيعرف دائـرة مـا يـريد معرفـته فـلا يتشـتت فـى مجـال آخـر . وهـذا ما أكده علم النفس الحديث فى موضوع التعلم .

والقـرآن الكـريم مـن مخلوقـات الله سـبحانه وتعـالى جـرت علـيه سـنته فكـان مجمـل القـرآن الكـريم هـو الفاتحـة . ولذلـك سـميت أم الكـتاب ويقـول الله سـبحانه وتعـالى فـيها ﴿ وَلَقَـدْ آتَيْـنَاكَ سَـبْعًا مِّـنَ الْمَـثَانِي وَالْقُـرْآنَ الْعَظِـيمَ﴾ [1] والقـرآن الكـريم كلـه تفاصـيل للمجمـل أو الأصـول الـتى وضـعت فـى الفاتحـة والأصـول كمـا ذكـرها الإمـام محمـد عـبده . التوحـيد والوعـد والوعيد والعبادة وسبل السعادة ، والقصص لما قبلنا .

<u>وهذا تلخيص لما قال به.</u> [2]

١- **<u>التوحيد :</u>** فـى قولـه تعـالى ﴿الْحَمْـدُ للّـهِ رَبِّ الْعَـالَمِينَ ﴾ والتوحـيد أهـم مـا جـاء لأجلـه الديـن ولذلـك لـم يكـتف فـى الفاتحـة بمجـرد الإشـارة إلـيه بـل استكمله بقوله ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾.

٢- **<u>الوعـد والوعـيد :</u>** فإنـنَا نجـد معنىَ الوعـد ونـراه فـى ﴿ بِسْـمِ اللّـهِ الـرَّحْمَنِ الرَّحِـيمِ﴾ وقولـه ﴿ مَـلِكِ يَـوْمِ الدِّيـنِ﴾ يتضـمن الوعـد والوعـيد . فمعنى الدين الجزاء وهو أن ثواب للمحسنين وعقاب للمسيئين .

٣- **<u>العبادة :</u>** فى قوله ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ .

---

(١) الحجر ٨٧ .
(٢) فاتحة الكتاب تفسير الشيخ محمد عبده .

٤سبل السعادة : فى قوله ﴿ اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُستَقِيمَ ﴾ .

٥القصص : فى قوله ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ ﴾ وفى قوله تعالى: ﴿ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ ﴾ وهذه القصص تشمل ثلاثة أرباع القرآن الكريم تقريباً .

❑ تكثف معانى الفاتحة :-

لما كانت عملية التركيز الذهنى ليست عملية جامدة تقف عند فكرة ثابتة ، بل هى حركة إلى الإمام ولكن فى خط واحد لا تتركه إلى غيره ، لذلك عندما تقرأ الفاتحة وتتابع الآيات وعندما تتلوا من آيات الفاتحة ما تعبر عن أصل من أصول القرآن فإن العقل لا يجمد على معنى واحد لهذا الأصل ، ولا يقف عند فكرة فريدة له .

وإنما على العقل أن يتحرك مع تداعى المعانى بقدر ما تسعفه ذاكرته من معانى لهذا الأصل . فعندما نقرأ الآية التى تعبر عن التوحيد فعلى العقل أن يستدعى ما يستطيع من المعانى التى فى ذاكرته عن التوحيد، ولا يتوقع فى معنى واحد . له . ولكن كيف نأتى بالمعانى المكثفة بالتوحيد ؟ إن على المسلم أن يداوم على قراءة القرآن الكريم ولا يتخذه مهجورا ، خاصة فى الفجر والآية الكريمة تقول : ﴿ أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾[١] . ويقول الإمام محمد عبده: " وجميع ما فى القرآن من آيات التوحيد ومقارعة المشركين هو تفصيل لهذا الإجمال ".[٢]

---

(١) الإسراء ٧٨ .
(٢) تفسير الفاتحة للإمام محمد عبده .

وإن قـراءة القـرآن بصـفة مسـتمرة خاصـة فـى الفجـر ، بالإضـافة إلـى أنهـا ستصـبح عـادة متأصـلة تعطـى المصـلى يومـيا وبانـتظام جـرعة مـن النـبع المقـدس ، ممـا يجعلـه يـتعرف وباسـتمرار علـى تفاصـيل القـرآن الكـريم ، وتصبح قـراءته للقـرآن جـزءا مـن حـياته ، ومعانـيه جـزء مـن تركيـب ذاكـرته . وهـنا يمكـنه أن يسـتدعى الأفكـار والمعـانى الموجـودة فـى القـرآن والـتى تعـبر عن التوحيد بقـدر مـا تسـعفه ذاكـرته ، ولـيس معنـى هذا أن يقـف المصـلى عند مـبدأ التوحيد ويحصـر ذهـنه فـيه فقـط فـإن ذلـك سـيكون تكلفـا وبعيدا عـن بـاقى أصـول الفاتحـة وسـوف تـأخذ مـنه قـراءة الفاتحـة مـدة طويلـة . إنمـا علـيه أن يسـتدعى أقـرب معـانى الآيـات الـتى تعـبر عـن التوحـيد ويـتدبر معـناها مـثل الآيـات الـتى تعـرض التوحـيد ، وصـفات الواحـد الأحـد . وفـى كـل صـلاة تـأتى إلى ذهن المصلى آيات مختلفة ومعانى متجددة تعبر عن التوحيد .

وتـتوارد الخواطـر علـى عقـل المصـلى حسـب ظـروفه فـى كـل صـلاة، ولكـن يجـب أن تكـون فـى خـط واحـد لمعـنى التوحـيد . أمـا إذا دخـل معـنى آخـر علـى خـط التوحـيد فيجـب أن يعـود المصـلى مـرة أخـرى إلـى التوحـيد باسـتخدامه المجـاهدة . وهـذا يسـتدعى مـنه أن يصـلى باطمـئنان ولـيس كـنقر الغراب كما نبهنا رسول الله () .

ويمكنـنا أن نضـرب مـثلا علـى ذلـك بقطعـة السـكر وكـوب المـاء والمحلـول السـكرى لـنفرض أن الفاتحـة أم الكـتاب هـى مركـز القـرآن الكـريم أى قطعـة السـكر ، وهـى موزعـة فـى القـرآن الكـريم وهـو الشـراب الحلـو الـذى يرتشفه الناس فى كل زمان وكل مكان ، ولا يشبعون منه أبداً .

عـندما نقـرأ الفاتحـة فإنـنا نـتعامل مـع الحلـو المركـز ، ولكـن تتشـربه عقولـنا كـان هـناك الشـراب الـروحى والفكـرى وهـو القـرآن الكـريم ، وهـو

شــراب لا ينضــب أبــدا ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ .
فكلمـا قـرأنا آيـات مركـزة فـى الفاتحـة ارتشـفنا مـن معـانى القـرآن الكـريم بقـدر ما تسعفنا ذاكرتنا .

فمـــثلا عـــندما نـــتلوا ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ هـــذه الآيــة تــتحدث عــن العــبادة والعــبادة تشــمل الصـــلاة ، والــزكاة ، والصــيام ، والحـج والذكـر والدعــاء ، والجهــاد ، والخشـية ، والحـب ، والـتوبة ، . فعلـى عقـل المصـلى أن يرتشـف مـن هـذه المعـانى مـا يـأتى إليه مـن تداعـى للخواطـر، وترابطات للفكر المتصل بهذه المعانى .

وعــندما يصــل المصــلى فــى قــراءة الفاتحــة إلــى قولـــه ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ تجــده يتضــمن الوعــد والوعــيد . الوعــد بخــير الدنــيا والآخــرة للمؤمنيـــن بـــالله والمطيعيـــن لأوامـــره ســـبحانه . وقـــد وعـــد المؤمنيـــن بالاســتخلاف فــى الأرض والعــزة والســيادة أمــا الوعــيد بــالعذاب فــى الدنــيا والآخـرة للذيـن يعصـون ربهـم . وكـل هـذه المعـانى نجدهـا بالتفصيل فـى آيـات القـــرآن الكـــريم الـــذى يقـــول فـــيه الخـــالق ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.[1]

وعلــى هــذا فــإن خواطـر المعــانى القرآنــية تــرد علــى ذهــن المصــلى أثــناء تلاوتـــه لهـــا بقـــدر طاقـــته . وعـــندما نقـــرأ دعـــاء ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾. هــذا هــو طــريق الســعادة فــى الدنــيا والآخــرة ، والقــرآن فــيه الآيــات الكثــيرة الــتى تفــيض بمعــانى الطــريق الــذى يــؤدى إلــى الســعادة ، فعقــل

(١) الحشر ٢١ .

المصلى أثناء التلاوة تتوارد عليه القدر الذى يطيقه من هذه المعانى التى تشمل الأخلاقيات ، والآداب العامة والخاصة ، والفضائل التى تنهض بالفرد والمجتمع والعلاقة بين الأفراد والشرائع الاجتماعية، والتشريع المدنى المتعلق بمعاملات الناس والتشريع الجنائى المتعلق بالحدود والقصاص كالسرقة والقتل ، والتشريع الحربى وعهود الحرب والسلم وعلاقة الدولة الإسلامية بغيرها ، والتشريع السياسى المتعلق بنظام الحكم والسياسة العامة .

والجزء الأكبر فى القرآن الذى يشمل على اكثر من ثلاثة أرباع القرآن يتحدث عن قصص الذين قبلنا حتى نجد فيهم العبرة . تبين لنا القوانين التى جعلت أمة من الناس سعداء فى الدنيا والآخرة ، وأمة أخرى غير سعيدة فى الدنيا والآخرة ، وعلى قدر ما يأتى إلى الذهن من خواطر هذه القصص ومعانيها يكون الذهن مركزا .

وهكذا فإن الفاتحة أم الكتاب والتى تحوى أصوله ، هى كثافة فى المعنى أكبر من أى عقل أن يحده ولهذا فهى دائما متجددة المعنى على ذهن المصلى ، مهما كثرت صلاته ، فتثير اهتمامه دائما بمعانيها وبهذا لا تتحول الفاتحة إلى روتين ألفاظ أبداً .

وإن المفسرين للقرآن الكريم عند ظهور الإسلام إلى الآن ، كل منهم يدلى بدلوه ، فلم يجف معناه حتى الآن ، ولم ينضب نبعه المقدس . وهذا دليل إعجازه ويقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.[1]

---

(١) لقمان (٢٧) .

القرآن فى الصلاة :-

بعد أن يتلو المصلى مجمل القرآن وهى الفاتحة ويؤكد الكليات العامة للقرآن يبدأ فى قراءة ما تيسر من التفاصيل حتى ولو كان سورة قصيرة ، ففى الركعتين الأوليين فى كل صلاة لابد من قراءة القرآن مع الفاتحة (كسنة مؤكدة) ولكن كيف تتلو القرآن ؟ يقول الإمام الغزالى فى ذلك . (وتلاوة القرآن حق تلاوته هو أن يشرك فيه اللسان والعقل والقلب، فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل وحظ القلب الاتعاظ والتأثر بالإنزجار والإئتمار ، فاللسان يرتل والعقل يترجم والقلب يتعظ).[1]

ويستحسن للمصلى الذى يريد صلاة إيجابية أن يبدأ الخطوة الأولى بقراءة السور القصيرة ، ويتعرف على معناها جيداً ويحفظها ، فتكون الصلوات فترات لتثبيت هذا الحفظ وتقويته وترسيخ المعنى باستمرار فى هذه المصلى لأن التكرار المبنى على الفهم وسيلة مهمة لاستيعاب المعلومات . وعلى المصلى ألا ينتقل من سورة إلى ثانية إلا إذا كان قد فرغ تماما من استيعاب السورة الأولى ، وأصبحت حية فى ذاكرته لفظاً ومعنى . وفى الإتقان : (أقام ابن عمر على حفظ البقرة ثمانى سنين . ذلك أنه كان يحفظ ولا ينتقل من آية إلى أخرى حتى يفهم ما فيها من معان).[2]

والنصح بالبداية بالسور القصيرة يقوم على أساس أن الإنسان إذا أراد أن يقوم بعمل ما فلابد أن ينجزه على خطوات ، وأهم خطواته الأولى. والقرآن ميسر على الجميع ويقول الله سبحانه وتعالى ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ .[3]

---

(١) أسرار الصلاة .
(٢) دعوة الإسلام .
(٣) القمر (١٧)

ودائما سيقرأ المسلم القرآن . لأنه لابد ان يصلى ، ولابد أن يقرأ القرآن فى الصلاة فالصلاة بذلك محاضرات يومية لتعلم هذا الكتاب المقدس. أننا نجد أن معظم المسلمين يحفظون قليلا من السور القرآنية ويكررونها فى صلاتهم ، فلا يكون هناك نمو فى معرفة آيات الله وتلاوتها. والرسول (ﷺ) يقول " إن الذى ليس فى جوفه شىء من القرآن كالبيت الخرب " .

هكذا نجد أن المسلمين اتخذوا القرآن مهجورا ، يقرأ فقط فى المآتم، ويستجدون به على أبواب المساجد والطرقات ، ويتخذونه تعاويذ وتمائم . فلا عجب إذا جفت ينابيع الطاقة المقدسة من قلوبهم ، واصبح التقدم من نصيب غيرهم .

إن القرآن الكريم لم ينزل إلى الأرض ليهجره أهلها ، إنه نزل لحياة الناس فى الدنيا قبل أن يكون شاهدا عليهم فى الآخرة . وليس لسرادقات الموتى ، لقد كان الجيل الأول من المسلمين يتلقى القرآن كأمر من السماء لينظم له حياته وحياة مجتمعه، وهذا هو الذي من أجله أنزل القرآن ، فكان المسلم يلبى أمر خالقه فورا وهذا هو سبب التغير الذى طرأ على المسلمين الأوائل والذى يشبه السحر.

لابد للمسلم أن يعمل بمقدار استطاعته على تطبيق ما فهم من معانى القرآن الكريم وإلا يكون سلبيا فيساعد على تطبيق أحكام الدين فى المجتمع ، وإن الفكرة التى لا تطبق تذبل ويجف معينها ، أما المبدأ الذى يعيش تطبيقه ينمو ويزدهر . فالمبدأ بدون تطبيق بذرة بدون تربة فيها بريق الأمل وليس فيها واقع الثمرة ، والمصلى عندما يرسخ مبادئ القرآن

فـى ذهـنه أثـناء الصـلاة ويضـعها فـى حـياته موضـع التنفـيذ بقـدر إمكانـه ، تصبح هذه المبادئ جزءا من حياته ، جزءا من تكوينه النفسى .

تـثر اهـتمامه ليـتفاعل معهـا فـى الواقـع العملـى ، ممـا يجعـل لهـا تأثـيرا كبيراً أثـناء تلاوتهـا فـى الصـلاة ، فيسـيطر الإنسـان علـى ذهـنه بسـهولة ويسـر، ويصبح تركيز ذهنه أمراً تلقائيا .

وإن معـرفة المسـلم بقـرآنه ، هـى معرفـته بقـانون حـياته فـى الدنـيا والآخـرة ، معرفـته بمـا لـه ومـا علـيه مـن حقـوق وواجـبات ، وهـذا هـو الوعـى الحقـيقى للإنسـان بـأى مقـياس . وإن الـتجربة خـير دلـيل علـى قـيمة التطبـيق . فمـاذا حـدث للمسـلمين الأوائـل عـندما كـان القـرآن علمـا وعمـلا ؟ لقـد تحـول المسـلمون مـن أصـنام إلـى خـير أمـة أخرجـت للـناس . مـن الهمجـية والـبداوة إلـى الـنظام والتحضـر ممـا جعـل هـذه الـتجربة الـتى حدثـت فـى مـدة قصـيرة مـن الزمن تثير إعجاب كل علماء الاجتماع إلى يومنا هذا.

وإن تـلاوة القـرآن المسـتمرة فـى الصـلاة ، توثـق الصـلة بيـن المسـلم والقـــــــــرآن . ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[1] . وقـــــد قـــــال الرسـول الكـريم : الماهـر بالقـرآن مـع السـفرة الكـرام الـبررة والـذى يقـرأ القـرآن ويتعـتع علـيه وهـو علـيه شـاق لـه أجـران "[2] وهـنا يؤكـد الرسـول الكـريم المـيزة الكبـيرة للمسـلم الماهـر فـى القـرآن وحـتى يصـل كـل مسـلم إلـى هذه الدرجـة فـإن الرسـول يحبـب إلـى المسـلم عملـية تعلـم القـرآن والصـبر علـيه ، والـتى تـبدأ بالتعـتعة أى الـنرد فـى قـراءته مـع الإحسـاس بالصـعوبة بـه ،

(١) البقرة ١٢١ .
(٢) مسلم من حديث لعائشة رضى الله عنها .

وهذا هو شأن المبتدئين دائما . فيأخذ المسلم على هذه العملية أجرا إضافيا جزاء على إجتيازه هذه المرحلة الصعبة فى عملية التعلم ، وهذا يثرى العمل الكبير . ويقول الرسول (ﷺ) " خيركم من تعلم القرآن وعلمه ".[1]

وحتى يمكننا أن نركز أذهاننا فى معانى ما نتلوه من قرآن أثناء الصلاة . لابد من فهم هذه المعانى وتدبرها قبل الصلاة . فمن الأفضل أن يعرف المصلى معانى الآيات التى سيقرأها فى الصلاة قبل أدائها سواء من كتاب أو من معلم ويعيبها جيداً وتصور تطبيقها ، حتى وأنه يؤدى الصلاة يعيش هذه المعانى مسيطرا على ذهنه فى تدبرها . بدلا من أن تكون مجرد ألفاظ تخرج من الفم لا روح فيها من المعنى ، والله سبحانه وتعالى أنزل القرآن الكريم لتدبر معانيه ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾.[2]

ولهذا لم يكن رسول الله (ﷺ) يعنى بكثرة القراءة من القرآن بقدر ما كان يعنى من التدبر والفهم له . فعن أبى ذر رضى الله عنه قال : قام بنا رسول الله (ﷺ) بآية يرددها ﴿ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾.[3]

وكان منهج السلف الصالح مثل عثمان بن عفان وغيره أنهم كانوا إذا تعلموا من النبى الكريم عشر آيات لم يجاوزها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل .

---

(١) البخارى .
(٢) سورة " ص " ٢٩ .
(٣) المائدة ١١٨ .

❑ الركوع :-

انحناء تعظيم للخالق العظيم . ويتكرر فيه نداء سبحان ربى العظيم ثلاث مرات على الأقل ، لتأكيد الإحساس بالعظمة لله . وإن العبد لا يحنى ظهره إلا لخالقه العظيم .

والركوع هى الحالة التى يعبر به المصلى بجسمه عن تعظيم خالقه، والتى تسبق التعبير بالخضوع الكامل فى السجود . والركوع لابد أن يكون باطمئنان ، حتى يمكن أن تتشرب النفس معانى التعظيم . والرسول (ﷺ) يقول: " ثم أركع حتى تطمئن راكعا ، ثم أرفع تعتدل قائما ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ، ثم ارفع حتى تطمئن جالسا ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً.. "

وهذا التعبير باللسان والجسم عن التعظيم للخالق العظيم يجب أن تتذوقه النفس ، حتى يعيش ذهن المصلى هذا المعنى . ومن الدعاء المأثور من الرسول (ﷺ) فى هذا المجال " اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت، وعليك توكلت ، أنت ربى خشع قلبى وسمعى وبصرى ودمى ولحمى وعظمى وعصبى ، لله رب العالمين".

ويقول الإمام الغزالى " وأما الركوع والسجود فالمقصود بهما التعظيم قطعا ، ولو جاز أن يكون معظما لله عز وجل بفعله وهو غافل عنه لجاز أن يكون معظما لصنم موضوع بين يديه وهو غافل عنه ، أو يكون معظما للحائط الذى بين يديه وهو غافل عنه وإذا خرج عن كونه تعظيما لم يبق إلا مجرد حركة الظهر والرأس ، وليس فيه من المشقة ما يقصد الامتحان به ثم يجعله عماد الدين ، والفاصل بين الكفر والإسلام .[1]

---

(١) أسرار الصلاة .

- **السجود:**

قمة التعبير بكيان المصلى العضوى ، والخضوع لعظمة الخالق . يبدأ المصلى بنداء التسبيح بعلوه سبحانه عن كل شىء . وهو المخلوق الضعيف خافض الجبهة فى التراب الذى منه خلق وإليه سيعود .

ثم يناجى العبد خالقه ويسأله ، ويتضرع إليه ويستغيث به . وإن أثر ذلك على الإنسان تم الحديث عنه فى الجزء الخاص "الصلاة والنفس" ولكن الذى يهمنا هنا هو أن الدعاء للخالق من مخلوقه الضعيف لا يكون إلا وهذا المخلوق مهتما بما يقول ، لأنه يعبر عما يجيش فى صدره ، وبالتالى هو منتبه له ، وليس بغافل عنه . كذلك فإنه يبث الشكوى إلى الله والإنسان يركز ذهنه عندما يشكو إلى أى إنسان ، فما بالنا بالذى يشكو إلى العظيم المتعالى . وفى الشكوى يركز الإنسان ذهنه لأنه يعبر عن المشاعر الملحة فى نفسه ، والتى يضيق بها صدره .

ولا يعقل أن ينادى الإنسان الخاضع ربه الأعلى ويكرر النداء ، حتى يرسخ ، ثم يبث ربه نجواه وما يلح على فؤاده من هموم ، فلا يعقل وحاله هكذا أن يكون منصرف الذهن . ويقول لنا الرسول (ﷺ) : " اقرب ما يكون العبد إلى ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء "[1] ويقول الله سبحانه وتعالى ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾.[2]

إن السجود هو الدرجة النهائية لخشوع أعضاء المصلى لخالقه . وكأن القيام والركوع مرحلة تمهيدية له ، لذلك كان العبد هنا أقرب إلى ربه. وكان الرسول فى دعائه فى هذا الوضع يقول : " اللهم لك سجدت ،

---

(١) مسلم .
(٢) العلق ١٩ .

وبك آمنت ، ولك أسلمت ، سجد وجهى للذى خلقه ، وصوره وشق سمعه وبصره ، تبارك الله أحسن الخالقين " .

❑ **التشهد:**

بعد أن يصلى المصلى إلى أقصى درجة من التعبير فى الخضوع لخالقه وهى السجود يأخذ جلسة التشهد ، ويقول فيها بن القيم الجوزيه " جاثيا على ركبتيه كهيئة الملقى نفسه بين يدى سيده راغبا راهبا معتذرا إليه مستعديا إليه على نفسه الإمارة بالسوء ".[1]

وهيئة جلسة التشهد هذه تساعد على تركيز الذهن فى معانى التشهد ، وكما يقول الغزالى: " الظواهر تحريك للبواطن ".[2] ، أى أن هيئة المصلى فى جلسة التشهد تساعده على حصر انتباهه فى هذا الموقف. وقول الإمام الغزالى هذا يشبه قول وليم جيمس " إنك تستطيع أن تحتفظ باهتمامك إذا جعلت جسمك وعقلك يعملان معا فى عمل واحد ".[3]

ويأتى المصلى فى جلسة التشهد بأكمل التحيات التى لا يصل إليها أى مخلوق مهما كان قدره ، والصلوات تكون لله وحده ويقول بن القيم الجوزيه: " وكذلك قوله والطيبات ، فهى صفة الموصوف المحذوف أى الطيبات فى الكلمات والأفعال والصفات والأسماء لله وحده ".[4]

والسلام أعز ما يتمناه الإنسان . والله هو السلام ، ومنه السلام لعباده المخلصين وأخصهم رسول الله ويجب أن يتمثل المصلى فى ذهنه رسوله ، أسوته الحسنة ويقول الغزالى " احضر فى قلبك النبى (ﷺ)

---

(١) كتاب الصلاة وحكم تاركها .
(٢) أسرار الصلاة .
(٣) مجلة المختار .
(٤) كتاب الصلاة وحكم تاركها .

وشخصه الكريم وقل سلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته" . ويضيف الغزالى " ثم تشهد له تعالى بالوحدانية، ولمحمد (ﷺ) نبيه بالرسالة ، مجددا عبد الله سبحانه وتعالى بإعادة كلمتى الشهادة ، ومستأنفا للتحصن بها ".[1]

ويقول ابن القيم الجوزيه " ثم شرع له من الدعاء ما يختاره من مصالح دنياه وآخرته ، والدعاء فى هذا المحل قبل السلام أفضل من الدعاء بعد السلام وأنفع للداعى ، وهكذا كانت عامة أدعية النبى (ﷺ) كلها كانت فى الصلاة من أولها إلا آخرها ، فكان يدعو فى الاستفتاح بأنواع من الدعاء ، وفى الركوع وبعد رفع رأسه منه ، وفى السجود وبن السجدتين ، وفى التشهد قبل التسليم ".[2]

وعند الدعاء عندما يطلب الإنسان ما يحتاجه من المعطى سبحانه لابد أن يكون ذهنه مركزاً .

يمكن إيجاز ما تقدم فى النتائج الآتية :

١- الإسلام يقظة عقل ، والصلاة تتطلب اليقظة العقلية .

٢- حتى يكون المصلى مركزا عقله وذهنه فى أعمال الصلاة عالج الفكر الإسلامى مشتتات الانتباه الخارجية والداخلية . حتى يتمكن المصلى من أن ينتبه إلى أعمال الصلاة .

٣- اهتمام المصلى للقاء ربه يجعله ينتبه فى صلاته ، وإصراره على تركيز ذهنه فى الصلاة لابد وأن يتبعه اهتمامه بعبادته .

---

(١) أسرار الصلاة .
(٢) كتاب الصلاة وحكم تاركها .

٤- لا تحاول أيها المصلى أن تجاهد فى استبعاد الأفكار التى لا تريدها من ذهنك ، ولكن ركز ذهنك فى الصلاة ومعانيها ، فالأفكار الإيجابية تطرد السلبية .

٥- يجب أن يتعلم الإنسان ألا يؤدى إلا عملا واحد فى كل مرة ، فلا يشرك مع الصلاة أى عمل آخر ، بدون هذا يحدث الاضطراب ويقل الإنجاز .

٦-أطلق الإمام الغزالى على التركيز الذهنى فى الصلاة " حضور القلب " وعالج مشكلاته .

٧-القدرة على التركيز الذهنى موجودة عند كل إنسان ، وهى تنمو بالاستخدام وإذا كان على المسلم أن يصلى فعليه أن يستخدم هذه القدرة لتصح صلاته .

٨- يحث الإمام الغزالى على المجاهدة فى الصلاة ، وهى تدريب مستمر لنمو القدرة على التركيز فى الصلاة فتنمو باستمرار . ويقول الإمام الغزالى ما معناه إن هذه القدرة نسبية وإن أئمة الإسلام لم يستطيعوا التركيز المطلق فى الصلاة .

٩-الاهتمام يولد الانتباه ، وعندما يكون كل اهتمام الإنسان بالدنيا وكأن الآخرة لن تأتى مطلقا فإنه يصبح من العسير عليه أن ينتبه أثناء صلاته ولذلك على المصلى أن يذكر نفسه دوما بالآخرة ، وأن الدنيا هى الطريق إليها والرسول (ﷺ) يقول لنا " صل صلاة مودع " .

١٠-إن التدريب على التركيز الذهنى ستثاب عليه من الله سبحانه وتعالى أولا ، لأنك تؤدى صلاة مثمرة ، وثانيا ستجد المكافأة فى أى عمل تقوم به ، فسيكون الإنجاز رائعاً .

١١- يمكنك أن تقوم بتدريب إضافى على التركيز الذهنى ، كل يوم . ويمكنك أن تربط ذلك بالصلاة . فبعد صلاة الفجر كل يوم مثلا ركز ذهنك فى موضوع يلح على تفكيرك، لما له من أهمية دنيوية . ستجد أن عائد هذا التدريب سيفيدك ليس فقط فى صلاتك، بل فى حياتك كلها.

١٢- ليس معنى التركيز الذهنى أن توجه ذهنك إلى فكرة ثابتة ، إنما يعنى توجيه الذهن إلى كل الزوايا والنواحى الخاصة بموضوع معين فقط .

١٣- رمق الروح فى الصلاة ، كما قال الإمام الغزالى هى لحظة التكبير ، وهى لحظة تنبيه يسهل على أى إنسان أداءها .

١٤- الفاتحة هى مجمل الكتاب ، والقرآن كله تفاصيل لهذا المجمل وأثناء تلاوة القرآن فى الصلاة على العقل أن يلتقط من معانى الفاتحة المكثفة ما هو قريب منها ، وما هو قادر عليه .

١٥- القيام والركوع والسجود والجلوس للتشهد ، حركات تعبيرية يقوم بها المصلى ليعبر بكيانه العضوى عن التعظيم لخالقه العظيم .



الباب الرابع

الصلاة عادة أم عبادة؟

- الصلاة والعادة والعلاقة بينهما.
- لماذا كثير من المصلين يؤدون الصلاة بسهولة وتلقائية؟
- لماذا يجد بعض المسلمين صعوبة في اكتساب المواظبة علي الصلاة.
- وصفة أخيرة (من علم النفس) لاكتساب المواظبة علي الصلاة.
- لماذا نجد أناساً لا يصلون أفضل سلوكاً من آخرين مواظبين علي الصلاة؟
- لنجعل من القوة عادة.

الصلاة والعادة

الصلاة والعادة : وعلاقتهما :-

الصلاة هي اتصال بين العبد وربه يقوم بها الإنسان بكل كيانه جسمه وعقله ونفسه ، فالجسم يقوم بالحركات التى تعبر عن الخشوع والطاعة ، والعقل يعيش معانى الصلاة وتذوق رسالة السماء وهى القرآن الكريم ، والنفس تغمرها السكينة .

ولأن اللقاء المقدس بين الإنسان وخالقه وهو الصلاة سلوك يتكرر يومياً ويأخذ صفة الاستمرار فإنه يصبح سلوكا راسخا فى حياة المسلم وصفه تلازمه ، وهذا هو الجزء الشكلى من الصلاة ويتحكم هذا السلوك المتكرر فى المصلى المداوم على الصلاة حتى إذا تأخر عن فرض من الفروض ولم يؤده شعر بأن هناك شيئاً ينقصه وشعر بالضيق .

وكل مصلى أصبحت الصلاة جزءا من حياته يداوم عليها تلقائيا فى يسر وسهولة أصبح هذا المصلى يمتلك صفة المواظبة على الصلاة ، وهناك تأتى العلاقة بن الصلاة والعادة . والعادة فى حياتنا ليست شيئا هينا فإن ما يزيد عن تسعة أعشار سلوكنا عبارة عن عادات ، اكتسبناها وتسطر على كل أعمالنا وكل تصرفاتنا . وهذه العادات اكتسبناها من البيئة المحيطة بنا " ولهذا فنحن نكرر الأعمال التى تجد هوى فى نفوسنا وتصبح صفة ملازمة لنا نؤديها بشكل رتيب وبطريقة آلية بدون بذل أى جهد فى ذلك أو الانتباه إليه على الإطلاق . والعادة بهذا توفر لنا المجهود والسرعة والدقة والاختصار فى الأداء.

وسلطان العادة يتحكم فى معظم سلوكنا حتى لقد قيل إن العادة طبيعة ثانية فى الإنسان ، والعادة يمكن أن تكون حركية أو عقلية أو خلقية كعادة السباحة وعادة الضبط النفسى وعادة تركيز الذهن وعادة التفكير بالأسلوب العلمى ، وغير ذلك من العادات .

ليس معنى الحديث عن الجزء الشكلى من الصلاة وهو العادة ، أن الصلاة هى مجرد شكل روتينى يؤدى آليا لا حياة فيها ولا روح . لا ، أخطأ من فهم ذلك . إذا كانت الصلاة مجرد المواظبة على سلوك لا معنى له أصبحت قبض الريح إنما هى بجانب هذا الجزء الشكلى روح تسرى فى كيان الإنسان كله .

وهناك قول مأثور بالنسبة للعادة " العادة نعم الخادم وبئس السيد" فالعادة فى الصلاة نعم الخادم لأنها تجعلنا نؤدى صلاتنا بتلقائية وسهولة ، وكون هناك إلحاح علينا بأن هناك شيئاً ناقصا إذا لم تؤدها .

والعادة فى الصلاة بئست السيد لأننا إذا اكتفينا بعادة الصلاة فقط، تحولت الصلاة إلى مجرد روتين نقوم به . كالذى يريد الاتصال بآخر عن طريق التليفون فعندما يبدأ الاتصال ويدق جرس التليفون عند الآخر فيرفع سماعته فيجد الشخص الأول لا يقول له شيئاً . لقد قام بالاتصال فعلا ولكن لا قيمة ولا معنى لهذا الاتصال ، لنه لا يؤدى إلى أى نتيجة . أما الذى يجعلنا نؤدى الصلاة كما ينبغى ونستفيد منها، فتكون كل صلاة وجبة روحية دسمة بدلا من أن تكون مضغا للهواء هذا هو موضوع البحث الذى نحاول أن نتناوله.

❑ لماذا نجد كثيرا من المصلين يؤدون الصلاة بسهولة وتلقائية ؟

إن هؤلاء المصلين اكتسبوا عادة الصلاة فأصبحت سلوكا راسخا فى حياتهم ، وجزاءا من نظام يومهم يمارسونها بتلقائية فلا يحتاجون فى إقامتها إلى مجهود كبير كالذى تعود على أن أول شىء يفعله فى يومه أن يغسل وجهه . بمجرد قيامه من النوم مباشرة يذهب إلى الحمام ليغسل وجهه ولا يحتاج هذا منه إلى تفكير هل يؤجل غسيل الوجه إلى ما بعد الإفطار أم لا ؟ وهل يقرأ جريدة الصباح أم لا ؟ فغسيل الوجه أصبح عادة مرتبطة بالقيام من النوم .

ذلك المصلى الذى اكتسب عادة الصلاة فهو يؤديها كصفة من صفاته وإذا لم يقم بها شعر أن هناك شيئاً ناقصا ، فهناك إلحاح من السلوك الذى تعود على أن يؤديه ، وهذه هى عادة الصلاة . وهؤلاء المصلون الذى يكتسبون صفة الصلاة نشأوا فى بيئة دينية فاكتسبوا منها سلوك الصلاة ودربهم عليها أهلهم فاكتسبوا الصلاة منهم ولو كان فعلهم لها تقليدا ، وأول شئ يمكن أن يلاحظ فى الأطفال هو حبهم للتقليد .

وقد يكون هؤلاء المصلون اكتسبوا عادة الصلاة من المجتمع الذى يعيشون فيه خاصة إذا كان مجتمعا صغيرا مثل مجتمع القرية ، وهو يشجع الصلاة ويعتبرها سلوكا مرغوبا فه . هنا البيئة الاجتماعية تشجع على اكتساب عادة الصلاة . أو أن يكون بعض الأسباب الأخرى أيقظت العاطفة الدينية للمسلم وساعدة وجوده فى مجموعة من الأصدقاء الذين يمارسون الصلاة ، ويشجعونه عليها .

والرسول الكريم يقول فى حديثه (علموا أولادكم الصلاة عند سبع واضربوهم عليها لعشر) . فالرسول الكريم يحث الأهل على زرع عادة

الصـلاة مـبكرا ، فيـتعهد الأهـل الأبـناء بـزرع عـادة الصـلاة بتعلـيمهم علـيها وجعلهـم يقلدونهـم ، وعـندما يـبلغ الطفـل العاشـرة يشـددون علـيه فـى ذلـك ، بحيـث يكـون العقـاب الـذى يشـعر الطفـل بجديـة الـتعلم حـتى يـتم زرع عـادة الصـلاة فـى هـذا الطفـل ، حـتى يـتم زرع عـادة الصـلاة فـي هـذا النشـىء الغـض. فينشـأ العـود الأخضـر نامـياً مسـتقيما علـى الصـلاة فـتكون الصـلاة صـفة أساسية من صفاته ، لأن من شب على شىء شاب عليه كما يقولون .

❑ **لماذا يجد بعض المسلمين صعوبة فى اكتساب الصلاة ؟**

بالنسـبة للذيـن لا يمارسـون سـلوك الصـلاة ، وهـم ليسـوا بالأطفـال . إنما شبـاب يافع وكان عليهم أن يصلوا من سنوات عدة ولكنهم لم يفعلوا.

هؤلاء صنفان :

صـنف ران علـى قلـبه غلظـة الجهـل ، فهـو فـى ضـلاله لا يحـيد عـنه والمسـألة الأساسـية عـندهم ليسـت فـى الصـلاة وإنمـا الهـدف هـو السـلوك الحسـن فـى الحـياة ، فطالمـا يؤديـه فـلا داعـى إذن للصـلاة . وهـو بهـذا يجهـل حقـيقة الصـلاة ، وهـى أنهـا نفـع فـى الدنـيا قـبل أن تكـون ثوابـا فـى الآخـرة . ويسـوق أبـو الحسـن علـى الحسـنى الـندوى مـثلا علـى الـذى يـترك الصـلاة استهانة بأمـرها ويعـتذر عـنها بأنـه لا يجـد وقـتا لـيؤديها . وهـذا المـثال مـأخوذ عـن الشـيخ شـرف الديـن يحـيى المنـيرى : " كـان لأحـد الأغنـياء الحكمـاء حديقـة غنـاء ، ولمـا حضـرته الوفـاة ، دعـا ابنه وقـال لـه : أوصيك بالمحافظـة علـى هـذه الحديقـة وعلـى مـا فـيها مـن أشـجار وأزهـار ، ونـباتات وحشـائش فـلا تقـص مـنها شـيئا استغناء عـنه أو زهـدا فـيه ، فإنهـا كلهـا تقـوم علـى حكمـة غامضـة ، وفوائـد مسـتورة ، ولمـا مـات الـرجل وآل الأمـر إلـى ولـده رأى أن

نبات قد انزوى وأصبح حشيشاً لا رائحة ولا غناء فيه ، ورأى أنه يشغل مكانا من غير جدوى ويسيء إلى الحديقة وجمالها ومنظرها ، واقتلع الجرثومة ، فما لبث أن دخلتها حية سوداء ، فلسعت سيدها فمات من ساعته وعلم الناس أن الجرثومة كانت وقاية من الحيات والأفاعي والحشرات السامة فلا تدخل حديقة فيها هذه الجرثومة".

وصنف آخر مقتنع تماما بأهمية الصلاة ، وأنها فرض وأمر من الله سبحانه وتعالى يجب أن يطاع ، وأنها عماد الدين وبدونها لا يقم دينه . فالمسلم هنا عاطفته الدينية صادقة ، وخشيته من الله موجودة ، وإن الصلاة بالنسبة إليه نعمة منحها الله لعباده ، وليست تكليفا وعناء . ينصح هذا الصنف من المسلمين بأن يبدأ فورا في الصلاة ويواظب عليها ولا ينتظر الظروف الملائمة كما يوسوس له شيطان نفسه ، فأنه إن انتظر هذه الظروف فن تأتي أبدا وإنما يبدأ من الآن وفي هذه اللحظة ، ويجعل هدفه في الوصول إلى رضا الله بإقامة ركن من أركان الإسلام وهو عماد الدين ، والنفع الذي سيعود عليه يكون في الدنيا والآخرة . وأن يكون هذا الهدف دائما يقظا في ذهنه ، ويساعده على ذلك أن ينضم إلى جماعة تواظب على الصلاة ويجعلهم أصدقاءه، ويكون قدوته شخصا مصليا يعجب به ويقدره ، لأن هذا المصلي الذي يقلده وصل للهدف الذي يبغى الوصول إليه .

والتقليد لا يحتاج إلى بذل جهد ولا إلى قوة إرادة ، إنما التقليد عمل يؤدي في هدوء واسترخاء ويجعل المقلد له هدف نصب عينيه دائما . لأنه لا يمكن أن يقلد لا شيء ، فهو يتحول وهو يقلد إلى من يقلد . ويقول الله

تعـــــــالى ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ .

ولكـن مـاذا لـو كـان المسـلم بالـرغم مـن أن عاطفـته الدينـية صـادقة ، وأراد أن يصـلى واسـتجمع قـوة إرادتـه ليصـلى وبـدأ الصـلاة ولكـنه تعـثر ، إن هـذا سيشـعره بالذنـب وبأنـه ضـعيف الإيمـان ولـولا ذلـك مـا تعـثر ، وشـعوره بالفشل والذنب يقلل من فرصة اكتسابه لصفة الصلاة .

ألا توجـد وصـفة أخـيرة لهـذا المسـلم فتسـاعده علـى أن يكتسـب عـادة الصـلاة وينضـم إلـى المصـلين فـلا يشـعر أنـه اقـل مـنهم إيمانـا ، أو أنـه متـناقض بين ما يعتنقه من مبادئ وبين ما يمارسه من سلوك؟

الواقـع أنـه توجـد وصـفة أخـيرة لاكتسـاب المواظـبة علـى الصـلاة ، وهـذه الوصـفة مبنـية علـى الـتدرج فـى الخطـوات لاكتسـاب عـادة الصـلاة . وطـبعا مـن بديهـيات فـرض الصـلاة أنـه مفـروض علـى كـل مسـلم ومسـلمة بلـغ الرشـد ، ولـيس فـى هـذا نقـاش أو تجـزئة . والـذى يمـارس الصـلاة ليسـت هـناك مشـكلة أمامـه ، أمـا الـذى لـم ينشـأ علـى أداء الصـلاة وجـاءه الاسـتيقاظ وأراد أن يصـلى وهـداه الله إلـى ذلـك واسـتمر فـى المواظـبة علـى صـلاته ونجـح فهـذا هو الخير كله .

أمـا إذا بـدأ بالعاطفـة الدينـية والـروح الصـادقة ولكـنه تعـثر ولـم يستمر، فهـل هـذا هـو ضـعف فـى إيمانـه أو تخـاذل فـى قـوة إرادتـه ؟ ولذلـك كـان هـذا الاجـتهاد بهـذه الوصـفة الـتى إذا أدت إلـى أن يكتسـب صـفة المواظـبة علـى الصـلاة فهـى افضـل مـن الانقطـاع الـتام عـنها . بمعنـى أنـه ليسـت هـذه الوصـفة هـى القـاعدة الـتى يتـبعها كـل مـن لا يصـلى ويـريد أن يكتسـب صـفة المواظـبة علـى الصـلاة ، وإنمـا هـى اسـتثناء للـذى كـان هدفـه الصـلاة واضـحا أمامـه

وعاطفته الدينية صادقة فى ذلك ولكن تعثر فى محاولته لاكتساب المواظبة على الصلاة . فهل من الأفضل أن يستمر فى انقطاعه عن الصلاة أو تقدم إليه وصفة أخيرة وإن كانت هذه الوصفة بها قصور؟

فإذا نجحت هذه الوصفة فهى اخف الضررين ، فنجاحها قد جعل الشخص يواظب على الصلاة فهذا أفضل من تركه لا يمارس المواظبة على الصلاة إطلاقا . وكما أن هناك من هو متخلف عقليا فهناك من هو متخلف روحيا . وحتى يمكن تنمية عقل المتخلف عقليا يجب أن يبدأ التعامل معه حسب عمره العقلى ، وليس حسب عمره الزمنى . وكذلك المتخلف روحيا يجب تنمية روحه تدريجيا حتى تصل إلى النمو الروحى .

إنه فى الضرورة القصوى تباح أشياء لم تكن تباح فى الظروف العادية . فيباح شرب الخمر أو اخذ قدر من السموم كعلاج للمريض إذا كان فى ذلك دواء له ، وهناك حكمة تقول الضرورات تبيح المحظورات ، لذلك فالذى فشل فى أن يكتسب صفة المواظبة على الصلاة مرة واحدة كما هو مطلوب منه فإذا أعطينا له فرصة التدرج فى خطوات اكتساب الصلاة ونجح فى ذلك يكون كالمريض الذى وجد فى الخمر أو السم علاجا له .

ونحن هنا ندخل إلى الصلاة من باب العادة . بعد أن فشل المصلى فى أن يدخلها من باب الدوافع الروحية . حتى نغرس عادة الصلاة بنفس الطريقة المتبعة فى اكتساب العادات الأخرى ، والتى ينصح بها علماء النفس . فعندما يتم اكتساب عادة الصلاة وهى وعاء السلوك الذى يجب أن يمتلئ بالروح الدينية الصادقة والتى هى الأهم ، وكأنما نعود بذلك المرء الذى يريد اكتساب صفة المواظبة على الصلاة إلى فترة الطفولة ، حيث كان يجب على أهله أن يقوموا بزرع عادة الصلاة والتى وجهنا إليها

الرسـول الكـريم (ﷺ) : " مـروا أولادكـم بالصـلاة إذا بلغـوا سـبعا ، واضربوهم عليها إذا بلغوا عشرا " .

ويذكـرنا الأسـتاذ / أحمـد بهجـت بقـول العـالم الجلـيل أسـتاذنا الشـيخ / عبد الوهـاب خـلاف رحمـه الله تعـالى وأثابـه إن المـبادئ العامـة الـتى بنى عليها التشريع الإسلامى كانت أربعة :

المبدأ الأول : الـتدرج فـى التشـريع ، فقـد مكـث القـرآن يتـنزل علـى قلـبه لمـدة ٢٢ سـنة. وكانـت حكمـة الـتدرج أنـه ييسر معـرفة القـانون مـادة مـادة. وييسـر أحكامـه بـالوقوف علـى الحـدث الـذى اقتضـى التشـريع ، ولـم يكـن الـتدرج زمنـيا فقـط ، وإنمـا كـان نوعـيا أيضـاً ، فلـم يكلـف المسـلمون فـى أول عهدهـم فـى الإسـلام بمـا يشـق علـيهم فعلـه أو مـا يشـق علـيهم تـركه ، بـل أخذهـم الله والرسـول الـرفق والأنـاة والحلـم مـثلا : لـم تفـرض خمـس صـلوات فـى الـيوم . بـل طلبـت مـنهم صـلاة مطلقـة بـالغداة والعشـى ، أيضـاً لـم تفـرض علـى المسـلمين الـزكاة والصـيام إلا بعـد الهجـرة بسـنة ، أى بعـد مـا يقـرب مـن أربعـة عشـر عامـا مـن بدايـة الإسـلام أيضـاً لـم يحـرم الخمـر والميسـر وكثـير مـن عقـود الـزواج والـربا إلا بالمديـنة ، كمـا تـم تحـريم الخمـر علـى ثـلاث مراحل ".[١]

(١) جريدة الأهرام ، صندوق الدنيا .

وصفة أخيرة لاكتساب المواظبة على الصلاة :-

الوصفة ببساطة أن الشخص الذى فشل فى أن يكتسب عادة المواظبة على الصلاة مرة واحدة عليه أن يصعد سلم عادة الصلاة درجة درجة وكل درجة فى وقتها ، وأن يجعل فترة زمنية لكل درجة فيقسمها مثلا إلى خمس خطوات وكل خطوة مدتها أسبوع :

الخطوة الأولى : صلاة الصبح .

الخطوة الثانية : صلاة الصبح والظهر.

الخطوة الثالثة : صلاة الصبح والظهر والعصر.

الخطوة الرابعة : صلاة الصبح والظهر والعصر والمغرب .

الخطوة الخامسة: صلاة الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء.

فالخطوة الأولى وهى ركعتين الصبح كما نرى بسيطة وسهلة ، ولن يجد الذى لا يصلى مطلقا فى أن يصلى ركعتين فقط فى اليوم أى صعوبة . والخطوة الأولى سهلة لأن الخطوة الأولى فى أى عمل هى أهم خطوة فيه ، ولذلك يجب أن تكون أسهل الخطوات ، حتى يكون النجاح فيها أكثر ضمانا . فالنجاح البسيط يؤدى إلى نجاح أكبر بينما لو أن إنسانا فشل فى الخطوة الأولى ، فإن فشله مهما كان مجيدا فلن يؤدى به إلى شىء .

وطالما أن الشخص فشل فى أن يكتسب عادة المواظبة على الصلاة مرة واحدة فهذه الوصفة تجزئ له عادة المواظبة حتى لا تضعف جهوده الضعيفة أصلا فى مساحة عادة المواظبة على الصلاة دفعة واحدة . وطالما أن اللقمة أكبر من فمه الضعيف فمن الأفضل له أن يجزئها إلى لقيمات يتناولها مرة بعد مرة فلا يشعر بضخامة فى الأمر ، وهو المواظبة على الصلاة يومياً وطول حياته .

والواقع أن الإرادة حتى وإن كانت ضعيفة ، إلا أنها تستطيع أن تقوم بالخطوة المقررة فى برنامج اكتساب عادة الصلاة فى هذه اللحظة بالذات والآن . وهو عندما يهتم باللحظة الحاضرة فى أداء صلاة الصبح وهى الخطوة الأولى فليس معنى ذلك إهمال باقى الخطوات ، وإنما ليس عليه أن يحمل على كاهله أعمالا أخرى لم يأت وقتها بعد .

وفى ميدان الطب تعمل العيادات التى تعالج المدمنين على الخمر بنفس القاعدة السابقة إنهم لا يطلبون من المدمنين الامتناع التام وإلى الأبد عن الشرب ، وإنما طوال الأربعة والعشرين الساعة القادمة فقط حتى لا تشتت الجهود ، فيصل إلى نتيجة طيبة . إن هذا يذكرنا بكيف عالج الإسلام شرب الخمر ، فلم يمنع الخمر مرة واحدة ، وإنما تدرج فى الخطوات .

وعلى الذى يقوم باكتساب عادة الصلاة ، معرفة هدفه بالضبط حتى يملك الرغبة القوية فى العمل وهذا الهدف هو رضا الله سبحانه وتعالى فيقيم دينه .

صحيح أنه بدأ بالجزء وهو صلاة الصبح ولكن فى طريقه إلى أن يصلى كل الفروض . ويتخيل نفسه وهو مواظب على صلاته كبقية المسلمين . ويتصور ماذا يكون عليه شعوره عندما يحقق هذا ، وكيف أن شعور الذنب سيزاح عن صدره ، فالمسلم الذى لا يصلى يشعر فى قرارة نفسه أن هناك شيئا ينقصه وعليه كل يوم قبل النوم أن يحمد الله على هدايته للصلاة ، وأنه كل يوم يتحسن فى اكتساب صفة الصلاة وهذا هو الإيحاء النفسى الذى يفيده .

عليه أن يعش بين جماعة من المسلمين ، ويقلدهم . وعليه أن يجهر بين أولئك الذين يحرص على كسب احترامهم بأنه سيصلى وسيستمر

فـى ذلـك ، وذلـك يجعلـه أقـل عرضـة للـنقوص . وعلـيه أيضـا ألا يقـبل أى تغاضـى ولـو مـرة واحـدة ، فـلا يقـبل أى حالـة اسـتثنائية علـى الإطـلاق . فـإذا قـبل ذلـك مـرة قـبله بعد ذلـك مـرات . فـإذا قـال لنفسـه إن هـناك ظروفا متغيرة تضـطرنى أن أؤجـل صـلاتى لـيوم تـال ، وأن هـذه واحـدة لـن تغـير شـيئاً فـى بـرنامج اكتسـابى لعـادة الصـلاة ، فإنـه يكـون قـد تهـاون ، فعـرض نفسـه لمـيوعة التنفـيذ ، وسـتكثر أمامـه المناسـبات الـتى يـرى فـيها أنهـا ظـروف خاصـة تضـطره أن يؤجـل صـلاته ، ممـا يعرضـه للفشـل فـى الاسـتمرار فلابـد أن يرتـب أولوياتـه وأن يعلـم أن الصـلاة هـى الأهـم فلابـد مـن تفضـيلها عـن أى عمل آخر .

وبعـد فهـذه هـى الوصـفة الأخـيرة . إذا نجحـت وأتـت أكلهـا كانـت خـيرا، ولقـد سـاعدت مسـلما لا يصـلى وحولـته إلـى مسـلم يواظـب علـى صـلاته . وإذا لـم تـنجح فإنهـا كانـت مجـرد محاولـة أخـيرة ، ولـم يتسـبب عـنها أى خسـارة لأنه قبل أن يقوم بهذه المحاولة لم يكن يصلى أصلا .

ونعـود مـرة أخـرى لـنؤكد أنـه يجـب معـرفة الهـدف . فـبقدر وضـوح الهـدف يكـون قـوة الدافـع ، ذلـك الدافـع الـذى يعطـى الإنسـان الطاقـة للاسـتمرار فـى اكتسـاب سـلوك الصـلاة . ولقـد أورد لـنا بـن القـيم الجوزيـة فـى كـتابه " كـتاب الصـلاة وحكـم تاركهـا " كلمـات مـن رسـالة الصـلاة للإمـام أحمـد يوضح فيها أهمية الصلاة للمسلم :

وقـال الإمـام أحمـد : وقـد جـاء فـى الحديـث " لاحـظ فـى الإسـلام لمـن تـرك الصـلاة " ، وقـد كـان عمـر بـن الخطـاب يكتـب إلـى الآفـاق : إن أهـم أموركـم عـندى الصـلاة ، فمـن حفظهـا حفـظ ديـنه ، ومـن ضـيعها فهـو لمـا سـواها أضـيع، ولاحـظ فـى الإسـلام لمـن تـرك الصـلاة . قـال : فكـل مسـتخف

بالصلاة - مستهين بها ، فهو مستخف بالإسلام مستهين به ، وإنما حظهم فى الإسلام على قدر حظهم من الصلاة ورغبتهم فى الإسلام على قدر رغبتهم فى الصلاة . فاعرف نفسك يا عبد الله ، وأحذر أن تلقى الله ولا قدر للإسلام عندك ، فإن قدر الإسلام فى قلبك كقدر الصلاة فى قلبك . وقد جاء الحديث عن النبى ﷺ أنه قال " الصلاة عمود الدين " . الست تعلم أن الفسطاط إذا سقط عموده سقط الفسطاط ولم ينتفع بالطنب ولا بالأوتاد ؟ وإذا قام عمود الفسطاط انتفعت بالطنب والأوتاد ، وكذلك الصلاة من الإسلام . وجاء الحديث إن أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة من صلاته فإن تقلبت منه صلاته تقبل منه سائر عمله وإن ردت عليه صلاته رد عليه سائر عمله . فصلاتنا آخر ديننا ، وهى أول ما نسأل عنه غدا من أعمالنا يوم القيامة ، فليس بعد ذهاب الصلاة إسلام ولا دين إذا صارت الصلاة آخر ما يذهب من الإسلام . هذا كله كلام أحمد . والصلاة أول فروض الإسلام وهى آخر ما يفقد من الدين فهى أول الإسلام وآخره ، فإذا ذهب أوله وآخره فقد ذهب جميعه ، وكل شىء ذهب أوله وآخره فقد ذهب جميعه . قال الإمام أحمد : كل شىء يذهب آخره فقد ذهب جميعه فإذا ذهبت صلاة المرء ذهب دينه " .

❑ **لماذا نجد أناسا لا يصلون افضل سلوكا من آخرين يواظبون على الصلاة ؟**

حقا إننا نجد فى حياتنا الواقعية حالات لأشخاص لا يصلون ولكنهم فى حياتهم وسلوكهم يتميزون بسلوك أفضل بكثير من أناس مواظبين على صلاتهم ، فما معنى ذلك ؟

الواقع أن هؤلاء الذين يصلون وسلوكهم سيئ ولا يرغب أحد فى أن يعتبرهم قدوته .

هـؤلاء الـناس صـلاتهم تقـف عـند حـد العـادة ، عـند مجـرى الروتيـن الآلـى الـذى يؤدونـه ، لا روح فـيها علـى الإطـلاق . وكأنهـا وعـاء خـاو مـن المحـتوى . إن أبسـط قواعـد المـنطق تقـول إن هـناك أناسـاً آخريـن يصـلون وأخلاقهـم ممـتازة وسـلوكهم طيـب ، فالصـلاة تأمـر بالمعـروف وتـنهى عـن المـنكر . ويقـول الرسـول : (ﷺ) مـن لـم تـنه صـلاته عـن الفحشـاء والمـنكر لـم يـزدد مـن الله إلا بعـداً[1]. إذن أيـن العيـب فـى هـؤلاء الأشـخاص ؟ إذا كانـت الصـلاة فـى حـد ذاتهـا تدعـو إلـى الخـير والله سـبحانه وتعـالى يقـول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾.[2]

والإمـام محمـد عـبده يسـمى الصـلاة الـتى يمارسـها الإنسـان سـيئ السـلوك " نفـاق العـادة " فـيقول : للعـبادة صـور كثـيرة فـى كـل ديـن مـن الأديـان، شـرعت لتذكـير الإنسـان بذلـك الشـعور بالسلطان الإلهـى الأعلـى الـذى هو روح العبادة وسرها.

ولكـل عـبادة مـن العـبادات الصـحيحة أثـر فـى تقويـم أخـلاق القـائم بهـا وتهذيـب نفسـه ، والأثـر إنمـا يكـون عـن ذلـك الـروح والشـعور الـذى قلـنا أنـه منشـأ التعظيـم والخضـوع . فهـذا وجـدت صـورة العـبادة خالـية مـن هـذا المعنى لم تكن عبادة ، كما أن صورة الإنسان وتمثاله ليس إنساناً.

---

(١) الطبرانى .
(٢) النـــور (٢١) .

خذ إليك عبادة الصلاة مثلا ، وانظر كيف أمر الله بإقامتها دون مجرد الإتيان بها . وإقامة الشىء هى الإتيان به مقوما كاملا يصدر عن علته وتصدر عنه آثاره . وآثار الصلاة ونتائجها هى ما أنبأنا الله تعالى بها بقوله : ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾[1] وقوله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ . وقد توعد الذين يأتون بصورة الصلاة من الحركات والألفاظ مع السهو عن معنى العبادة فيها وسرها المؤدى إلى غايتها بقوله: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾ ﴾، فسماهم مصلين لأنهم أتوا بصورة الصلاة ، ووصفهم بالسهو عن الصلاة الحقيقية التى هى توجه القلب إلى الله تعالى المذكر بخشيته والمشعر للقلوب بعظيم سلطانه ، ثم وصفهم بأثر هذا السهو وهو الرياء ومنع الماعون . والرياء ضربان : رياء النفاق وهى العمل لأجل رؤية الناس ، ورياء العادة وهو العمل بحكمها من غير ملاحظة معنى العمل وسره وفائدته، ولا ملاحظة من يعمل له ويتقرب إليه به ، وهو ما عليه أكثر الناس ، فإن صلاة أحدهم فى طور الرشد والعقل هى عين ما كان يحاكى به أباه فى طور الطفولة عندما يراه يصلى - يستمر على ذلك بحكم العادة من غير فهم ولا عقل ، وليس لله شىء فى هذه الصلاة . وقد ورد فى أحاديث كثيرة أن من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا ، وأنها تلف كما يلف الثوب البالى ويضرب بها وجهه . وأما الماعون فهو المعونة والخير الذى

تقدم فى الآية الأخرى أن من شأن الإنسان أن يكون منوعا له إلا المصلين.[1]

الصلاة الحقيقية هى اتصال بالله خمس مرات فى اليوم على الأقل ، يتصل بالمخلوق بالخالق فيشعر وجود الله فى كل فترة من فترات اتصاله ، فيكون دائم الخشية منه ، وذلك يضبط سلوكه حتى يحظى برضاء خالقه.

وحوار دار بين شخصين أحدهما يخشى الله ، والآخر يتباهى بأنه يطلق العنان لشهواته ويفتخر بمهارته فى اصطياد النساء . قال له الذى يخشى الله ربما أكون أكثر منك شهوة ، ولكن لا أفعل الذى تفعله لأنى اخشى الله .

والذين يصلون وسلوكهم سيئ ، يرجع ذلك أن صلاتهم روتين آلى لا يشعرون بروحها ولا يتصلون بخالقهم حقا . فيخيل إليهم أنهم أدوا ما عليهم من فريضة ، وهم فى الحقيقة قاموا بحركات فارغة المعنى فلا يكون هناك اتصال بالله فتقل خشيتهم منه ، فيسلكوا سلوكا سيئاً . وهم يتصورون بأدائهم صلاة النفاق هذه أنهم قاموا بكامل العبادة .

بينما الذين لا يصلون وسلوكهم أفضل يكونون مقتنعين بالصلاة، ويشعرون بالذنب لعدم أدائها ولكنهم لم يهتدوا بعد إلى المواظبة عليها . وهم يملكون طبيعة طيبة ولا ينقصهم إلا اكتسابهم لصفة الصلاة ، فتنمى طبيعتهم الطيبة .

ولأن الصلاة عند الصنف الأول عادة ومجرد إجراء روتينى فلا قيمة له ، وكأنها لم تكن . إذا فهذان الصنفان من الناس متساويات فى عدم الصلاة ، لأن صلاة لا قيمة لها تساوى بالضبط عدم الصلاة . وعندما

---

(١) فاتحة الكتاب (تفسير الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده)

يتساوى هذان الصنفان فى عدم الصلاة تبقى طبيعة كل منهما ، فنجد أن طبيعة الصنف الثانى تكون أفضل من طبيعة الصنف الأول الذى يصلى وسلوكه سيئ ، وبالتالى يكون سلوك الصنف الذى لا يصلى أفضل .

وأحياناً يوجد أناس يصلون وسلوكهم طيب بالرغم من أن صلاتهم لا قيمة لها وكأنها لم تكن . ويرجع ذلك إلى أن طبيعتهم طيبة . وإن كان الويل لهم لأنهم فى صلاتهم ساهون كما تخبرنا الآية الكريمة: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ ﴾.

❑ **لنجعل من القوة عادة :**

إذا كان فى الصلاة جزء عبارة عن عادة لأنها سلوك متكرر ، وبالطبع الجزء الأكبر منها هو الروح ، هو العبادة ذاتها . والسؤال الآن بعد أن يكتسب المسلم سلوك الصلاة ويصبح راسخا عنده ، يؤده خمس مرات فى كل يوم . أليس من الأفضل له أن يكتسب أيضا عادات قوة أخرى فتصبح شخصيته مجموعة من عادات القوة ، تلازمه فى حياته يؤديها بشكل رتيب وبطريقة آلية من غير بذل أى مجهود ، وأن يكتسب هذه العادات الجديدة بنفس الطريقة التى اكتسب بها عادة المواظبة على الصلاة، فتصبح شخصية هذا المسلم المصلى مرادفة لمعنى القوة .

تربط المواظبة على الصلاة بسلوك آخر ، فيصبح الاثنان متلازمين وكأنهما عادة واحدة ما أن تبدأ السلوك الأول حتى ينساب السلوك الثانى تلقائيا ، ومثال ذلك ربط صلاة العصر التى أصبحت سلوكا رسخا فى حياة المسلم ببعض التمرينات الرياضية مثلا . كل يوم بعد صلاة العصر يؤدى بعض التمرينات فمجرد الانتهاء من صلاة العصر يجد نفسه تلقائيا يقوم

بهذه التمرينات . وبهذه المواظبة سيحصد في النهاية ثمار القوة الناتجة عن التمرينات الرياضية المستمرة والمتمثلة في هيئة إحساس بالقوة الجسدية .

وكمثال ما حدث للأستاذ الجامعي وزوجته ، وكان مدعو إلى حفلة وصعد إلى غرفة نومه ليغير ملابسه ويرتدى ملابس تليق بالحفلة، ولكنه بمجرد أن خلع ملابسه ووضع نفسه في الفراش جاءه النوم . فذهبت إليه زوجته عندما تأخر عليها ، فوجدته نائما ، لأنه تعود على هذا التسلسل فى الخطوات فمجرد أن بدأ في الخطوة الولى تداعت عليه بقية الخطوات بتلقائية .

وبعد أن يكتسب المسلم المصلى عادة إيجابية ، عن طريق ربطها بالصلاة فتصبح سلوكا راسخا عنده يتجه لأن يكتسب عادة إيجابية أخرى . وهكذا إلى أن تصبح معظم عاداته صفات قوة لأن معظم سلوك الإنسان عبارة عن عادات .

فلماذا لا نجعل هذه العادات عادات إيجابية ، حتى يصبح معظم السلوك سلوكا إيجابيا .

وإن نجاح المصلى في اكتساب عادة الصلاة يؤدى إلى اكتساب عادات إيجابية أخرى مثل اكتساب عادة المواظبة على تنظيف الأسنان قبل الصلاة . وفي أثناء الصلاة الوقوف الصحيح أثناء القيام ، والجلسة الصحيحة ، والركوع الصحيح ، والسجود الصحيح . واكتساب عادة التركيز الذهنى أثناء الصلاة ، وعادة ضبط النفس وغير ذلك من العادات .

يمكن إيجاز ما تقدم فى النتائج الآتية : -

١- الصلاة عادة وعبادة: عادة لأنها سلوك متكرر ومواظب عليه يوميا ، وعبادة لأنها اتصال مقدس بن الخالق والمخلوق .

٢- معظم سلوك الإنسان عادات . وعادة الصلاة تجعلنا نؤدى الفروض بتلقائية وسهولة ، وهذا ما نراه عند كثير من المسلمين ولهذا يحثنا الرسول ﷺ أن نزرع عادة الصلاة فى النشىء الغض من سن السابعة، وتندرج مع التربية فنضربهم عليها فى العاشرة ولهذا ينشأ العود الأخضر مستقيما ناميا على الصلاة .

٣- عندما تتحول الصلاة إلى عادة فقط يموت معناها وتفقد قيمتها .

٤- بعض المسلمين يجد صعوبة فى الصلاة . وهما صنفان : صنف يجهل حقيقة الصلاة . وصنف ثان مقتنع بها ولكنه لا يملك القدرة على المواظبة عليها وهذا الصنف الثان عليه أن يبدأ فورا ويواظب عليها ، وينضم إلى جماعة من المصلين ويجعل قدوته شخصا منهم .

٥- إذا تعذر على الشخص فى أن يدخل الصلاة عن طريق العبادة يمكن أن يكتسبها عن طريق العادة ، كوصفة أخيرة وهذا استثناء وليس قاعدة .

٦- الوصفة الأخيرة والتى هى أخف الضررين وتشمل :

١- أن يعرف الهدف بالضبط أى أهمية الصلاة ، حتى يكون الدافع للمواظبة عليها بحجم الهدف .

٢- التدرج فى خطوات اكتساب عادة الصلاة .

٣-أن تكون الخطوة الأولى أبسط الخطوات .

٤- ينتظم مع جماعة المصليين ويجعل منهم قدوة له .

٥- تكريس جهوده فى اللحظة الحاضرة فقط حتى لا يتشتت ذهنه فى حيز زمنى كبير .

٦- ألا يتهاون مرة واحدة فى برنامجه .

٧- استخـــدام الإيحـــاء الذاتـــى .

٧- إذا أتت الوصفة أكلها فقد ساعدت مسلما لا يصلى على أن يصلى ، وإذا لم تنجح فإنه لن يكون هناك أى خسارة منها ، لأنه أصلا لم يكن يصلى.

٨- ليس معنى أن أناسا لا يصلون أفضل سلوكا من آخرين من المصلين أن العيب يكمن فى الصلاة نفسها ، وإنما العيب يكمن فى أدائهم للصلاة كعادة فتكون لا قيمة لها . وتبقى الطبيعة الأصلية ، فيتصادف أن يكون للذين لا يصلون طبيعة شخصية أفضل .

٩- يمكن للمصلى أن يكتسب عادات أخرى عن طريق الربط بالصلاة ، حتى يضمن لها المواظبة ، والمواظبة أهم صفة لاكتساب أى عادة.



الباب الخامس

الصلاة والوقت

- الوقت هو الحياة.
- يقظـــة الفجـــر.
- الصلاة توقيـــت حياة.
- الصلاة وتجنب الانتظار.
- هل فترة الصلاة وقت ضائع؟
- العادات توفيـــر للوقت.



الوقت هو الحياة :-

والوقت مسئولية كبيرة ، والحفاظ عليه أهم من الحفاظ على المال، فالمال يأتى ويذهب ولكن اللحظة التى تمر لا تأتى مطلقا . فدائما يجب الاستمساك بلحظات العمر واستغلالها فى إنجاز الأعمال ، والواجبات أكثر من الأوقات كما يقولون فلا يجب إلقاء لحظات العمر فى بالوعة الزمن .

والناس جميعا متساوون فيما يملكون من رصيد الوقت ، وفى كل يوم يملك كل إنسان أربعا وعشرين ساعة ولا ينقص أحد من الناس من رصيده هذا . والاختلاف بين الناس يأتى فى استغلال رصيدهم من الوقت ، وإن عمر الإنسان هو رأس ماله الحقيقى ولسوف يسأل عنه وعما أنفقه منه فى أعمال . ويقول رسول الله ﷺ: " لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيم أفناه وشبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ؟ وعن علمه ماذا عمل فيه؟ ".(١)

ويقول الأستاذ/ محمد الغزالى " ومن محافظة الإسلام على الوقت حثه على التكبير ورغبته فى أن يبدأ المسلم أعمال يومه نشيطا طيب النفس مكتمل العزم ، فإن الحرص على الانتفاع من أول اليوم يستتبع الرغبة القوية فى ألا يضيع سائرة سدى.

---

(١) الترمذى .

ونظـام الحـياة الإسـلامية يجعـل ابـتداء الـيوم مـن الفجـر ويفـترض الـيقظة الكاملـة قـبل طلـوع الشـمس ويكـره السـهر الـذى يؤخـر صـلاة الصـبح عن وقتها المسنون . وفى الحديث " اللهم بارك لأمتى فى بكورها ".[1]

والله جلـت قدرتـه يقسـم بالوقـت فـيقول سـبحانه ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴾ قـال ابـن كثـير فـى ذلـك إن الله تعـالى اقسـم بالـزمان الـذى تقـع فـيه أعمـال بـنى آدم مـن خـير أو شـر ، والسـورة تفـيد أن الإنسـان كـل إنسـان مغمـور فـى الخسـران والهـلاك مـن كـل جانـب ولـيس أمامـه للـنجاة والفـوز إلا طـريق واحـد لا يـتعدد هـو المذكـور والمحـدد بقولـه تعـالى : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾.

هـذا دلـيل أكـيد علـى أن الوقـت هـو الفرصـة للإنسـان وهـو نعمـة إذا اغتـنمها ونقمـة إذا ضـيعها لأنهـا مسـئولية والرسـول ﷺ يقـول " اغتـنم خمسـا قـبل خمـس ، حـياتك قـبل موتـك ، وصـحتك قـبل سـقمك ، وفـراغك قـبل شـغلك ، وشـبابك قـبل هـرمك ، وغـناك قـبل فقـرك " (رواه احمـد فـى مسـنده) . ومـن الأقـوال الـتى تحـذر مـن ضـياع فرصـة الوقـت " الوقـت كالسـيف إن لـم تقطعـه قطعك " (والزمن لا يقف محايدا ، إما صديق ودود أو عدو لدود).

ويقـول عمـر بـن عـبد العزيـز رضـوان الله علـيه " إن اللـيل والـنهار يعمـلان فـيك فـاعمل فـيهما " وكـان الصـحابة رضـوان الله علـيهم حرصـين كـل الحـرص علـى اغتـنام فرصـة الوقـت وكـانوا يدعـون ربهـم أن يوفقهـم فـى ذلـك . وكـان مـن دعـاء أبـى بكـر رضـى الله عـنه " اللهـم لا تدعـنا فـى غمـرة ، ولا تأخذنا على غرة ، ولا تجعلنا من الغافلين " .

---

(١) خلق المسلم .

وكـان مـن دعـاء عمـر رضـى الله عـنه " اللهـم نسـألك صـلاح السـاعات والبركة فى الأوقات " .

يقظة الفجر :-

لابـد مـن يقظـة الفجـر ، ولـيس مجـرد اسـتيقاظ عـند الفجـر للصـلاة وآثـار الـنوم مـا تـزال فـى الجفـون ثـم الاستسـلام للـنوم مـرة أخـرى . وكـان عملـية الـنوم كانـت مسـتمرة ولـم تقطعهـا عـبادة الصـلاة الـتى أول مـا تتطلـب هـو الـيقظة الكاملـة ، فـبدلا مـن أدائهـا مـن خـلال الـنوم ، وبذلـك لا تكـون صـلاة وإنما غفوة تؤدى من خلالها شكل الصلاة أى حركتها فقط.

لابـد مـن القـيام مـن الـنوم للتمهـيد للـيقظة . وهـذا يتطلـب القـيام مـبكرا، ولـيس قـبل شـروق الشـمس لمجـرد إدراك الصـلاة قـبل أن ينـتهى وقـتها ، حـتى يمكن أن تؤدى الصلاة والإنسان مالك لزمام عقله .

وعـند الاسـتيقاظ وفـتح العينـين علـى فجـر يـوم جديـد يكـون الجسـم مسـترخيا وملتصـقا فـى الفـراش والرغـبة فـى مواصـلة الـنوم أكـيدة . وبمجـرد كسـر حاجـز هـذا الوضـع والخـروج مـن جاذبـية الفـراش خاصـة فـى الشـتاء عـندما يكـون دفء الجسـد عـاملا قويـا فـى جـذب الإنسـان للمحافظـة على حالة النوم تبدأ مرحلة الاستيقاظ .

والـذى يسـاعد علـى كسـر حاجـز الـنوم هـو الدافـع القـوى وهـو صـلاة الفجـر ، والصـلاة هـى الأهـم دائمـا ونقطـة الابـتداء . والحصـول علـى الـيقظة بعد فترة التمهيد شىء طبيعى .

فالقطار لا يحصل على أقصى سرعته إلا بعد أن يبدأ الحركة ببطء، فيكسر أولا حاجز السكون الذى كان عليه ، ثم يسرع حتى يصل إلى النهاية القصوى لسرعته .

ومما يزيد من دافع اليقظة أن يكون فى رأس الإنسان أعمال يريد أن ينجزها ، وهذا أسلوب لمواجهة الواقع ، لأن هناك أناسا يتخذون من النوم وسيلة هروبية من الواقع ، بدلا من التعامل معه ومواجهته مع بداية اليوم الجديد .

هناك قول بأن كل شىء يسهل بالتدريب عليه ، إلا القيام مبكرا . وقد يكون هذا القول صحيحا إذا لم يكن هناك دافع قوى يجذب الإنسان من مغناطيسية الفراش ليشهد ميلاد يوم جديد . إنه يمكنه أن يتعود على الاستيقاظ فى وقت معين كل يوم الساعة الخامسة صباحا مثلا ، ولكن الصعوبة فى ألا يعود إلى النوم مرة أخرى وينهض من الفراش فذلك يحتاج إلى دافع إلى تعود فقط .

ومن الدوافع التى تضاف إلى دوافع الاستيقاظ مبكرا ، دافع التمتع بلذة اليقظة المبكرة وهذا دافع لا يأتى إلا للذى استمر فترة فى الاستيقاظ المبكر . فإن الذى يقوم مبكرا للسفر مثلا وليس هذا من عادته لا يشعر بلذة الاستيقاظ المبكر ، إنما الذى يشعر بها هو الذى تعود على هذا الاستيقاظ .

وبعد للاستيقاظ من النوم مباشرة يكون التمهيد لليقظة بممارسة كل العادات التى يؤديها الإنسان فى الصباح من غسيل وجه بماء بارد وتمرينات رياضية بسيطة ، واستنشاق هواء صباح منعش وتناول طعام

الإفطار وتغير الهيئة التى كان عليها وهو فى الفراش من استبدال ملابسه، ثم تأتى اليقظة ومن ثم يمكنه ممارسة فريضة صلاة الفجر وذهنه يقظ .

ويقول (جوردون بايرون) تحت عنوان أتح لنفسك الوقت الكافى " دلت التجربة والملاحظة أن الساعة الأولى من ساعات النهار تحدد مقدار ما يؤدى من أعمال فى باقى ساعات النهار" .

فإذا بدأت يومك متأخرا عما يجب تكون النتيجة فى جميع عملياتك طول النهار أن تتأخر جميعا وقد لا يتم فيها شيئا وتستطيع أن تتخلص من الإحساس باللهفة والعجلة بمجرد استيقاظك مبكرا بربع ساعة عن الوقت الذى اعتدت الاستيقاظ ويكون لذلك أثر على تهدئة أعصابك واسترخاء عضلاتك فى اليوم كله .(١)

وينقل إلينا الكاتب الأمريكى " ديل كارنيجى " عن الشاعر الهندى " كالى داسا " قصيدة بعنوان " تحية إلى الفجر " .

انظر إلى هذا اليوم
إنه الحياة .. جوهر الحياة
فى ساعاته القليلة
تكمن حقيقة وجودك
معجزة النمو
ومجد العمل
فالأمس ليس إلا حلما
والغد ليس إلا خيالا
أما اليوم إذا عشناه كما ينبغى
فإنه يجعل من الأمس حلما سعيدا
ويجعل من الغد خيالا حافلا بالأمل
هكذا يجب أن نحيى الفجر (٢)

---

(١) أتح لنفسك فرصة .

(٢) دع القلق .

❑ الصلاة توقيت حياة :-

الصلاة هى العمود الفقرى لنظام اليوم كله ، من مطلع فجره حتى مغيب شمسه وأوقاتها هى الفقرات التى يرتبط بها أضلع نشاط المسلم المصلى ، وبذلك لا يهرب الوقت منه .

فهناك ما يذكر المصلى بوقته دوما حتى يتحمل مسئوليته ، فلا تغيب قيمته عن ذهنه . كل آذان تذكرة لجزء من اليوم حتى لا تمر أجزاء اليوم تباعا لا يشعر المسلم بها ، فإن الآذان هو دقات الزمن على المآذن .

ويقول الأستاذ محمد الغزالى " قد وزع الإسلام عبادته الكبرى على أجزاء اليوم وفصول العام ، فالصلوات الخمس تكتنف اليوم كله وأوقاتها تطرد مع سيره والمقرر فى الشريعة أن جبريل نزل من عند الله ليرسل أوائل الأوقات وأواخرها ليكون من ذلك نظام محكم دقيق يرتب الحياة الإسلامية يقيسها بالدقائق من مطلع الفجر إلى مغيب الشفق :
﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾.[1]

ولذلك كانت الصلاة على وقتها مهمة جدا . وقد حثنا رسول الله ﷺ على أهمية أدائها على وقتها فقال (أحب الأعمال إلى الله الصلاة على وقتها)[2] فهى كالطعام الطازج حيويته فى كونه طازجا أما تركه والسهو عنه يقلل من فائدته وهناك تفسير الآية الكريمة ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ﴾[3] بمعنى أنهم يتأخرون عن صلاتهم فى وقتها حتى إذا أدركهم الفرض التالى أسرعوا لأداء الفرض

---

(١) خلق المسلم .
(٢) روى بن مسعود " أن رجلا سأل النبى (ﷺ) : أى الأعمال أفضل قال : الصلاة لوقتها " (الشيخان) .
(٣) الماعون .

السابق . فاستحقوا الويل والله سبحانه وتعالى يقول فى محكم كتابه﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾.(١)

وبعد أن ينتهى المسلم من صلاته يسعى إلى إنجاز أعماله . بعد ان يعطى حق الله يعطى حق نفسه وحق الناس ، فالعمل الأهم هو الصلاة ثم يلى بعد ذلك بقية الأعمال . ولا يجب أن تطغى الصلاة على وقت المسلم فيقضى كل وقته فى بيوت العبادة . هذا مناف لروح الإسلام . والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾.(٢)

الصلاة عمل من أعمال العبادة يجب أن يتبعه أعمال الرزق ، وبالتالى هى حفاظ على الوقت لإنجاز الأعمال . والرسول ﷺ عندما علم أن رجلا نذر حياته كلها للعبادة رفض ذلك وقال ما معناه أن حياة المسلم متوازنة ومن يوقف حياته على عنصر واحد فقط فإنه ليس من الإسلام ، والرسول ﷺ يقول أيضاً (لا رهبانية فى الإسلام) .

والإسلام يحرص على عدم نثر لآلئ الزمن على الرمال . فعندما جعل الأعراض عن اللغو من معالم الإيمان ، كان يحرص على عدم إضاعة الوقت فيما لا يفيد . والمسلم لابد أن يحرص على كل دقيقة من عمره ، فيما أنفقها ، وهى مسئولية فى عنقه . والصلاة تذكرة دائمة على مدار اليوم لمسئوليته هذه .

---

(١) النساء ١٠٣ .
(٢) الجمعة ١٠ .

والأستاذ محمد الغزالى يقول " والإسلام نظر إلى قيمة الوقت فى كثير من أوامره ونواهيه . فعندما جعل الأعراض عن اللغو من معالم الإيمان كان حكيما فى محاربة طوائف المتبطلين الذين ينادى بعضهم بعضا: تعالوا نقتل الوقت بشىء من التسلية وما درى الحمقى أن هذا لعب بالعمر وأن قتل الوقت على هذا النحو إهلاك للفرد وإضاعة للجماعة ".[1]

وحتى يحافظ المسلم على لحظة حاضرة سليمة ، فعليه أن يضع حاجزا بينه وبين الماضى فلا يتحسر على ما مضى ، إن فى تحسره تحطيم للحظة الحاضرة التى هى بالفعل عمره الواقعى والتى إذا عاشها كما ينبغى فإنها ستصبح ماضيا جميلا للحظة مستقبلية . أما إذا أضاعها فسيدخل فى الحلقة المفرغة . ويكون من عادته التحسر على ما مضى . والرسول (ﷺ) يقول لنا - ما معناه - حتى نحطم تلك الحلقة المفرغة، (لا تقول لو كنت فعلت كذا لكان كذا فإن لو تفتح عمل الشيطان) ، والله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه العزيز ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾.[2]

الحياة القصيرة ، بل هى أقصر من أن نقصرها فى الاهتمام بتوافه الأمور والتى تضيع الوقت .. تضيع العمر ، بدلا من انتهاز فرصة الحياة وجمع رصيد من الأعمال الصالحة ، لأنها هى التى ستبقى مع الإنسان بعد انتهاء أجل الدنيا ويصور القرآن الكريم هذا المعنى أروع تصوير عندما يفاجأ الإنسان بالآخرة : ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴾.[3]

---

(1) خلق المسلم .
(2) الحديد ٢٣ .
(3) النازعات ٤٦.

كذلك من روح الإسلام أن يعش الإنسان لحظته الحاضرة في إنجاز ما بين يديه من أعمال ولا يفتنها بالتطلع إلى نتيجة تلك الأعمال أى العيش في المستقبل لأن الله سبحانه وتعالى هو وحده الذى يعلم الغيب كما أن نتائج الأعمال هو الذى يقررها ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾[1] إن على الإنسان السعى فقط خلال لحظته الحاضرة .

وبهذا يحرر المسلم نفسه من التحسر على الماضى الذى انتهى ، ومن العيش في المستقبل المجهول الذى لا يعلمه إلا الله علام الغيوب . وبذلك يضمن لحظاته المكتملة والحاضرة والمتجددة فيستفيد تماماً من وقته . وفى الحديث " احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ، ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أنى فعلت كذا لكان كذا ".

❑ الصلاة وتجنب الانتظار :-

إن الوقت الذى يمضى في ترقب حدث من الأحداث أو معرفة نتيجة من النتائج هو وقت ضائع . تماما مثل ما يحدث لركاب سفينة تعبر بهم البحر قليل منهم من صعد إلى سطح السفينة حتى يتمتع بالرحلة أما الباقى فكل عملهم هو الانتظار وترقب الوصول إلى الشاطئ ، أما بالنسبة للفترة من الوقت التى يقضونها في السفينة حتى يصلوا إلى الشاطئ هو وقت ميت لأنهم قتلوه في الانتظار ، وبالتالى فهذا خسارة في رصيد عمرهم .

---

(١) لقمان ٣٤ .

وهذا يشبه الإنسان الذى ينتظر القطار ويظل عقله فى غيبوبة حتى يصل القطار وقد يمضى فى هذه الحالة فترة طويلة من الوقت وهذا بالتأكيد وقت ضائع من حياته ، إن لدى المرء رصيدا ثابتا من الوقت ينفقه كل يوم. والانتظار بالوعة يسقط فيها كثير من الوقت فيضيع على صاحبه . والإنسان الذى ينفق وقته فى الانتظار ينفقه بطريقة سيئة وإذا أمكنه أن يتجنب الانتظار فسوف يحافظ على وقته الذى هو بالقطع حياته .

إن الحل الأكيد لتجنب الانتظار هو أن يكون الإنسان مع عقله دائما ولا يهم المكان الذى يشغله جسده أكان فى قطار أو سفينة أو حتى فى قهوة مزدحمة أو غير ذلك من الأماكن الخالية أو المزدحمة ، المهم أن يكون مع عقله دائما . فالإنسان صاحب العقل المشتت المضطرب لا يعيش حياة حقيقية وحتى يجد وجوده كاملا لابد من سيطرته على ذهنه بتركيزه فى أى موضوع يريد . لأن السيطرة على العقل هى العنصر الأول للوجود الكامل .

والصلاة هى أفضل عمل لتوفير الوقت عن طريق التركيز الذهنى من ناحيتين :

<u>الناحية الأولى :</u> هى تركيز الذهن أثناء الصلاة والذى جعل فترة أدائها فترة من الوقت يعيشها المصلى ، وليست فترة انتظار للانتهاء من الصلاة .

<u>الناحية الثانية :</u> تقوم الصلاة بغرس عادة التركيز الذهنى عند المصلى، وهى العادة التى تحفظ الإنسان وقته لأنه يكون دائما مع عقله ، والحديث عن هذا الموضوع بالتفصيل فى الجزء الخاص (بالصلاة والتركيز الذهنى).

❑ هل فترة الصلاة وقت ضائع ؟

إذا استعرضنا صلاة الفروض وهى خمس وجدناها لا تزيد فى الغالب عن ساعة ونصف ينفقها المصلى خلالها . ولكن هل هذا الوقت ضائع ؟ .

الواقع لو أنفق الوقت فى سبيل الله ، وطلب مرضاته فهذا يكفى لأى مؤمن بالله . ولكننا لو أمعنا النظر نجد أن هذا الوقت فضلا على أنه عبادة ، إلا انه يفيد حياة الإنسان الدنيوية . كيف ؟ .

اقتضت الحكمة الإلهية أن يكون الإسلام بما فيه من عبادات وعمادها الصلاة لخير الدنيا والآخرة ، بل إن خير الدنيا الطريق إلى خير الآخرة فالإسلام جاء لينظم للناس حياتهم ليعيشوا عيشة راضية فى الدنيا ، وعلى قدر استجابتهم لهذا النظام يكون ثواب الآخرة . فيكون طريق الدنيا طريقا لثواب الآخرة .

ولتوضيح أن الإسلام للدنيا والآخرة ، ننظر إلى الصلاة وهى تشبه الذرة التى هى أصغر وحدة بنائية فى تركب الكون ، تحوى فى طياتها عالما من الحركة والطاقة والتنسيق يكاد يشبه عالمنا الذى نعيشه . وكذلك الصلاة تشمل على جميع أركان الإسلام من حج وزكاة وصيام وصلاة ، وكل هذه الأركان لها نفع دنيوى للفرد والجماعة .

فالصلاة تشمل على الحج لأننا نتجه إلى القبلة فى صلاتنا . وتشمل على الزكاة لأننا ننفق وقتا فيها كان يمكن أن نستغله فى عمل يدر علينا ربحا . وتشمل عمل الصيام لأننا لا نأكل أثناء الصلاة .

وأركان الإسلام كلها لمصلحة الدنيا والآخرة . فالزكاة مثلا فضلا على أنها عبادة والهدف منها إرضاء الله أولا وأخيرا إلا أن لها فائدة

دنيوية تعم المجتمع كله ، وفضلها على الناس أن تشمل روح المحبة بينهم بدلا من الحقد .

وكذلك الصلاة فترة أدائها فترة إعداد لمواصلة الحياة والحفاظ على الوقت ويأتى ذكر كيف أن الصلاة فترة إعداد لمواصلة الحياة بالتفصيل فى الجزء الخاص (بالصلاة والحيوية) . وأن الفترة التى تقضيها الآلة فى عملية الصيانة والتشحيم ليست فترة فاقدة من عمرها، ولكنها فترة ضرورية ولازمة لإنتاجها والمحافظة عليها ، كذلك الصلاة فترة إعداد تزيد من قيمة الوقت فى اليوم كله.

❑ **العادات توفير للوقت :-**

تم شرح العلاقة الخاصة بين الصلاة والعادة فى الجزء المسمى (الصلاة والعادة) وعرفنا أن من مميزات العادة الأساسية أنها توفير للوقت والصلاة لأنها عادة راسخة تتحول إلى طبيعة ثانية عند المسلم الذى يواظب عليها ، ولذلك يمكن ربط العادة الجديدة الإيجابية التى يرغب المصلى فى أن يكتسبها مع الصلاة .

وكمثال إذا كان هناك طالب متعود على أن يلبس ساعته كل يوم فى الصباح وهذه العادة بمرور الزمن أصبحت راسخة عنده، ويريد هذا الطالب أن يملأ قلمه بالحبر فى صباح الامتحان فما عليه إلا أن يضع قلمه بجوار الساعة ليلا ، فعندما يمارس ما تعود عليه فى الصباح وهو لبس الساعة سيجد القلم أمامه فيقوم بملئه بالحبر .

فالشخص الذى يرغب فى أن يكتسب عادة غسل الفم بمعجون الأسنان يمكنه أن يربط ذلك بالعادة الثابتة عنده وهى الصلاة فعند كل صلاة

يغسل فمه بالفرشاة وبالاستمرار على هذا العمل يزرع العادة الجديدة وهى المواظبة على استخدام الفرشاة ومعجون الأسنان .

كذلك يمكن أن يربط المسلم عادة التفكير العلمى بالصلاة ، وذلك بأنه فى كل يوم بعد صلاة الفجر مثلا يبدأ فى التفكير فى موضوع يشغل اهتمامه بالطريقة العلمية . وبمرور الوقت يكتسب التفكير العلمى فى مختلف المواضيع وهكذا باكتساب المرء للعادات الإيجابية المختلفة يوفر كثير من الوقت ، فالعادة بطبيعتها توفر الوقت .

وباكتساب المصلى عادات إيجابية مرتبطة بالصلاة يكون نظام حياته محدد المعالم بإطار الصلاة . وبالتالى فالصلاة ضبط للمصلى تركيبه الجسمانى ضبطا فسيولوجيا . فتعود المصلى القيام فى الفجر يجعله متعود على تناول إفطاره فى وقت ثابت كل يوم ، وكذلك التخلص من فضلات الطعام فى مواعيد ثابتة أيضاً وكذلك العديد من العادات يكون مرتبطا بالصلاة فى نظام محكمة . وهذا النظام يحرر المصلى من الفوضى والارتباك فى حياته ، مما يسهل له استخلاص الوقت فالإنسان المضطرب والذى لا يسير على أى نظام فى حياته نجده عندما يذهب إلى الفراش لينام مثلا يأخذ وقتا قبل أن ينام ، لأنه ليس متعودا على نظام ثابت فى النوم واليقظة . وهذا النظام فضلا على أنه صحى وحيوى إلا أنه بالتأكيد يزيد دخلنا من الوقت ويحررنا من الفوضى والاضطراب .

يمكن إيجاز ما تقدم في النتائج الآتية :

١- الوقت هو الحياة والحفاظ عليه مسئولية إسلامية أمام الله .

٢- يقظة الفجر يقظة لليوم كله ، وأهم دافع إليها صلاة الفجر .

٣- الاستيقاظ المبكر يقضى على اللهفة والعجلة ، وهى ميزة ممتازة للاستفادة من الوقت .

٤- الصلاة هى العمود الفقرى لنظام اليوم كله ، وأوقاتها هى الفقرات التى يرتبط بها أضلع نشاط المسلم .

٥- الصلاة تحافظ علي الوقت، فهي تذكرة منظمة ومستمرة علي مدار اليوم لقيمة الوقت.

٦- الصلاة تعود الإنسان على تجنب الانتظار لأن فترة أداء الصلاة فترة عبادة وليست فترة ترقب أحداث فتوفر له الوقت الضائع فى الانتظار.

٧- الصلاة هى الأهم دائما . وتحديد درجات الأهمية يحقق الحسم الذى يوفر الوقت .

٨- وقت الصلاة ليس فترة ضائعة من الحياة العملية ، ففترة تشحيم الآلة وصيانتها ليست فترة ضائعة من عمر الآلة .

٩- الصلاة كسلوك راسخ ممكن أن يساعد على اكتساب عادات إيجابية أخرى بطريق الربط ، والعادة بطبيعتها توفر الوقت.

١٠-ارتباط المسلم بالنظام الإسلامى الذى أساسه الصلاة يتيح للمسلم استقبال فترة النوم بهدوء ودون سهر ، مما يجعل النوم نفسه ليس وقتا ضائعاً .

الباب السادس

الصلاة والمجتمع

- الصلاة ووحدة المجتمع.
- صلاة الجماعة والمسجد.
- صلاة الجماعة وتماسك المجتمع.
- صلاة الجماعة وقــــوة المجتمع.



الصـــلاة والمجتمـــع

فـى الفصـول السـابقة كـان الحديـث عـن اثـر الصـلاة علـى الفـرد عقلـه جسـمه نفسـه .. الـخ ولكـن مـا أثـر الصـلاة علـى المجـتمع الـذى يعيش فـيه هـذا الفـرد ؟ هـذا هـو موضـوع هـذا الجـزء والـذى يتـناول الصـلاة ، وحـدة المجـتمع وتماسكه وقوته ، والتغيير الاجتماعى الذى تحدثه الصلاة لصالح المجتمع.

❑ الصلاة ووحدة المجتمع :

المسـلم هـو إنسـان مصـلى ، والرسـول (ﷺ) يقـول " بيـن العـبد والكفـر تـرك الصـلاة " (رواه مسـلم فـى صـحيحه) والمسـلم الـذى يعـرف أهمـية الصـلاة ولا يصلى فهـو مسلم بشـهادة المـيلاد فقـط . أمـا المسـلم الـذى لا يـدرك حقـيقة الصـلاة وخطورتهـا ولا يصلى فإنـه ربمـا يكـون له بعـض العـذر ، وعلـى المسـلمين حولـه أن ينـبهوه للأهمـية القصـوى للصـلاة، حـتى يـتحمل الأمانة واضحة أمام عينيه .

ولذلـك علـى المسـلمين جمـيعا المصـلين مـنهم ، والداعيـن إلـى الإسـلام أفـرادا أو جماعـات أو هيـئات أن يوضـحوا حقـيقة الصـلاة لمـن لا يصـلى بطـريقة ليست مـنفرة ، ولكـنها مقـنعة . فـالدعوة إلـى الصلاة هـى الأهـم ونقطـة البدء حتى تسود الصلاة بين أفراد المجتمع .

وعـندما نجـد مجـتمعا قلـت نسـبة عـدد المصـلين فـيه ، تكـون صـبغة الإسـلام فـى هـذا المجـتمع غـير واضـحة ، لذلـك عـندما كـان الرسـول (ﷺ) يغـزو قومـا غـير مـتأكد مـن إسـلامهم، كـان ينـتظر حـتى يحيـن مـيعاد الصـلاة، فـإذا سـمع المـؤذن كـان ذلـك دلـيلا واضـحا علـى الإسـلام، وإلا كـان يغـزوهم .

إننا عندما نجد مجتمعا النسبة الغالبة فيه تؤدى الصلاة فهذا المجتمع يغلب عليه الطابع الإسلامى . وكل فرد مصل هو وحدة بناء تشكل هذا المجتمع الإسلامى ، فالمسألة نسبية عندما تزيد نسبة المصلين فى المجتمع يكون اتجاه المجتمع إسلاميا ، والعكس صحيح .

والصلاة هى مادة الربط بين المسلمين فوحدات البناء لابد أن يكون لها رابط ، كما أن الأسمنت هو الرابط بين وحدات الطوب فى بناء العمارة، وبدونه تتحول العمارة إلى مجموعة من الطوب لا كيان بنائيا لها . والرابط فى مجموعة المصلين هو صلاة الجماعة ، وهو الذى يجمع أفراد المصلين لتكون الجماعات الإسلامية ، ولذا كان أيام الرسول (ﷺ) عندما كان يحدث أمر يحتاج إلى مواجهة المجتمع الإسلامى ، كان يعلن المنادى الصلاة جامعة ، فيهرع إلى المسجد الجميع بناءا واحدا متماسكا .

وبالدين الإسلامى وعماده الصلاة آية الله فى خلقه العرب . لقد تحققت فيهم الوحدة وهذا ما لم يحدث فى التاريخ ، ولم يملك (مايكل هارت) إلا أن يعترف بهذه المعجزة فى كتابه " الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله ﷺ " (ترجمة الأستاذ أنيس منصور) يقول:
" إذا استعرضنا التاريخ فإننا نجد أحداثا كثيرة من الممكن أن تقع دون أبطالها المعروفين ولكن من المستحيل أن يقال ذلك عن البدو وعن العرب عموما وعن إمبراطوريتهم الواسعة دون أن يكون هناك محمد (ﷺ)".

ويقول أيضاً " كان البدو من سكان شبه الجزيرة العربية مشهورين بشراستهم فى القتال ، وكانوا ممزقين أيضا رغم أنهم قليلو العدد . ولم يكن لهم قوة أو سطوة العرب فى الشمال الذين عاشوا على الأرض المزروعة ولكن الرسول استطاع لأول مرة فى التاريخ أن يوحد

بينهم" . فبالدين الإسلامى وعماده الصلاة تتم آية الله فى العرب ، وتتم الوحدة التى لم تحدث فى التاريخ قبل ذلك ، وهذا الذى ذكره مايكل هارت على أنه معجزة مذكور فى القرآن الكريم حيث يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1].

ويقول العلى القدير ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾.[2]

فالوحدة وتأليف القلوب ، هى النعمة والآية التى أعطاها الله سبحانه وتعالى للعرب بالإسلام وعماده الصلاة ، والآن وبالرغم من وجود البترول أنهارا فى بلاد العرب فالوحدة لا تتم ، لأنها لا تتم إلا بالإسلام ، فآية الله فى المسلمين وفى الأمة العربية تتحقق وجودا وعدما مع العلة وهى الإسلام .

فبالإسلام تحدث الوحدة ، إما بالقومية ، أو الوطنية ، أو التقدمية أو العلمانية أو أية دعوى أخرى غير الإسلام لا تحقق الوحدة بين العرب فبالرغم من الأموال البترولية الطائلة لم تتحقق الوحدة بين العرب لأنهم بعدوا عن إسلامهم ، مصدقا لقول الحق : ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ .

---

(١) الأنفال ٦٣.
(٢) آل عمران ١٠٣.

هـذا الـذى لاحظـه مـايكل هـارت مـن أمـر المسـلمين والإسـلام ، لاحـظ مـثله موريـس بوكلـى عـندما قـارن بيـن الأديـان الـثلاثة فـى ضـوء المعـارف الحديـثة ، فقـد اكتشـف الإعجـاز العلمـى للقـرآن الكـريم بطـريقة مذهلـة قـال عنها " فليس الإعجـاز مقصـورا علـى الـبلاغة فقـط والـتى أذهلـت العـرب أصـل الـبلاغة فـى ظهـور الإسـلام ، وإنمـا هـو مصـدر إشـعاع مـن الإعجـاز لا يـتوقف". ولـو رفـع العـرب قـناع التعصـب لاكتشـف فـى الشـرق كـنز الكـنوز وهـو الإسـلام ، والـذى لا يقـارن أبـدا بمـا اكتشـفه مـن كـنوز البـترول فـى الشرق.

صلاة الجماعة والمسجد :-

إن صـلاة الجماعـة فـى المسـجد تعـنى نمـو الحـياة الاجتماعـية للمسـلمين ، مـاذا لـو تـركها المسـلمون وأقامهـا كـل فـرد فـى مـنزلة ، إن المسـاجد سـوف تخلـو مـن روادهـا ، وبالـتالى تخـبو الـروح الإسـلامية ويصـبح المسلمون متفرقين كل فى ناحية . فلا جماعة إذن فلا قوة .

إن المـادة تـتكون مـن ذرات ، وعـندما تتفتـت المـادة إلـى ذرات نصـبح كـل ذرة لا تـرى بالعيـن المجـردة ، ولـيس لهـا الـوزن المحسـوس . هكـذا إذا اجـتمع المسـلمون فـى المسـجد أصـبحوا كـتلا بشـرية لهـا الحجـم الواضـح ، والوزن المؤثر .

ويقـول ابـن القـيم الجوزيـه " فـإن الصـلاة فـى المسـجد مـن أكـبر شـعائر الديـن وعلاماتـه وفـى تـركها بالكلـية أو فـى المفاسـد ومحـو آثـار الصـلاة بحيـث تقضـى إلـى فـتورهم أكـثر الخلـق عـن أصـل فعلهـا ، ولهـذا قـال عـبدالله ابـن مسـعود : " لـو صـليتم فـى بـيوتكم كمـا يصـلى هـذا المـتخلف فـى بيـته لتركـتم

سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم " . والإمام أحمد فى سنده عن النبى (ﷺ) " ما من ثلاثة فى قرية لا يؤذن ولا تقام فيهم الصلاة إلا استحوذ عليهم الشيطان فعليك بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية" .

والله سبحانه وتعالى لم يسقط صلاة الجماعة حتى فى الحرب : ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ﴾. (١)

والسؤال الآن هل يمكن أن تقام صلاة الجماعة فى غير المسجد؟. إنه لو أقامها المسلمون فى غير مساجدهم ستتغير أحوالهم ، فكل واحد منهم يمكنه أن يجمع أفرادا من أسرته فيؤدى بهم صلاة الجماعة فى منزله، وإذا تحقق هذا تهجر المساجد ، فلا تصبح مركز تجمع للمسلمين فيفقد المسلمون أهم وأقوى عامل لترابطهم .

وفى سنة الرسول (ﷺ) وقرآن الله الحكيم نجد الإجابة على السؤال السابق بلا لبس أو إبهام يقول رسول الله (ﷺ) " لا صلاة لجار المسجد إلا فى المسجد وقيل ما جار المسجد قال : من سمع المنادى" (رواه الإمام أحمد) . ويقول أيضا الإمام أحمد عن رسول الله (ﷺ) " من سمع المنادى فلم يجبه من غير عذر فلا صلاة له " إذن صلاة الجماعة تعنى أساسا إقامتها فى المسجد .

---

(١) النساء ١٠٢.

وبلغ من حرص رسول الله (ﷺ) على إقامة صلاة الجماعة فى المسجد أنه لم يرخص لأعمى طلب منه ذلك روى مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة " أتى النبى (ﷺ) رجل أعمى فقال يا رسول الله ليس لى قائد يقودنى إلى المسجد فسأل رسول الله (ﷺ) أن يرخص فرخص له فلما ولى دعاه فقال : هل تسمع النداء قال نعم قال : فأجب" . لقد منع الرسول (ﷺ) الرخصة عن الأعمى الذى له العذر ، فما بالنا بالذى يرى ويسمع وليس لديه أى عذر؟ .

وقد وصلت حدة الغضب برسول الله (ﷺ) فى الذين لا يصلون جماعة فى المسجد أنه قال كما روى أبو هريرة " لقد هممت أن آمر رجلا يصلى بالناس ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها فاحرق عليهم بيوتهم " وفى حديث آخر يوضح لنا الرسول (ﷺ) لماذا لم ينفذ تهديده؟ ، فيقول الإمام أحمد عن الرسول (ﷺ) " لولا ما فى البيوت من النساء والذرية أقمت صلاة العشاء وأمرت فتيانى يحرقون ما فى البيوت بالنار " .

لقد اجمع الصحابة رضوان الله عليهم على صلاة الجماعة فى المسجد ، ويقول ابن مسعود " رأيتنا وما تخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق " وقال أبو هريرة " لأن تمتلئ أذنا ابن آدم رصاصا مذابا خير له من أن يسمع النداء ثم لا يجيبه " . فحقيقة صلاة الجماعة أنها تؤدى فى المسجد ولا تسقط إلا بعذر ، وفى الصحيحين عن أبى هريرة عن النبى (ﷺ) " إن صلاة الرجل فى الجماعة تضعف عن صلاته فى بيته وسوقه خمسا وعشرين ضعفا " وأيضا فى الصحيحين قال رسول الله (ﷺ) " صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة " .

وفـى أحاديـث الرسـول (ﷺ) نلمـس بوضـوح درجـة المفاضـلة بيـن الصـلاة الفـردية وصـلاة الجماعـة فـى المسـجد فهـى بنسـبة ١ : ٢٧ لصـالح صـلاة الجماعـة ، وعندما يكـون لدينا خمـس فـروض فـى اليوم الواحد فـيكون حصـيلة ذلـك مـن الدرجـات لصـلاة الجماعـة فـى المسـجد ٥ × ٢٧ = ١٣٥ درجـة ، بيـنما تكـون حصـيلة الصـلاة الفـردية فـى الـيوم ٥ × ١ = ٥ درجـات فقـط . مـن هـذه المعادلـة العدديـة نلمـس الفـرق الواضـح فـى الفضـل بيـن صـلاة الجماعـة فـى المسـجد وصـلاة الفـرد خـلال الـيوم الواحـد، فمـا بالـنا بالشهر ، أو بالعام ، أو خلال عمر الفرد.

ولكـن مـن ذلـك الـذى يحصـل علـى ثـواب الصـلاة الفـردية كـاملا غـير منقوص ؟ فـإن كـل مـن يصـلى صـلاة فـردية يحصـل علـى جـزء مـن هـذه الدرجـة علـى قـدر اجـتهاده الصـلاة الفـردية تسـاوى درجـة واحـدة - فـى صـلاته وخشـوعه فـيها والرسـول (ﷺ) يقـول " لـيس للعبد مـن صـلاته إلا مـا عقـل مـنها ، فعلـى قـدر اجـتهاده فـى صـلاته يـأخذ نصـف الدرجـة أو أقـل أو أكـثر" . ويقـول ابـن القـيم الجوزيـه " عـن الصـلاة الفـردية للمسـلم وأحسـن أحوالهـا أن ترفع عنه العقاب وإن حصلت شيئا من الثواب فهو جزء " .

وصـلاة الجماعـة فـى غـير المسـجد أفضـل مـن الصـلادة الفـردية ، فقـد ورد فـى الحديـث " إن صـلاة الـرجل مـع الـرجل أذكـى مـن صـلاته وحـده وصـلاته مـع رجلين أذكـى مـن صـلاته مـع رجـل ومـا كـثر فهـو أحب إلـى الله عز وجـل " . ولكـن لـيس الصـلاة الجماعـة فـى غـير المسـجد الـثواب المتضـاعف الـذى لصـلاة الجماعـة فـى بيـت الله ، فهـى قـد تـزيد مـن الـثواب الصـغير لصـلاة الفرد ، ولكنها بالقطع لا تبلغ المرتبة العالية لفضل الصلاة فى بيوت الله .

والله سبحانه وتعالى ربط بيد الصلاة وبين معادلة الحسنات والسيئات عند الإنسان فقال سبحانه : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ وإن فرصة حسنات صلاة الجماعة فى المسجد قادرة بإذن الله فى مساعدة الإنسان على أن ينجو من سيئاته ، فإن النجاح الحقيقى فى الدنيا هو زيادة ميزان الحسنات : ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ ﴾.[1]

حتى لا يفاجأ الإنسان اللاهى الغافل بالموت ، ويشعر بضياع فرصة الدنيا ويقول : ﴿ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴾ ويقول الله سبحانه وتعالى للذين أضاعوا أهم فرصة للحصول على الثواب وهى الصلاة .

﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾.[2]

وكمثال للتوضيح :

إننا نجد فى نظام امتحانات المدارس أن هناك مواد أساسية لابد أن ينجح الطالب فيها ، وإلا اعتبر راسبا ، فلو نجح فى جميع المواد إلا مادة واحدة أساسية سقط . كذلك فى الصلاة فيقول رسول الله (ﷺ) " أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة فإن فسدت فسد سائر أعماله " والله سبحانه وتعالى يقول للذين فشلوا فى امتحان الدنيا ورسبوا فى النار لأنهم

---

(١) القارعة.
(٢) القلم.

فشلوا فى مادته الأساسية ... الصلاة . يقول الله سبحانه لهم ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۝ ﴾.[1]

ولكون الصلاة هى عماد الدين ، فهى بالتالى المصدر الأكبر للحصول على درجات الثواب وفضل الله . ويقول الله سبحانه وتعالى فى الذين يبتغون فضله من مصدره الأساسى : ﴿ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾.

فالفالح حقا هو الذى يحرص على الصلاة الخمسة فروض جماعة فى المسجد ، لأن حرصه هذا هو حرص على ١٣٥ درجة فى اليوم الواحد، أما الذى لم يدخل المسجد فى يومه فإنه من الخاسرين ، والذى يؤدى صلاة ثلاثة فروض جماعة فى المسجد أفضل من الذى يؤدى فرضا فقط ، إذن لكل مسلم أن يراجع نفسه يوميا ، ويعرف كم اغتنم من فروض صلاة الجماعة فى المسجد ؟ والله سبحانه وتعالى وهو يذكر المفلحين : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾.

وكثرة القدوم إلى المسجد لأداء الفروض هو الشاهد والدليل على إيمان المسلم فإذا كان المسلم إنسانا مصليا ففى الحديث " بين العبد والكفر ترك الصلاة " فإن المؤمن هو إنسان يألف المسجد لكثرة التردد عليه ، وعن الإمام أحمد عن رسول الله (ﷺ) " إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان " ويقول الرسول (ﷺ) أيضاً " من ألف المساجد ألفه الله تعالى " (الإمام أحمد) .

---

(١) المدثر.

بهذا كان للمسجد الفضل الأكبر فى حياة المسلمين ، وعلى المسلمين أن يعمروه بالبناء والمصلين ، عن النبى (ﷺ) قال " من بنى لله مسجدا لو كمفحص قطاة لبيضها بنى الله له بيتا فى الجنة " (نيل الأوطار) . ومفحص قطاة لبيضها تشبيه يبين به الرسول الكريم إن المساهمة فى عمارة بيوت الله ولو حتى كانت صغيرة ، فإن لها الثواب الكبير عند الله وتعمير المساجد دليل على الإيمان ، يقول الله تعالى:

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾.[1]

ولقد رفع الله سبحانه وتعالى من قيمة المساجد فنسبها إليه سبحانه : ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾.[2]

ويقول الله تعالى فى حق المساجد أيضا :﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾.[3]

❑ صلاة الجماعة وتماسك المجتمع :-

فى مشهد من فيلم أجنبى (لورانس والعرب) ظهرت جموع العرب فى حالة من الفوضى مما جعل الممثل الذى يقوم بدور لورانس- ذلك العميل للمخابرات - البريطانية - ينظر إليهم ويقول : إن العرب ينقصهم شىء أساسى هو النظام . لقد صدق فى كلمته ، فالنظام نقص من العرب

---

(١) التوبة ١٨.
(٢) الجن ١٨.
(٣) النور ٣٦-٣٧.

يوم أن تخلوا عن إسلامهم ، وأصبحوا عربا فقط ، وانقسموا إلى قوميات، وتفتتوا يوم أن تركوا مدرسة النظام والوحدة وهى الصلاة .

فالصلاة عماد الإسلام ، والتى تجعل من المسلمين صفوفا مستوية، ويأخذ السابقون فى الوصول إلى المسجد موقعهم فى الصف الأول ثم الصف الذى يليه ، وليس لمتأخر أن يكسر قاعدة النظام هذه ويزاحم ليتصدر الناس ، وقد قال الرسول (ﷺ) لرجل حاول أن يفعل هذا " أجلس فقد آذيت " . ويذكرنا الأستاذ / محمد على قطب فى كتابه رسالة المسجد بروعة هذا النظام فيقول لقد كان النبى (ﷺ) يوم ألفين فى عمرة القضاء ومائة ألف فى حجة الوداع يسيرون كلهم فى نظام أدق نظام هرولة ومشيا واستلاما للركن أو الحجر الأسود ، هذا النظام المتصل بروح الإسلام سبب من أسباب القوة بل هو مصدرها وملاكها.

هذا النظام المنبعث من الصلاة ، والذى يتعهد النشئ منذ الصغر، فتعلم كيف يسكن وتعلم الاستواء فى الصفوف . هذه هى مدرسة الصلاة والتى تعلم خمس مرات فى اليوم الواحد ، وفى كل يوم، فيظل هذا النظام مادامت الجماعة الإسلامية قائمة .

هذا النظام هو دعامة تماسك المسلمين ، فالمسلمون يقفون صفوفا موحدة بترتيب رائع وكأنهم البنيان المرصوص ليشدوا بعضهم بعضا ، وقد ورد فى الحديث " مثل المسلمين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى" والله سبحانه وتعالى يقول ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾ .[1]

---

(١) المؤمنون ٥٢.

ورسول الله (ﷺ) يحثنا على الالتحام مع كيان الجماعة وإلا تعرضنا لذئب الإنسان وهو الشيطان، فقد ورد في الحديث " إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ الشاه القاصية الناحية، فإياكم والشعاب ، وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد " . وقد طلب الرسول (ﷺ) ألا تجعل فرجة بيننا فى صفوف الصلاة يمكن أن يستغلها الشيطان وينفذ منها ، حتى نكون متماسكين .

وتعطينا الدكتورة/ سامية الخشاب فى كتابها علم الاجتماع الإسلامى مثلا من فكر عالم الاجتماع الإسلامى ابن مسكويه، وهو يذكر العوامل التى تؤدى إلى تحقيق التضامن والتماسك داخل المجتمع " شعائر الديانة الإسلامية التى ترمى إلى تقوية الشعور بالاجتماعية كإيجاب الاجتماع فى المساجد وتفضيل صلاة الجماعة على صلاة الفرد" . وكذلك صلاة الجمعة والعيدين والجمع وهذه كلها أمور توثق أواصر لمحبة الاجتماعية .

ويطوع ابن مسكوية: " السلوك الدينى لخدمة القضايا الأخلاقية فالصلاة الجماعية ليست إلا توثيقا لمعانى التعاون والإخاء والمحبة وتقوية الشعور بالجمعية . وينظر إلى الدين باعتباره رياضة خلقية للنفوس الآدمية . وفضل هذه الرياضة تتأصل القيم ويزداد الفرد معرفة ذاته والذات الكلية التى صدرت عنها هذه القيم " .

❑ الصلاة وقوة المجتمع :-

إن المسجد مركز لقوة المسلمين ، ويوتقة لوحدتهم . إننا لو نظرنا إلى تلك العدسة اللامة للأشعة الشمس والتى يلهو بها الأطفال فيشعلوا

منها الورق مستخدمين أشعة الشمس ، إن أشعة الشمس العادية لم تكن تملك الطاقة الحرارية التى تصل إلى حد اشتعال النار فى الورق ، لولا أنها تجمعت فأصبحت طاقة .

كذلك إن قوة المسلمين فى تجمعهم فى بؤرة واحدة هى المسجد . هذا التجمع المنظم هو الذى يتحول إلى طاقة ، وهذه الطاقة هى التى صنعت مجد الإسلام وحضارته. لذلك كان أول عمل قام به الرسول (ﷺ) فى المدينة هو إقامة المسجد . المسجد فى الإسلام هو نقطة الابتداء ونقطة الانطلاق هذه هى الحقيقة التى يعرفها أعداء الإسلام جيدا . فقوة المسلمين فى مساجدهم ، فالمسجد إعداد قوة . قوة لأنها منظمة .. وهذا النظام جزء من العبادة .. جزء من الصلاة ، وإذا أفشل أعداء المسجد فى تعطيل إنتاج هذه الطاقة فأنهم يعملون على كبتها داخل جدران المسجد .

ففى الصلاة النظام والدقة فى إعداد الصفوف والانضباط الكامل ، فعند سماع نداء الله اكبر يجتمع المسلمون فى وقت واحد ، فالله أكبر من أى شىء آخر ثم ينقادون جميعا بإمام واحد ، فى كل مسجد وفى وقت واحد ومكان واحد يجتمع المسلمون ، تماما كما أن أشعة الشمس تجتمع فى العدسة فى مكان واحد وهو بؤرتها وفى وقت واحد فتنتج الطاقة .

إننا نجد أن عدد المسلمين فى العالم وصل تقريبا إلى ألف مليون مسلم . وهذا رقم عددى ضخم ولكنهم متفرقين : ﴿ لَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾

وهذه الكثرة التى حدثنا عنها الرسول الكريم ووصفها بأنها غثاء السيل ،

أى لا قيمة لها ، تتداعى عليها الأمم كما نرى فى أفغانستان والفلبين ، وارتيريا ، وبورما ... الخ .

وبعد أن كان نظام العبيد أفرادا ، أصبح اليوم أمما كاملة من المسلمين تلقى فى العالم الاضطهاد .

فلا يجب أن يأتى من يفرق المسلمين على قشور ويترك الأساس وهو الاعتصام بحبل الله جميعا ، كمن يقول لا اصلى خلف إمام يلبس زيا أجنبيا ، وآخر يقول لا اصلى خلف إمام غير ملتحى ، وهكذا تستمر عملية التفتيت فى المجتمع الإسلامى وتنمو روح الفرقة على أسس فرعية ، فالأمور المشتركة بين المسلمين جميعا كثيرة والأهم مساحته أكبر من أن ينتهى منه .

هذا المعنى يذكرنا به الرسول الكريم فيقول (ﷺ) " توشك أن تنفك عرى الإسلام عروة عروة أولها الحكم وآخرها الصلاة " فعندما يتوقف المسلمون عن الصلاة . هنا تنفك عرى الإسلام والعياذ بالله . فالصلاة هى الخط الأول والأخير فى الدفاع عن الإسلام . وهذا الذى جعل الرسول (ﷺ) يحرص على صلاة الجماعة حتى وهو فى مرضه الأخير ، وهذا أيضا الذى جعل سيدنا عمر يهتم بصلاة الجماعة حتى وهو في النزع الأخير بعد أن أصابه أحد أعداء الإسلام بطعنه وهو يصلى ، فلم يهتم بشىء وهو ينزف أكثر من اهتمامه بصلاة الجماعة .

فلا يجب أبدا أن يفتت المسلمون وحدتهم فى الجدل ، والصراع حول الأمور الفرعية والتى شغلت الفكر الإسلامى فترة طويلة من الزمن دون جدوى . وفى الحديث " وما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أتوا الجدل " وفى الحديث أيضا " إذا هدى الله قوما ألهمهم العمل ".

ويـريد أعـداء المسـجد أن يـنالوا مـن أئمـته ، بمـن أسـموهم رجـال الديـن ، فيجـب أن يكـون هـناك قانونـا يعاقـب بشـدة كـل مـن يسـخر بالديـن ، أو يسـتهتر بعلمائـه ، ولمـاذا يكـون علمـاء الديـن الإسـلامى هـو وحدهـم مـادة السـخرية فقـط ، رغـم أن رجـال الديـن فـى أديـان أخـرى لا يمسـهم أحـد بسـوء . فيجب ألا يمس دين من الأديان أو أى عالم من علمائه بأى سوء .

إن المسـجد هـو الـذى يبـنى الإنسـان الصـالح . والإنسـان هـو الـذى يبنى أى شـىء آخـر بعـد ذلـك فـى المجتمـع . لقـد كـان عمـر (ﷺ) فـى الجاهلـية قـبل أن يعـرف الإسـلام شـعاعا مـنحرفا صـنع الصـنم الـذى يعـبده مـن العجـوة ثـم إذا جـاع أكلـه وكـان يـئد البـنات . أمـا بعـد هدايـته للإسـلام اسـتقام هـذا الشـعاع ، وانـتظم مـع غـيره مـن أشـعة المسـلمين بالمسـجد ، فأضـاءوا بحضـارة الإسـلام الدنـيا . ولذلـك لا يمكـن ان يكـون هـناك حـاكم يـريد لشـعبه الخـير ويعـادى المسجد .

الباب السابع

الصلاة والتغيير الاجتماعي

- الصلاة مسئولية جماعية.
- التغييـــر الاجتماعــــي وصــلاة الجمـاعـة.
- الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- الأمام موجه للتغييـــر الاجتماعـي.
- حتى يـؤدي المسجــد وظيفتــــه.
- إنجازات يمكن أن يحققها المسجد.
- المسجد والقانون.
- الصلاة وصحــة المجتمع.
- الصلاة واقتصاد المجتمع.



الصلاة والتغيير الاجتماعى

☐ الصلاة مسئولية جماعية :-

الصـلاة الفـردية تغـير مـن الإنسـان كفـرد ، والصـلاة الجماعـية تقـوم بعملـية تغيـير اجـتماعى ، هـذا هـو دور وعمـل الصـلاة الأساسـى ، فهـى تؤثـر فـى حـياة المصـلى الاجتماعـية وعلاقـته بالآخريـن وتؤثـر فـى مجـتمعه . وهـناك فـرق بيـن التأثـير علـى الإنسـان كفـرد والـتأثر علـيه مـن خـلال الجماعـة ، ونـرى هـذا واضـحا فـى فرعيـن مـن علـم الـنفس فـرع يسـمى علـم الـنفس الفـردى والآخر يسمى على النفس الاجتماعى .

وكمـا أن علـم الاجـتماع يـنص علـى أن العقـل الجمعـى يخـتلف عـن العقـل الفـردى ، فـالعقل الجمعـى لجماعـة المصـليين داخـل المسـجد يحـدث له بفعـل الصـلاة عملـة تغيـير فـى خـط واحـد ، هـو الأمـر بالمعـروف والـنهى عـن المـنكر ، وفـى داخـل المسـجد أو الـبوتقة المقدسـة ينصـهر جمـيع المصـليين فـى روح واحدة .

ويـتم التغيـير الاجـتماعى داخـل المسـجد لأن المصـلى داخلـه لا يجـب أن يكـون سـلبيا ، فـإذا رأى أحـد المصـلين قـد اخطـأ ، فإنـه إذا لـم يـبادر ليصـحح لـه خطـأه يكـون شـريكا فـى هـذا الخطـأ فـلا ينـتظر المصـلون أن يـأتى الإمـام ليصـحح لكـل واحـد مـنهم خطـأه ، وإنمـا كـل مصـلى داخـل المسـجد مسـئول عـن هذا الخطأ متى وجده .

وعـندما نعلـم أن تسـوية الصـفوف مـن تمـام الصـلاة فـإن الجمـيع مسـئولون عـن الصـف ، فالصـف المعـوج لا يـنظر الله سـبحانه وتعـالى إلـيه ، كمـا أن تسـوية الصـفوف مـن إقامـة الصـلاة ، فمهمـا حـاول الفـرد المصـلى ان

ينتظم فى الصف دون مراعاة الآخرين معه ، فإنه على الرغم من محاولاته الصادقة فى حدود نفسه فلن يحصل على الثواب إذا لم يكن الصف مستويا. فتسوية الصف إذن عملية جمعية يشترك فيها جميع الأفراد الذين يكونون الصف ، والرسول (ﷺ) يقول " سووا صفوفكم فإن تسوية الصف من إقامة الصلاة " (البخارى) .

فلماذا لم توضع فى المسجد خطوط مستوية يصطف أمامها المصلون ؟ لأن تسوية الصف عمل إيجابى يجب أن يشعر بمسئوليته كل مصلى وهذه الروح فى الاستواء والنظام ليست مقصورة على المسجد فقط، وإنما تبدأ منه لتشمل حياة المسلم كلها .

ولتأثير صلاة الجماعة على المجتمع كانت هى الأساس ، وعليها الثواب المضاعف فإنه لا صلاة لجار المسجد إلى فى المسجد ، وإن الرسول (ﷺ) كاد أن يحرق بيوت أناس تخلفوا عن الجماعة . وأيضا هناك صلوات لا تصلح بتاتا إلا جماعة . وهى صلاة الجمعة ، وصلاة العيد، حتى يضمن الإسلام التقاء المسلمين مرة على الأقل كل أسبوع فى المسجد الجامع لأهل الحى ، ومرتين على الأقل للمدينة فى الخلاء فى صلاة العيد وأيضا يجتمع المسلمون من جميع أنحاء العالم مرة على الأقل كل عام فى الحج .

إذاً فصلاة الجماعة ضرورة فى الإسلام لحياة الجماعة الإسلامية وفى كتاب أسرار الصلاة للإمام الغزالى عن عمر رضى الله عنه أنه قال " تفقدوا إخوانكم فى الصلاة فإذا فقدتموهم فإن كانوا مرضى فعودهم ، وإن كانوا أصحاء فعاتبوهم " ويضيف الإمام الغزالى " والعتاب إنكار على من ترك الجماعة ، ولا ينبغى أن يتساهل فيه . وقد كان الأولون يبالغون

فيه حتى كان بعضهم يحمل الجنازة إلى بعض من تخلف عن الجماعة ، إشارة إلى أن الميت هو الذى تأخر عن الجماعة دون الحى". ولذلك كان المسجد مركز للتعبير الاجتماعى منذ اللحظة الأولى للدعوة الإسلامية فكانت تدخله العناصر المسلمة فيحدث لها التفاعل فى داخله ، فتكون النتيجة تغيرا يحدث للجماعة الإسلامية إلى الأفضل ، ولذا كان أول مسجد بنى فى الإسلام فى المدينة المنورة . وكان أول عمل قام به الرسول (ﷺ) عندما دخل المدينة . هذا المسجد هو الذى أخرج تلك التركيبة العجيبة من العناصر المسلمة والذين صنعوا مجد الإسلام وغيروا مسار التاريخ بإذن الله .

ومعنى ذلك أن هناك روحا جماعية متآلفة تسود الجماعة الإسلامية داخل المسجد ، وليست هذه الروح خاملة بل هى نشطة الحركة نحو الأفضل ، نحو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وتكوين رأى عام للجماعة المسلمة ينفر من الظلم ويقر الحق ، وتحت عنوان (إنكار المنكر وتنبيه المسىء فى صلاته) يحدثنا الإمام الغزالى فى كتابه أسرار الصلاة عن مسئولية المسلم داخل المسجد ، وهى المسئولية التى ترغمه على أن يكون إيجابيا مهتما بأمر المسلمين ، ولا يستطيع أن يرفع شعار السلبية وينعزل ، وإلا كان مشاركا فى الخطأ ويتحمل فى ذلك الوزر .

يقول الإمام الغزالى " حق على من حفر الصلاة إذا رأى من غيره إساءة فى صلاته أن يغيره وينكر عليه ، وإن صدر من جاهل رفق بالجاهل بعلمه ، فمن ذلك الأمر بتسوية الصفوف ، ومنع المنفرد الوقوف خارج الصف ، والإنكار على من يرفع رأسه قبل الإمام ، إلى غير ذلك من الأمور، فقد قال (ﷺ) " ويل للعالم من الجاهل حيث لا يعلمه "

(أخـرجه الديلمـى)، وقـال ابـن مسـعود رضـى الله عـنه : " مـن رأى مـن يسـىء فـى صلاته ولـم ينـبهه فهـو شـريكه فـى وزرهـا "، والأصـل فـى هـذا حديـث ابـن مسـعود عـن أحمـد والأربعـة وابـن حـيان : " مـن رأى مـنكم مـنكرا فليغـيره بـيده فـإن لـم يسـتطع فبلسـانه ، فـإن لـم يسـتطع بقلـبه وذلـك أضـعف الإيمان " .

وبهـذا يكـون المجـتمع المسـلم مجـتمعا يسـوده روح التغيـير نحـو الأفضـل ، مـن يعلـم الصـواب علمـه لمـن لا يعـرف وإلا اصـبح مسـئولا عـن ذلـك . وإن جماعـة المصـلين داخـل المسـجد هـى عملـية إعـداد للمسـلمين لينتشـروا بعـد ذلـك فـى الأرض لـيملؤها بـروح المسـجد ، روح التغيـير نحـو الأمـر بالمعـروف والـنهى عـن المـنكر :﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾.[1]

ولقـد بلـغ مـن أهمـية هـذه الـروح الإيجابـية الـتى تؤثـر فـى الـناس أن وصـف الرسـول الكـريم (ﷺ) الديـن بأنـه النصـيحة . ففـى الحديـث "الديـن النصـيحة " . وذلـك حـتى يعـم الأمـر بالمعـروف والـنهى عـن المـنكر المجـتمع المسلم ، فيكون خير المجتمعات حقا .

وهـذه هـى الـروح الإيجابـية داخـل بيـت الله ، مـن تخلـى عـنها تخلـى عـن روح المسـجد ، فـإذا وقعـت أمامـه فـى المسـجد إسـاءة ولـم يعمـل علـى تغيـيرها تحمـل الـوزر مـع صـاحبها ، وأصـبح شـريكا لـه . فصـلاة الجماعـة تحـارب السـلبية فـى شخصـية المصـليين ، وتشـحنهم دائمـا بحافـز العمـل مـن أجـل الإصـلاح فـى خـط واضـح محـدد وهـو الأمـر بالمعـروف والـنهى عـن المـنكر، والرسـول (ﷺ) يقـول فـى هـذا المعـنى " لا يكـن احدكـم إمعـة ٠٠ " ،

---

(١) الجمعة ١٠.

وفي الحديث " لا يمنعن رجلا هيبة الناس أن يقول بحق إذا علم " (الترمذى) ، وعن أبى سعيد الخضرى رضى الله عنه ، قال: قال رسول الله (ﷺ) ، " لا يحقرن أحدكم أن يرى أمر الله فيه مقال فلا يقول فيه فيقال له يوم القيامة : ما منعك أن تكون قلت فى كذا وكذا ؟ فيقول : مخافة الناس فيقول الله " إياى أحق أن تخاف " (رواه ابن ماجة) .

ولقد ضرب لنا الرسول الكريم مثلا رائعا يوضح لنا أن السلبية يمكن أن تغرق الجميع وتدمرهم ، ولذلك فمسئولية إصلاح المجتمع مسئولية جماعية وفى صحيح البخارى والترمذى عن النعمان بن بشير عن النبى (ﷺ) قال " مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ، ولم نؤذ من فوقنا : فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا ".

وفى المسجد يتعلم المسلمون جميعا الكبار والصغار والرجال والنساء النظام والدقة وأمور دينهم ودنياهم ، وتعلمون آدابا يوصى بعضهم البعض على أدائها ، ومن خرج عنها خرج عن روح الإسلام وعلى من رآه أن ينبه إلى ذلك وإلا أصبح شريكا له فى الوزر قال تعالى :﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾ .

فلا يجب ارتفاع الأصوات فى المساجد ولا تمارس فيه التجارة من بيع ولا شراء ، ويجب المحافظة على نظافته ، وأن يكون الجلوس فى المسجد بنظام فإن المصلى يجلس حيث ينتهى به المجلس ، وألا يتخطى

رقاب الناس ، وليس للمسلم أن يدخل المسجد ثم يخرج منه قبل أن يصلى فيه .

وفى الحديث ما رواه الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال: " إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع فى المسجد فقولوا : " لا اربح الله تجارتك وإذا رأيتم من ينشد ضالة فى المسجد فقولوا لاردها الله عليك " (رواه الترمذى) .

ونلمح فى هذا الحديث أيضا بالإضافة إلى نهى الرسول الكريم (ﷺ) عن بيع أو شراء أو نشدان الضالة ، يطلب من المسلمين أن يتصدوا لمن يفعل ذلك . وبهذا يكون المسجد وقفا لصناعة الرجال الذى يحملون لواء التغير نحو الأمر المعروف والنهى عن المنكر .

ولحرص الرسول (ﷺ) أن تنطلق حياة المسلمين من المسجد فإن من السنة إذا كان أحد المسلمين فى سفره فعليه أن يبدأ بالمسجد قبل بيته فيصلى فيه ركعتين أسوة برسول الله . فقد روى البخارى فى صحيحه " كان النبى (ﷺ) إذا قدم من سفر يبدأ بالمسجد فيصلى فيه."

ويحدثنا الدكتور على عبد الحليم محمود نقلا عن (السيوطى) كيف كان المسجد منتشرا فى حياة المسلمين " وكان المتبع أن يبتنى مسجد جامع ومساجد صغيرة فى كل بلد يفتحه المسلمون" ، كما روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما فتح الله عليه البلدان كتب إلى أبى موسى وهو على البصرة يأمر أن يتخذ مسجداً للجماعة ويتخذ للقبائل مساجد ، فإذا كان يوم الجمعة انضموا إلى مسجد الجماعة ، وكتب مثل ذلك إلى سعد ابن ابى وقاص وهو على الكوفة ، وإلى عمر بن العاصى وهو على مصر " هذا النظام لانتشار المسجد بين المسلمين ، حتى يرتبط

المسلمون بالمساجد ، وفى كل أسبوع يجتمع أهل الحى فى المسجد الجامع"، ولذلك يجب أن توجد المساجد فى كل مكان يجتمع فيه المسلمون كالمدارس والجامعات ، والمصانع ، والأندية ، والسكنات العسكرية وغيرها حتى تتم التعبئة العامة لجموع المسلمين فى وحدة تعبدية رائعة وتنتشر بعد الصلاة بروحها المتمثلة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

لذا تعنى الصلاة أن المسئولية جماعية ، وأن كل مسلم داخل المسجد يعلم قليل من العلم عليه أن ينشره إذا وجد ما يستحق ذلك ، والرسول ﷺ يقول " بلغوا عنى ولو آية " فتخزين العلم كتخزين المال ، فى الحالتين يكون ضارا ولا ينفع إنما المهم هو الاستخدام .

وقد توعد الله الذين يكنزون المال بالعذاب ، وكذلك فإن الذين يكنزون المعرفة دون أن يستخدموها لإفادة أنفسهم وغيرهم ، فإن الله لا يرضى عليهم وفى الحديث " ويل للعالم من الجاهل " بمعنى أن للفقير فى المعرفة حقا فى أن يعرفها من الغنى بها ، تماما كما أن للفقير فى المال حقه فى مال الغنى . وفى حديث عن أبى هريرة قال (ﷺ) " من كتما علما جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار " .

وبهذا المعنى يتحول المجتمع كله إلى أساتذة وطلبة فى نفس الوقت وتنتشر المعرفة فى القول والفعل ، وهذا هو أضمن وأسرع أسلوب لنشر الوعى وروح التغير فى المجتمع ، وفى الصين يستخدمون أسلوب نقل المعرفة هذا ، فالأستاذ يعلم الطالب ، والطالب يعلم الطالب يعلم الأستاذ، وبهذه الطريقة يسرى العلم بين الملايين فى الصين كما تسرى النار فى الهشيم .

❑ التغيير الاجتماعي والصلاة الجماعية :-

والله سبحانه خالق هذا الكون وقوانينه ، فكما جعل للمادة قوانين تحكمها جعل للمجتمعات قوانين أيضا ، وقد نبه العقل البشرى إلى ذلك فى قرآنه الحكيم قال تعالى : ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ﴾[1] ، نجد أن هذا القانون عام يسرى على أى مجتمع سواء كان مجتمعا مؤمنا أو لا . مثلما أن قانون الجاذبية الأرضية خضع له كل المواد ، وليس لمادة بعينها.

وإن هذا القانون قانون لمجتمع وليس قانونا لفرد ، فالله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ﴾ ولم يقل سبحانه ما بفرد فالتغير هنا جماعى ويفسر لنا الأستاذ جودت سعد " إذا الفرد يمكن أن يتغير ما به فى بعض الجوانب إن غير ما بنفسه ، ولكن ذلك ليس فى كل الأمور خاصة المتصلة بالمجتمع ، لابد من تغيرها ، حتى ينال الفرد نصيبه من هذا التغير" ، وهذا الكلام الذى يقوله الأستاذ سعد فى كتابه " حتى يغيروا ما فى أنفسهم يعبر عن حقيقة اجتماعية ، فالمجتمع يؤثر فى أفراده شعوريا ولا شعوريا سواء أرادوا أو رفضوا ، ومن يدرس علم الاجتماع سوف يجد تلك المعانى .

وكمثال على ذلك رجل كان له ابنة صغيرة مرضت بمرض جلدى شديد العدوى ، وإن ابنته انتقلت إليها العدوى من الأطفال الصغار فى المنزل الذين يسكنون فيه ، وعندما أراد الرجل أن يعالج ابنته وأتى لها بالدواء ، بدأت ابنته فى التحسن من المرض ثم ما لبث أن عاد المرض

---

(١) الرعد ١١.

لها مرة أخرى . لماذا ؟ الجو الاجتماعى حول ابنته مازال مصابا ، مصدر العدوى مازال موجودا ، فهو لا يستطيع أن يسجن ابنته داخل الشقة ، وبالتالى لا يمكن أن يمنع المرض من الوصول إليها .

وكان الحل هو التغيير الاجتماعى لكل الأطفال وحثهم على شراء الدواء، والذى لم يستطيع الشراء أشترى له ذلك الرجل الدواء ، وكان العلاج للجميع تغييرا جماعيا من المرض إلى الصحة وبالتالى شفيت ابنته، لهذا المعنى كان الجامع ، وكانت الصلاة الجامعة نقطة انطلاق لتغير الجماعة الإسلامية نحو الأفضل فليس من الصواب أن كل فرد مسئول عن نفسه فقط ، وإلا كيف يضمن لنفسه ولأهل بيته صحة أخلاقية إذا كان الهواء الذى يتنفسه الجميع ملوثا ؟ !

ونفس الشىء بالنسبة للذى يريد حجرته أن تكون خالية من الذباب، فإنه يغلق النوافذ . ويأتى بمبيد حشرى فيقتل الذباب ، ولكن بمجرد أن يفتح النافذة يأتى الذباب مرة أخرى مع الهواء .

ولو أن المجتمع كله اشترك فى القضاء على الذباب كما حدث فى الصين ، فإن الشخص السابق يمكنه أن يفتح نوافذه ويدخل منها الهواء خاليا من الذباب . فالتغيير الفردى الذى قام به من يطارد الذباب بمفرده لم يحل المشكلة ، وإنما التغير الاجتماعى هو الذى حل المشكلة.

ولكن هل كان من الممكن أن تكون الصلاة فردية فقط ، وهى فى جوهرها علاقة بين الخالق و المخلوق ! إن تأثير الصلاة الفردية أن يتعدى الفرد نفسه من ناحيته النفسية ومن ناحيته العضوية ، أما المصلى من حيث إنه شخص يؤلف مع غيرة من الأشخاص النسيج الاجتماعى ، فان الصلاة الفردية لا تؤثر فيه .

لذلك كانت حكمة الله سبحانه وتعالى فى أن تكون صلاة الجماعة هى الأساس لأنها تشمل الصلاة الفردية فى طياتها ، لأن كل مصل داخل جماعة المصليين يتصل بربه اتصالا لا يشاركه فيه أحد، وأيضا صلاة الجماعة تؤثر فى مجتمع المصليين حيث إنهم جماعة . وهذا بالتأثير هو الذى يؤدى إلى التغيير إلى الأفضل بروح الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، التى هى روح الصلاة . تماما كما أن كل خلية فى الجسم الحى لها نشاطها المستقل ، ولكن بارتباطها مع بقية الخلايا تكون الوظيفة العضوية للجسم .

وإن قانون التغير هذا الذى وجهنا له القرآن الكريم حتى تستفيد منه الأمة المسلمة ، وتكون أسبق من غيرها فى الاستفادة به لا ينطبق هذا القانون على الأمة المسلمة فقط ، بل هو قانون عام لكل الناس ، فالله سبحانه وتعالى قال فى الآية الكريمة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ . كلمة قوم ولم يخصها بقوم معينين ، والتغيير الذى أشارت إليه الآية الكرمة يمكن أن يكون إلى الأفضل أو إلى الأسوأ ، فإذا كان هذا التغير إلى الأسوأ يكون الحساب للمجتمع بالتخلف والانهيار .

فالمحاسبة فى الدنيا جماعية ، أما فى الآخرة فالأمر يختلف فالحساب فردى : ﴿ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾[1] . وأما المسئولية الجماعة أى محاسبة المجتمع كله فذلك واضح فى قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ

(١) مريم ٨٠.

فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾.[1]

ويدل على هذا أيضا حديث الرسول (ﷺ) لما مثل (أنهلك وفينا الصالحون قال : نعم إذا كثر الخبث) ، فالمسألة نسبية عندما تزيد نسبة الصالحين فى المجتمع تكون النعمة، وعندما تزيد نسبة الأشرار في البلد والمجتمع تكون النقمة. وهذه المعانى الهامة ألهمت أبن خالدون فى أن يكتشف قوانين علم الاجتماع ، وقد سماه علم العمران مما جعل الجميع يشيدون بما وصل إليه إلى يومنا هذا .

وكما أنه فى العالم المادى قوانين تحكم المادة كقانون الجاذبية الأرضية الذى تخضع له كل المواد . كذلك هناك قوانين اجتماعية تخضع لها كل جماعة والذين استفادوا من قانون الجاذبية الأرضية بعد أن عرفوه وتعاملوا معه كذلك يمكن الاستفادة من القوانين الاجتماعية بمعرفتها واستخدامها ، فإذا قام قوم ما بتغيير فى الماضى ، والحاضر، والمستقبل .

فإذا رأينا مجتمعا غير أفراده ما بأنفسهم فخربت ضمائرهم ، وانتشرت الرشوة والسرقات بينهم وأصبح الحد لا يقام إلا على الضعيف فقط ، وتلاشت روح الأمر بالمعرف وحل محلها الأمر بالمنكر والنهى عن المعروف . هنا نتأكد من أن المجتمع سيصيبه الدمار والهلاك مثلما نتأكد من احتراق القماش عندما نضعه فى النار ، فحق على هذا المجتمع والقماش التدمير . ففى الحديث " إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطع محمد يدها " . (مسلم) .

---

(١) الأنفال ٢٥

وإذا حدث العكس وبدأ أفراد المجتمع يصلحون ما بأنفسهم وأصبح الحد يقام فيهم على كل من أخطأ وانتشرت فيهم روح العدل وقلت الجرائم وأصبح الرأى العام لهم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . إن قانون التغيير هذا يتجه بالمجتمع إلى الأفضل ، إلى البناء والنمو والازدهار . مثلما نضع الماء والسماد للنبات ونرعاه بالطرق السليمة فإننا بإذن الله نراه ينمو ويخضر . ولهذا كان الجامع لجمع المسلمين حثا لهم وتذكرة للتغير نحو الأفضل . وكان فى عهود إشراقه يحدث التغيير المطلوب ، كان ذلك حين تمت التجربة الإسلامية الأولى والتى أذهلت العالم كله .

ولذا حرص الإسلام على الجماعة وربطها بالصلاة ، فتكون الصلاة الجماعية هى نقطة البدء فى تغيير ما بأنفس القوم ، وبقدر نجاحهم فى هذا يساعدهم الله فى هذا التغيير هذه هى سنة الله فى الجماعات ، كما أن سنته سبحانه فى الحديد أنه يتمدد بالحرارة . والله سبحانه وتعالى يقوم : ﴿ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ .[1]

وموضوع تغيير المجتمعات أصبح علما ، والكثير من المجتمعات يعمل على تطبيقه ليحصل على التغيير الذى يريده ، والشيوعيون يطلقون على أنفسهم أنهم تقدميون لهذا السبب ، وينبهنا الأستاذ جودت سعد إلى هذا فيقول : " وإن حل مشكلة تخلف المسلمين لن يتم إلا إذا تمت السيطرة على تغيير ما بالأنفس " ويضيف قائلا " وأهم شىء يحث عليه القرآن ومن أجله أنزل الله الكتب وأرسل الرسل هو تغيير المجتمعات . فلهذا كان

---

(١) فاطر ٤٣.

الإلحاح فى القرآن أن ينظر الناس إلى سنن الذين خلوا من قبل . والسنة (القانون) ، وهى التى على أساسها ترتفع وتنخفض المجتمعات ".

- **الصلاة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :-**

إن نعمة الإسلام على المجتمع هو أن تشيع فيه روح الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فيصبح خير المجتمعات كما حثنا القرآن الكريم : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾.[1]

والصلاة ملازمة للفرد المسلم فى حياته وملازمة للجماعة الإسلامية فى تواجدها فعندما تكون الصلاة منطلقا للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وتكون المساجد إعدادا لهذه الروح الطيبة ، تكون الصلاة إذن منطلقا لبناء خير مجتمعات وهذا هو الهدف من الصلاة وينص القرآن على ذلك : ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾.[2]

وإذا لم يشارك المسلم فى عملية التغيير الاجتماعى نحو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر داخل المسجد وخارجه أصبح شريكا فى هلاك المجتمع ، ولذلك نهى الرسول (ﷺ) المسلم فى أن يقف موقف المتفرج فقد قال : " لا يكن أحدكم امعه فيقول إن أحسن الناس أحسنت ،

---

(١) آل عمران ١١٠.
(٢) العنكبوت ٤٥.

وإن أساءوا أسأت بل وطنوا أنفسكم إن احسن الناس أن تحسنوا ، وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم ".(الترمذى)

ويقول لنا الرسول (ﷺ) " لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم تدعون فلا يستجاب لكم " .

والصفة الأساسية للمسلمين والمؤمنين هى الصلاة المرتبطة بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.[1]

هكذا ربط الله سبحانه وتعالى الصلاة بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فالصلاة عندما تتحول إلى عادة داخلية صامتة تصبح عبادة ميتة التأثير . إنما العبادة الحية هى المنطلقة من الصلاة إلى الخارج ، إلى المجتمع ليعم المعروف ويقل المنكر ، وبقدر تأثير الصلاة خارجيا تكون حيويتها وثوابتها .

فالإسلام ليس فيه رهبنة وانغلاق على الذات . إنما انطلاق من العبادة إلى الحياة الخارجية . من المسجد إلى المجتمع حتى يعم المجتمع روح المسجد ، روح الصلاة ، روح الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . هذه الروح جعلت (مايكل هارت) وهو يضع قائمة بأعظم مائه فى التاريخ البشرى يقول: " فهذا الامتزاج بين الدين والدنيا هو الذى جعلنى أومن بأن محمدا (ﷺ) هو أعظم الشخصيات أثرا فى تاريخ الإنسانية كلها". وفى

(١) التوبة ٧١.

حديث (متفق عليه) يقول الرسول (ﷺ) " .. وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا " فالكرة الأرضية كلها مسجد فيها العبادة وفيها العمل .. والعمل والعبادة وحدة واحدة فى الإسلام .. الدين والدنيا عمله واحدة يتعامل بها المسلم فى حياته ، وفى الحديث " ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته، ولا أخرته لدنياه " حتى يصيب منها جميعا ، فإن الدنيا بلاغ إلى الآخرة ، ولا تكونوا كلا على الناس " . (أخرجه النسائى).

❑ **الإمام موجة لتغيير المجتمع :**

إمام المسجد هو قائد التغيير الاجتماعى ، وقدوتنا الحسنة فى ذلك رسول الله الذى أحدث التغيير الاجتماعى فى مجتمعه أروع ما يكون بإذن الله . ومما يدل على الأهمية القصوى للإمامة أن شروط الإمام فى الصلاة تكاد تتفق مع شروط الإمامة العامة للأمة (ابن تيميه) والقيادة أمر خطير بالنسبة للجماعات ، ولذلك نجد أن علم النفس الاجتماعى يولى عناية بالغة لموضوع القيادة لما لها من خطورة فى توجيه المجتمعات .

ولقد أعطى الإسلام القيادة حقها من الأهمية التى تستحقها وربطها بالصلاة فكان أيام الرسول وأيام الخلفاء الراشدين إمام المسجد الجامع ، هو الإمام فى الجهاد . ولم يترك الإسلام اختيار الإمام للصدفة . بل وضع شروطا معينة حتى لا يطفوا على قمة الجماعة من لا يستحق ، وبالتالى تصاب الجماعة كلها بالضرر إننا إذا وضعنا قطعة من الفلين وقطعة من النحاس فى إناء ماء فإن الفلين يطفو على السطح أما النحاس فإنه ينزل إلى القاع . لأن لكل من المعدنين خواصه التى تختلف عن خواص الآخر ، ولهذا فلابد من لمن يصعد إلى قمة السطح كإمام أن تؤهله صفاته لذلك ،

وإلا غطس وأغرق من معه من جماعة يقودها ، ولذلك كان حرص الإسلام على وضع شروط الإمام ضمانا لسلامة المجتمع .

لا يوجد فى الإسلام تصنيف : وأهل ثقة ، أهل كفاءة . وإنما هى أمانة ولذلك رفض الرسول (ﷺ) طلب أبو ذر الغفارى الصحابى الجليل ، ومن المقربين إلى رسول الله (ﷺ). ففى الحديث " يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة . وإنها يوم القيامة خزى وندامه ، إلا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فها " (مسلم) .

وعن خطورة هذه الأمانة ما جاء فى الحديث " جاء رجل يسأل رسول الله (ﷺ) : متى تقوم الساعة فقال له : إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة ! فقال : وكيف أضاعتها ؟ قال : إذا وسد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة " . (البخارى)

ولقد جعلت صلاة الجمعة فرضا لاجتماع المسلمين على الأقل مرة فى الأسبوع ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾.[1]

والخطبة جزء من صلاة الجمعة لا تصلح إلا بها . ويقوم الإمام فى الخطبة ببث روح التغيير إلى الأصلح ويدعم ذلك بالقرآن والسنة . وعندما تكون كلمات الإمام تعبيرا عما يصلح أحوال المصلين فى الدنيا والآخرة فإننا لن نجد فى المسجد العدد غير القليل من النائمين على صوت الخطيب الممل ، والذى لا حرارة فيه ، وعلى كلماته المنبعثة من قبور الماضى .

(١) الجمعة ٩.

لقد كان الرسول (ﷺ) عندما يخطب كان يهدف التغيير فى سلوك الناس لا مجرد الكلام ، ولذلك كانت كلماته الصادقة متصلة بكل ما يهم المسلمين وما ينفعهم فى دنياهم وأخرتهم . كانت كلمات قليلة لأنها حث على العمل " كان (ﷺ) لا يطيل الموعظة يوم الجمعة إنما كلمات يسيرات". (مسلم وأصحاب السنن) . كانت كلمات تفيض بالحرارة ، يقول جابر رضى الله عنه " كان النبى (ﷺ) إذا خطب أحمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه كأنه منذر جيش يقول صبحكم مساكم " (مسلم) .

والإمام يلقى كلمته فى أهل البلدة كلها مرتين على الأقل فى السنة فى صلاة العيد ، حيث يجتمع فى الخلاء أهل البلد كلهم رجالا ونساء كبارا وصغارا الجميع يجتمعون فى وقت واحد وفى مكان واحد لأداء عمل مقدس، فيقوم الإمام فى هذه الجموع بخطبته التى تبغى التغيير إلى الأفضل.

ويمكن فى صلاة العيد أن تؤثر الخطبة فى سكان البلدة كلها ليكون هذا التأثير نقطة للتغيير نحو الأصلح ، ولقد نقلت إلينا الأنباء أنه فى أحد ميادين القاهرة وحدها اجتمع حوالى ربع مليون مسلم فى مكان واحد وفى وقت واحد ليؤدوا صلاة العيد فى نظام دقيق بدون ما يقوم أحد بتنظيمهم، .. ربع مليون ينتظمون فى صفوف بسرعة فى مكان واحد ، وفى زمان واحد، ويقومون بحركات فى وقت واحد من ركوع وسجود وقيام . هذه هى عظمة الإسلام لأنه النظام الذى حول الرعاة الحفاة إلى خير أمه خرجت للناس . ويصف أمير الشعراء شوقى حال العرب قبل الإسلام من فوضى وهمجية فيقول :

جئت والناس فوضى لا تمر بهم   إلا على صنم قد هام فى صنم

وقد أخذت الصين الشيوعية بأسباب تغيير المجتمع فتقدم المجتمع الصينى عما كان عليه تقدما ملحوظا وان مفتاح التغيير هو قدرتهم على تجميع أنفسهم فى وقت واحد وفى أماكن موحدة ليبدعوا عملا واحدا .

وهكذا انتصرت الصين فى القضاء على الذباب وعلى الأمراض المتوطنة ، وإن كان الهدف النهائى من التجميع المنظم للمسلمين فى الصلاة هو إرضاء الله سبحانه وتعالى ثم ينتشرون فى الأرض بعد ذلك ليؤدوا أى عمل بهذه الروح ، فأما الهدف النهائى للصينيين من تجمعهم المنظم هو أداء أعمال من أجل وجه الصين العظيم وشتان بين الهدفين ، بين هدف أسمى ، وبين هدف هو صنم .

وقد استطاع أحد أئمة المساجد وأسمه عبد الله الشريف فى قرية صغيرة بالقرب من مدينة رشيد أن يحدث تغييرا اجتماعيا للناس فقد لاحظ هذا الإمام مغالاة الناس فى عمل سرادقات الموتى ، وكان هذا يشكل عبئا كبير على الفقراء من أهل المنطقة ، والذين لا يستطيعون أن يفلتوا من ضغط العرف الاجتماعى عليهم بالإنفاق على هذه المظاهر .

ولذلك قام هذا الإمام بدوره منطلقا من المسجد إلى إرشاد الناس وتوعيتهم بأن هذا ليس ما يتطلبه الدين ، وأن هذا يضر بالناس حتى كأنه ينطبق عليهم المثل القائل " موت وخراب ديار " ، وطلب الأستاذ عبد الله الشريف من المصلين فى الجامع الذى يؤم الناس فيه وهو الجامع الرئيسى فى القرية ألا يذهبوا إلى هذه السرادقات إذا أقيمت ، وبذلك مارس ضغطا اجتماعيا حتى قضى على هذه الظاهرة فى القرية، بدافع من الدين وانطلاقا من المسجد .

وهـذه تجـربة تثبـت قـدرة المسـجد علـى توجـيه التغيـير الاجـتماعى لصـالح الـناس فـى دنـياهم وآخـرتهم ، وأنـه لـو تـرك كـل مسـلم لنفسـه مـا كـان يسـتطيع أن يغـير مـن هـذا العـرف الاجـتماعى السـائد . ويمكـن لإمـام المسـجد بعـد دراسـة طيـبة قصـيرة أن يصـف الـدواء للحـالات المرضـية البسـيطة وهـى محـدودة فـإذا كـان هـناك حـالات أكـثر تعقـيدا أحالهـا إلـى المستشـفى ، وهـو بهـذا العمـل الـذى يقـوم بـه داخـل المسـجد يـربط المسـجد بحـياة الـناس الصـحية ، وكذلـك يمكـن أن يسـاهم فـى تحسـين صـحة البيـئة وتثقـيف المصـلين جمـيعا وتحركهم فى الأعمال الجماعية لصالح المجتمع .

ولذلـك لابـد أن يقـوم الإمـام بـدوره ، ولا يـتحول إلـى موظـف فقـط يـؤدى روتيـن عملـه إنـه فـى هـذه الحالـة تكـون أشـرطة التسـجيل أوفـر اقتصـاديا منه.

ولذلـك لابـد مـن إعـداد إمـام المسـجد إعـدادا كافـيا فـى فقـه الديـن والدنـيا، حـتى يسـتطع أن يوجـه المجـتمع إلـى الخـير ، وأن يكـون قـادرا علـى المشاركة فى كل الأعمال لتغيير المجتمع إلى الأفضل فيتطور وينمو .

فلابـد أن يكـون إمـام المسـجد مهـتما بمشـاكل المجـتمع الإسـلامى ، القريـبة والبعـيدة ، حـتى يسـتطيع أن يـربط الـناس بالمسـجد ، والرسـول (ﷺ) يقـول " مـن لا يهـتم بأمـر المسـلمين فلـيس مـنهم " ، فـإذا كـان المـاء مقطوعـا فـى الـبلد ، والـناس لا تجـد مـاء للوضـوء ويأتـي إمـام المسـجد ليخطـب ويـتكلم فـي كـل موضـوع وأي موضـوع إلا هـذا الموضـوع المهـم والملـح علـى فكـر الـناس . هـنا يكـون خطيـب المسـجد بعـيدا جـدا عـن أمـور المسـلمين ومشاعرهم. ويصدق فيه قول أعداء الإسلام " بأن الدين أفيون الشعوب".

وليس المطلوب من الإمام أن يثير جمع المصلين ، ولكن يعرض المشكلة عليهم بطريقة سليمة ويطلب منهم المشاركة فى الحل . فعندما حدثت فى إنجلترا أزمة مياه . لم يثر قادتها الشعب ضد السلطة وإنما طلبوا من الشعب كله المساهمة فى علاج هذه المشكلة وتحمل المسئولية ومن ضمن ما اقترحوه أن تكون فتحات الصنابير صغيرة الحجم ، حتى يكون معدل الماء النازل منها قليلا والتحكم فيه أفضل . ولم يتوقفوا أمام المشكلة ويعيشوا فى الماضى أيام أن كانت دولتهم لا تغيب عنها الشمس .

❑ حتى تؤدى المسجد وظيفته :-

لابد أن يرتبط المسجد بحياة الناس ، حتى لا تضيع صلاة الجماعة وتضعف روح الصلاة عند المسلمين ، فإضعاف روح الصلاة يسهل الناس الانغماس فى الشهوات وإسرافهم فى الملذات، وهذا هو الفحشاء والمنكر والبغى . قال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴾.(1)

ولابد أن يكون هناك تناسق بين المساجد وأجهزة الدولة الأخرى لأن التعارض بينها تفسخ لوجدان المجتمع . فشخصية المجتمع السليمة لابد أن تكون كل مقوماتها فى اتجاه واحد وليست متعارضة .

وعلم الاجتماع يخبرنا بأن الظواهر الاجتماعية تؤثر فى بعضها البعض كما أن الظاهرة الدينية تؤثر فى الظاهرة الاقتصادية فهى أيضا تؤثر فى الظاهرة السياسية وهكذا .. حتى إن الإصلاح لابد أن يتم فى المجتمع ككل لا يتجزأ ويشمل كل ظاهراته ، وإن علماء الاجتماع يفسرون

(1) مريم ٥٩.

الظواهر الاجتماعية بعضها فى ضوء البعض الآخر ، وذلك دليل على الارتباط الكامل بين ظاهرات الاجتماع . فإذا كان المسجد فى واد وبقية أجهزة الدولة فى واد آخر ، فإن ذلك بالطبع سوف يضعف الدور الذى يقوم به المسجد فى تغيير المجتمع إلى الأصلح .

وفى التجربة الصينية ، نرى أن أهل الصين عندما يريدون إنجاز عمل اجتماعى كتجربتهم الرائعة فى القضاء على الذباب ، وعلى الأمراض المتوطنة مثل البلهارسيا ماذا يحدث ؟ . يخبرنا الأستاذ / صلاح جلال فى كتابه الرائع رحلة صحفية مع الطب والعلم فى الصين . عن كيفية التنفيذ : " يعلن عن مشروع المكافحة قبل الموعد المحدد للتنفيذ بوقت كاف . أثناء هذه الفترة السابقة للتنفيذ تتناوله وسائل الإعلام المتنقلة فى الحقول والمصانع والشوارع ، ووسائل النقل (القطارات والأوتوبيس) كذلك الملصقات ومكبرات الصوت المنتشرة فى كل مكان والإذاعة والتليفزيون والصحف والأفراد الطيبون أنفسهم بجميع نوعياتهم وتخصصاتهم ، والهدف من ذلك كله هو شرح المشروع وإقناع الجماهير بفائدته والتعريف بوسيلة وكيفية التنفيذ ، حتى إذا ما تقرر وقت التنفيذ هب الجميع بغض النظر عن مراكزهم أو وظائفهم أو أعمالهم . . الجميع فى ذلك سواء والقيادات قبل جموع الشعب ، هب الجميع ينفذون ما تم الاتفاق عليه فى وقت واحد وهذا هو سر نجاح القضاء على مشكلة الذباب والبلهارسيا مثلا . وهذا يتم فى كل مكان فى الصين وفى نفس الوقت".

إذن سر النجاح الذى حدثنا عنه الأستاذ / صلاح جلال هو تجمع أهل الصين فى مراكز موحدة وفى وقت واحد ، لبدء عمل واحد . أليست هذه المراكز يمثلها أروع تمثيل المساجد ، حيث يجتمع المصلون فى جميع

أنحاء المجتمع الإسلامى فى أوقات واحدة ، وفى أماكن موحدة ، لبدء عمل العبادة ، فينطلقون من المسجد ليبدءوا هدف الإصلاح المتمثل فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

والتجربة الإسلامية الأولى أثبتت امتيازها للبشر ، ولكن عندما حدث انحراف فى التطبيق بعد المسلمون عن دينهم ، بعدوا عن حياة التقدم والعزة ، ومن الغباء أن يتصور أحد أن يزرع عقيدة أخرى غير الإسلام فوق جذور الإسلام القوية فى تربة أى مجتمع ، لأنها لن تنبت شيئا ، والأفضل مساعدة الجذور الأصلية على النمو لتطرح التقدم الحقيقى والأصيل .

وفتح المساجد فى أوقات العبادة فقط هو احتباس لروح المسجد ، فالعبادة منطلق للحياة وليست غاية يكتفى بها الإسلام . فلابد أن يكون المسجد ذلك المرفق الحيوى مفتوحا على المجتمع لا يغلق أبوابه فى وجهه، ويكون منطلقا للإصلاح وليس متحفا .

ومجمل القول لابد أن يشارك المسجد فى الحياة الاجتماعية فى شق نواحيها من اقتصادية وسياسية وصحية ... ، وليس شيئاً منافيا للإسلام أن نرى إمام المسجد يشترك فى المباريات الرياضية وتنتقل روح المسجد إلى الرياضة ، وكذلك إلى باقى أجهزة المجتمع . فلابد أن يكون للمسجد دور فى كل ما يهم حياة المسلمين ، فالإسلام دين شامل للحياة كلها وليس متقوقعا للعبادة فقط .

ولذلك لابد أن يلحق بالمسجد مرافق تساعده فى تأدية وظيفته ، حتى تجد المسلمون المسجد ملاذا لهم ، فمثلا لابد أن يكون فى المسجد مركزا للإسعافات السريعة التى لا تحتاج إلى الذهاب إلى المستشفى ، وان

يكـون فـى كـل مسـجد معمـل بسـيط للتحلـيل ، يسـاعد علـى الكشـف عـن الأمـراض المتوطـنة والعمـل علـى مقاوماتهـا ويعطـى إمـام المسـجد مـزيدا مـن الوعـى للمصـليين ، حـتى يحـثهم علـى المشـاركة فـى عـلاج هـذه الأمـراض . إذن لابـد مـن قـيام المسـجد بـتدريس بـرنامج عملـى للترشـيد الصـحى وأن يـربط ذلك بالدين .

وفـى نفـس المعـنى يحدثـنا الدكـتور أحمـد شـوقى الفـنجرى فـى كـتابه (الطـب الوقـائى فـى الإسـلام) فيشـرح لـنا كـيف أن الظاهـرة الدينـية كـان لهـا التأثـير فـى خلـق المجـتمع الصـحى الإسـلامى بعـنوان الأسـلوب العقـائدى لخلـق المجـتمع الصـحى " وهـو أسـلوب أبـتدعه الإسـلام وكـان أول مـن طـبقه - . ثـم نقلـته الصـين الشـعبية فـى العصـر الحاضـر وحـاولـت نسـبته إلـيها - . ونجحـت بفضـله فـى أن تصـبح الدولـة الأولـى فـى الـنظافة والـتقدم الصـحى فـي العـالم . . وهـو أسـلوب يقـوم علـي ربـط التعالـيم الصـحية بعقـيدة الأمـة . والاسـتفادة مـن تأثـير (العقـيدة) (أيـة عقـيدة) وطاعـة الـناس لهـا وتضحيتهم فى سبيل نصرتها فى إلزامهم باتباع الأوامر الصحية " .

وبالطـبع تـتفوق العقـيدة الإسـلامية عـن العقـيدة الشـيوعية الصـينية فـى أنهـا لا ترتـبط بالحـياة الدنـيوية وحدهـا ، ولكـن حـياة الآخـرة هـى امـتداد لهـا ممـا يجعلهـا أكـثر قـوة وتأثـيرا . ولـم تقـف تأثـير العقـيدة الإسـلامية عـند الظاهـرة الصـحية فقـط ، بـل شـملت جمـيع ظواهـر المجـتمع . وكـان المسـجد هـو مركـز التعبـئة ، ومجمـع للحشـد الإسـلامى ، ونقطـة الانطـلاق نحـو كـل معروف يفيد المجتمع ويصلح من شأنه .

هكـذا فـى الصـين المجـتمع كلـه موحـد فـى اتجـاه واحـد للوصـول إلـى الهـدف الواحـد المـراد ، ولذلـك نجحـوا ، وبـنفس السـبب كـان المجـتمع

الإسلامى الأول رائدا فى هذا النجاح ، أما فى المجتمعات المنقسمة على نفسها فإن النجاح متعذر الحدوث . والاستشهاد بالتجربة الصينية لا يعنى الرغبة فى نقلها حرفيا ، وإنما هو بإلقاء الضوء عليها من ناحية ، ومن ناحية أخرى لأخذ ما يصلح لنا منها .

ومن الممكن أن يوجد بالمسجد مكان لإعداد حرفيين يخدمون المجتمع ويخدمون أنفسهم ، ويتعلمون الحرفة بروح المسجد . روح الأمانة والنظافة والإتقان والصدق فى المواعيد . فيكونون خير دعاة بسلوكهم للإسلام ، ويرى فيهم المجتمع نوعية ممتازة يثق فيها . وحتى يقوم المسجد بوظيفته لابد أن تكون إدارتهم مهتمة بما يصلح الحياة للناس فى الدنيا والآخرة ، وان تساهم فى رفع شأنهم فى الدنيا والآخرة فالإسلام دين القوة والعزة . والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.[1]، وفى الحديث " من أعطى الذلة من نفسه طائعا غير مكره فليس منا " (الطبرانى) .

- **إنجازات يمكن ان يحققها المسجد :-**

يمكن للصلاة الجامعة أن تكون نقطة البدء فى تحقيق إصلاحات اجتماعية كبيرة تغير من حال المجتمع إلى الأصلح والأقوى ، وتنقله نقلة إلى طريق التقدم والنمو ، تماما بنفس روح النقلة العظيمة من العصر الجاهلى إلى عصر النور الإسلامى فى فترة وجيزة .

---

(١) المنافقون ٨.

يمكـن أن يقـود المسـجد حـركة القضـاء علـى الأمـية بدافـع الديـن ، وأن تتـنافس الجمعـيات والهيـئات الدينـية فـى ذلـك ، وبالـتالى تكـون النتـيجة بـدء وعـى للمجـتمع الإسـلامى المعاصـر ومـن الحقـائق الثابـتة فـى الديـن الإسـلامى حرصـه علـى العلـم ومـن المعـروف أن الرسـول (ﷺ) لـم يقـتل الأسـرى فـى بـدر ، وجعـل فديـتهم أن يعلمـوا المسـلمين ، وأن القـرآن الكـريم حـث علـى العلم وأول كلمة نزلت من السماء إلى الرسول الكريم (ٱقْرَأْ).

ولهـذا نشـعر بالعجـب لمـا آل إلـيه المسـلمين الآن ، ويقـول الدكـتور عبد الفـتاح جـلال مديـر المركـز الدولـى للتعليم الوظـيفى " يعـانى المجـتمع فـى الدولـة الإسـلامية عامـة مـن تفشـى الأمـية وفـى الـبلاد العربـية مـا يقـرب مـن خمسـين ملـيونا أمـيا بيـنما يحـض ديـنـنا علـى القـراءة والتعلـيم ، والمسـجد يمكن أن يقـوم بـدوره فـى تعلـيم الأميـين تعلـيما يـربطهم بديـنهم ويمكـن لهـم مـن عـبادة الله سـبحانه وتعـالى ، عـبادة قائمـة علـى العلـم والمعـرفة " وكـان هـذا حديثا فى مجلة الفيصل .

ويمكـن للمسـجد أن يقـود حـركة القضـاء علـى الذبـاب الـذى تصـفه أجهـزة الإعـلام بأنـه أخطـر مـن القنـبلة الذريـة ، ثـم تقـوم وزارة الصـحة كـل عـام مجملـة القضـاء علـيه ، حـتى لا ينشـر الأوبـئة الخطـيرة مـن كولـيرا وتـيفود وإصـابة العـيون بالـرمد الـذى قـد يـؤدى إلـى فقـدان البصـر ثـم تنطفـئ حماسـة الحملة ولا شئ يحدث بعد ذلك .

إنـه عـندما يهيـئ المسـجد المسـلمين لهـذا الأمـر وخطورتـه ، بالإضـافة إلـى بـاقى أجهـزة الإعـلام الأخـرى ثـم تـأتى صـلاة العـيد وتنشـط الدعـوة إلـيها مـن جمـيع أجهـزة الدولـة ، فيجـتمع المسـلمون كـبارا وصـغارا أطفـالا ونسـاء فـى مكـان واحـد وفـى وقـت واحـد ، ثـم يـؤدون صـلاة العـيد ، وبعـد الصـلاة

الخطبة تحثهم على مواجهة الخطر وتشرح لهم هذا العمل الذى يمثل سلامة المجتمع من الناحية الصحية والناحية الاقتصادية وترشدهم الى ما يجب عمله .

وفى الصلاة الكل سواسية رؤساء ومرءوسين ، هذه هى روح الصلاة ليس هناك تفصيل لأحد على أحد الكل متراصون ، بنيان واحد، لأداء عمل واحد . ثم يكون بعد ذلك الانطلاق انطلاق الملايين لتؤدى عملا واحد فى وقت واحد بروح المسجد ، فيكون العائد إنجازا رائعا ، يظهر الإسلام على حقيقته الناصعة فى التطبيق السليم . وبهذا لا يبهرنا الالتحام بين زعيم الصين وبين العمال البسطاء ليؤدى عملا وطنيا واحدا كالقضاء على الذباب مثلا . لقد كان رسولنا الكريم (ﷺ) يشترك مع الآخرين فى أداء الأعمال ويقول ما معناه أن الله لا يحب العبد المميز .

ويتوالى على محافظ القاهرة أكثر من محافظ ، يعلن فى تصميم أكيد حرصه على نظافة القاهرة ، وإعداد المشاريع لذلك . ويحاول ، وتكون النتيجة الفشل لأنه مهما كان عدد الموظفين الذين يقومون بعملية التنظيف ، فإنهم لن يقاوموا التيارات الجارفة لملايين المواطنين لسكان القاهرة ، والذين لا يتبعون أسلوب النظافة .

لكن لو بدأت الحملة من المسجد وشاركته أجهزة الإعلام ، وكل المسئولين كبارا وصغارا وانطلقت عملية التغير الاجتماعى نحو النظافة بروح الصلاة التى أساسها الطهارة ، وأجهزة الدولة والمسجد يتابع هذه الروح ، لأن النظافة جزء لا يتجزأ من الإيمان . هنا تظل الشعلة مستمرة ، ويوالى الجميع حرصهم على النظافة ، وتقوم الملايين باتباع أساليب

النظافة ، فيكون العائد ليس نظافة القاهرة وحدها ، بل كل مدينة تسرى فيها هذه الروح .

وفى نظافة البيوت يقول الرسول (ﷺ) " نظفوا أفنيتكم ولا تتشبهوا باليهود التى تجمع الأكباء (الزبالة) فى دورها " ويقول الرسول أيضا فى نظافة الطريق " من سمى الله ورفع حجرا أو شجرة أو عظما من طريق الناس مشى وقد زحزح نفسه عن النار " ويقول أيضاً " أن تميط الأذى عن طريق الناس لك صدقة " .

ويدلنا الدكتور الفنجرى على دقة الإسلام فى النظافة فيقول " من روائع الإسلام أنه حرم البصق على الأرض ، وجعل ذلك خطيئة ومن يفعلها تقلل من حسناته وثوابه " .. وذلك لأن البصاق قد يكون مليئا بالميكروبات المعدية كميكروب السل وهذه الميكروبات تنقلها الريح إلى السليم .. فعن انس عن النبى (ﷺ) أنه قال : " البصاق على الأرض فى المسجد خطيئة وكفارتها ردمها " ورغم أن الحديث ذكر أرض المسجد إلا أنه يشمل عامة طرق المسلمين حيث يقول رسول الله (ﷺ) : " وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا " ويقول : " من آذى المسلمين فى طرقهم وجبت عليه لعنتهم " . والحكمة العلمية وراء ردم البصاق أن تدفن فى الأرض فلا ينقلها الريح كما أن الميكروبات لا تعيش طويلا فى التراب الجاف ".

❑ المسجد والقانون :-

وحتى يكون الإصلاح متجها فى الطريق الصحيح فلابد أن تتجه الظواهر الاجتماعية كلها فى اتجاه واحد . فالظاهرة القانونية فى المجتمع

لا تتعارض مع الظاهرة الدينية والدستور فى مصر يبرز هذه النقطة عندما يتحدث على أن المصدر الأساسى للتشريع هو الشريعة الإسلامية . كلما زاد الاعتماد على الشريعة الإسلامية كتطبيق كان هذا الأمر صحيحا للمجتمع الإسلامى ، فتتجه عناصر المجتمع إلى الوحدة فلا يكون هناك تعارض بين القانون الذى يحكم حياة الناس وشريعتهم الإسلامية .

وفى المسجد يمكن للمسلمين أن يتعلموا شريعتهم حتى لو كانوا لا يعرفون القراءة والكتابة ، ففى صلواتهم يتلون الآيات التى أنزلها الله سبحانه وتعالى والتى هى القانون الذى يحكم حياتهم . فيزيد وعيهم ويعرفون مالهم وما عليهم وبهذه الروح وبهذه الطريقة بدأت الحضارة الإسلامية ، ويمكن أن تعود أيضاً انطلاقا من المسجد .

وعندما يتحول المسجد إلى مدرسة لتعليم القانون لعامة المسلمين وخاصتهم ينتفى المبدأ القائل بأن " الجهل بالقانون لا يعفى من العقوبة" . وقد وضع هذا المبدأ حتى لا يتعلل أحد بجهله بالقانون . ولذلك ينظر الناس إلى القانون الوضعى المستورد نظراتهم إلى شىء مجهول لديهم غريب عليهم ، نظرة شك وتوجس ، ولقد عالج الأديب الكبير توفيق الحكيم موضوع الجهل بالقانون فى كتابه يوميات نائب فى الأرياف من خلال تجربته فى عمله كوكيل للنيابة . وقد أوضح هذا الكتاب كم من المآسى وقعت بسبب جهل الناس بالقانون ! .

ونجد فى الكتاب هذا الحوار فى قاعة المحكمة بين قاضى وفلاح بسيط لا يعرف من أمر القانون الوضعى الذى من المفروض أنه يحكم حياته شيئاً .

" أنا يا سيدى القاضى غلبان لا أعرف أقرأ ولا أكتب " . ومن يفهمنى القانون ويقربنى المواعيد ؟

يظهر إنى طولت بالى عليك أكثر من اللازم . أنت يابهيم مفروض فيك العلم بالقانون . أحجزه يا عسكرى . ! ووضع الرجل بين المحجوزين وهو يلتفت يمنه ويسره إلى من حواليه ليرى أهو وحده الذى لم يفهم ؟ !

وجعلت أتأمل لحظة محنة هذا المخلوق الذى يفترضون فيه العلم بقانون " نابليون " !! .

وفى المسجد تنمو روح المسئولية بدافع الدين ، فلابد للمصلى أن يواجه أى خطأ يقع أمامه فى المسجد ويعمل على تصحيحه متى رآه وإلا أصبح شريكان فى وزره ، وفى خارج المسجد يعمل نفس الشىء فالتربية تمت خارج المسجد ، والتوسع فى التطبيق خارجه . وحتى إذا رأى أى مسلم جريمة أو خطأ خارج المسجد ولم يدل بشهادته فهو قد اشترك فى الجريمة .. تماما كالمصلى الذى شهد الخطأ فى المسجد ولم يعمل على تغييره فهو مشترك فيه . كما قال ابن مسعود " من رأى من يسىء فى صلاته ولم ينبه فهو شريكه فى وزرها " .

فعندما يقع أمام أى إنسان جريمة قتل وطلب للشهادة فرفض إما بروح السلبية أو لأنه يخشى الناس ، وحكم على آخر القاتل الحقيقى بالإعدام ، أليس كاتم الشهادة هذا هو المسئول عن دم هذا المظلوم وكأنه قتل ؟ ، بالإضافة إلى تضييع حق المقتول . ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى فى كاتم الشهادة : ﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ

﴿ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾.[1]

ويقول الله أيضا : ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[2]. وهذا بالنسبة للذى يكتم الشهادة فقط فما بالنا بشاهد الزور .

وحتى إذا لم يعاقب أحد فى القضية السابقة ظلما ، والذى ارتكب الجريمة برأته المحكمة لأنه لا توجد شهادة تدينه . أليس شاهد هذه الجريمة ولم يدل بشهادته مشتركا فى هذه الجريمة لأنه أضاع حق المقتول؟ . ولم ينفذ ما طلبه منه ربه سبحانه وتعالى . وبروح السلبية عنده يساهم فى تدمير بنيان العدل فى المجتمع وإشاعة الفاحشة والمنكر فيه ، فلا تقبل أبداً منه صلاة ويقول رسول الله (ﷺ) " من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا " .

ولذلك يوضح لنا القرآن الكريم أن الحياة التى لا يسودها العدل والقصاص ممن يستحق حياة مزيفة ، أما الحياة الحقيقية عندما يأخذ كل من يخطئ عقابه ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾.[3] ومن يتصور أن الحسم القاطع للسارق بأن يقطع يده عنف أكثر مما يجب ، لا يعنى معنى الإحساس بالأمن الذى يشكل

---

(١) البقرة ٢٨٣.
(٢) البقرة ١٤٠.
(٣) البقرة ١٧٩.

جوهر الحياة ، ومن يتعدى على آخر ويسلبه حياته لابد أن يقام عليه الحد ويقتل بالمثل ، حتى تصفو حياة المجتمع من شوائب الظلم والإرهاب فإن هناك بقع أخلاق لا يزيلها إلا سائل وحيد هو الدم ، دم القصاص ، حتى يكون ثوب المجتمع نظيفا على الدوام . إن روعة تطبيق القصاص لا تقل أبداً عن أعظم الانتصارات لأنه انتصار في ميدان العدل . ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾.[1]

وما الذى جعل الناس تثور وتحرق محكمة بيلا (محافظة كفر الشيخ) أليس هو انعدام الإحساس بالأمن . تحدث الجريمة أمام الناس ويكتمون الشهادة لخوفهم من زعبلة والقطرى وهما زعيمان لعصابتين فى مدينة بيلا ، وبالتالى تحدث الجرائم والقتلة يسيرون فى الشوارع أحراراً ، لأن السلبية تملكت الجميع لغياب روح الصلاة . ولأن مراكز القوى عملت على هدم روح الصلاة فى الشعب بالإرهاب .

ولقد لعن الله بنى إسرائيل لأنهم أخذوا موقفا سلبيا من المفسدين الأسرار فى مجتمعهم ، ولم ينهوهم عما يفعلون فى منكر فيقول الله تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾

---

(١) النساء ١٣٥.

كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ [1]

وللظاهرة القانونية فى المجتمع أن تخدم باقى ظواهر المجتمع الأخرى ، فمثلا بالنسبة للظاهرة الصحية كمثال يمكن أن توضع العقوبات على الذين لا يلتزمون بتعليمات الصحة فى المجتمع ، وأن يعرف الناس بهذه العقوبات وهى تسمى فى الشرع الإسلامى (التعزيز). وفى المسجد يعلم الناس بهذه العقوبات وسببها من الناحية الشرعية ، حتى يكونوا مدركين لها ، مقتنعين بها . وحتى تكون المسئولية واضحة أمام الجميع ، وكل يتحمل مسئوليته . . القادة والشعب ، الإمام والمصلون ، المدرس والطلبة فالكل مسئول ، وفى الحديث " كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته "، فالإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة في بيت زوجها راعية وهى مسئولة عن رعيتها ، والخادم فى مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته. (مسلم) .

ويعطينا الأستاذ / صلاح جلال نموذجا لهذا المعنى من الصين فيقول " فإن صحة النشىء الممتازة فى الصين (بالرغم من ظروف السكن البدائية فى بعض المناطق) ترجع أساسا إلى أن كل شخص مسئول عن صحته وأن عدد الأشخاص المؤهلين المسئولين عن الصحة كثيرا جدا ومنتشر فى كل مكان وكل أسرة مسئولة عن صحة أطفالها ، وكل مدرس مسئول عن صحة تلاميذه . وبلا شك أن هذا النظام قسرى ، ولكنه يعطى نتائج طيبة للغاية " .

---

(١) المائدة ٧٧-٧٨

إنـه مـن حـق كـل مسـلم أن يفـتخر بـروعة التشـريع الإسـلامى ، وقـد أوردت مجلـة الوعـى الإسـلامى (شـعبان - يونـيو ١٩٨١ م) هـذه الآراء لمفكريـن أجانـب فـى مقـال للأسـتاذ / إبراهـيم الـنعمة . ويقـول العلامـة الأسـتاذ/ شـبرل عمـيد كلـية الحقـوق بجامعـة فيينـا فـى مؤتمـر الحقوقيـن سـنة ١٩٢٧ .

" عـن البشـرية لتفـتخر بانتسـاب رجـل كمحمـد (ﷺ) إلـيها ، إذ انـه رغـم أميـته اسـتطاع قـبل بضـعة عشـر قـرنا أن يـأتى بتشـريع سـنكون نحـن الأوروبييـن أسـعد مـا نكـون لـو وصـلنا إلـى قمـته بعـد ألفـى سـنة " . ويقـول المـؤرخ الإنجلـيزى (ويلـز) . " إن أوربـا مديـنة للإسـلام بالجانـب الأكـبر مـن قوانيننا الإدارية والتجارية " . ويقول الفيلسوف (برناردشو) :

" إنـى دائمـا احـترم الديـن الإسـلامى غايـة الاحـترام لمـا فـيه مـن القـوة والحـيوية ، فهـو وحـده الديـن الـذى يظهـر لـى انـه يملـك (القـوة المحولـة) ويتمشى مع مصلحة البشر فى كل زمان " .

❑ الصلاة وصحة المجتمع :-

الظاهـرة الصـحية للمجـتمع تكـون مـع بقـية ظواهـره الأخـرى كـل يؤثـر فـى بعضـه الـبعض ، فـأى تغيـير فـى صـحة المجـتمع إلـى الأفضـل هـو دفـع للتغيـير الاجـتماعى فـى المجـتمع إلـى الـنهوض . والصـين فـى نهضـتها تـدرك هـذه الحقـيقة ، ولذلـك لا تعتـبر صـحة المجـتمع تـرفا للمواطنيـن ، وإنمـا تعنى قوة اقتصادية .

ويوضـح لـنا هـذا الأمـر الأسـتاذ / صـلاح جـلال فـيقول " وانطلاقـا مـن فكـرة أن الصـحة ليسـت ملكـا لفـرد ، ولكـنها ملـك للمجـتمع ، وإن الصـحة

الجيدة معناها إنتاج ، واقتصاد ، ودولة متطورة ، اعتبر الصينيون أن وجود الذبابة إهانة وأن من يقتل ذبابة يقتل عدوا ، وبالفعل تم القضاء على الذباب تماما " .

وإذا أقنع أئمة المساجد المسلمين بأن الذباب خطر، بل هو عدو حقيقي ، ولابد من مقاومته والقضاء عليه ، وارتبط هذا الأسلوب العقائدى بالمسجد، بالصلاة التى تمنحها صفة المواظبة ، وهى أهم صفة لنجاح أى مشروع . فالصلاة لا تتوقف ، وبالتالى فالحث على محاربة الذباب لا يتوقف ، فتكون النتيجة الاستمرار الذى يحقق نجاح العمل . والذين يجيبون الداعى للصلاة مسارعين إلى طلب رضا ربهم هم أصدق الناس كلما دعى الداعى إلى الإصلاح الاجتماعى .

إذن الاستمرار هو سر النجاح ويؤيد ذلك الأستاذ / صلاح جلال من تجربة الصين بقوله " والمهم أنهم تابعوا حملات النظافة باستمرار وانتظام ولم يكن ثرثرة موسمية ولا جهد وزارة ولا مصلحة وحدها ، وقاتلات الذبابات البلاستك فى كل مكان ولا يستحى أحد من استعمالها إذا وجدت ذبابة " .

لكن كيف تؤثر الصلاة فى صحة المجتمع ؟ إن الأيدى المتوضئة أيدى دائمة النظافة ، لأن الصلاة مستمرة وهذه الأيدى عامل هام فى عدم انتشار الأمراض المعدية فى المجتمع ويقول الدكتور سويدان " إن الأيدى الملوثة من أهم العوامل فى انتشار أمراض معدية ، أما بمصافحة الآخرين، أو بتلويث الطعام إذا كان الشخص يقوم بإعداد الطعام للآخرين ".

والمكان الذى تؤدى فيه الصلاة يجب أن يكون طاهرا ، وفى حالة تعذر استخدام الماء يقوم المصلى بالتيمم فى الصعيد الطيب ، ويقول

الدكتور / سويدان عن الصعيد الطيب " أى أرض جافة طيبة خالية من كل ما يتعارض مع هذه الصفة وفى الثابت أن أغلب الجراثيم والطفيليات تموت من الجفاف ، ولهذا فإن الأرض الجافة تكون خالية من هذه الآفات " .

ولذلك لابد أن يكون المسلم حريصا على نظافة المكان الذى يشغله لأنه ربما يتعذر عليه الماء فيضطر إلى استخدامه فى التيمم والصلاة ، ويقول الدكتور سويدان " عند الاضطرار تلقى هذه النفايات وخاصة البول والبراز فى حفرة فى أرض جافة ثم تغطى بالتراب الجاف وبهذا ينعدم انتشار الأمراض من مصادر البراز والبول وفى مصر نحن أحوج ما نكون لإتباع هذه التعليمات حتى يمكن القضاء على الأمراض المتوطنة " .

وبالنسبة للأمراض المتوطنة ، والتى تعد من أخطر الأمراض فى الوطن العربى والإسلامى ، فإن مجهود وزارة الصحة فقط هو مجهود مقضى عليه بالفشل والتجارب أثبتت ذلك ، بالرغم من أنه يمكن القضاء نهائيا على هذه الأمراض بحل بسيط ، ولا يكلف شيئا إضافيا . يقول لنا الدكتور الفنجرى عن هذا الحل .

هذا العلاج يتلخص فى كلمة صغيرة هى :

" إقناع الفلاح بعدم التبول أو التبرز فى الماء "

ولن يكون هذا الإقناع له قيمة إلا عن طريق المسجد حيث يتعلم الفلاح المسلم روح دينه ، ويقول الدكتور الفنجرى " إن الفلاح المسلم شديد التدين شديد الحرص على تعاليم الدين ولو علم أن تبرزه فى الماء وفى طريق المسلمين سوف ينزل عليه لعنة الله وملائكته وسائر المسلمين لما اقدم على ذلك أبداً " ويضيف " ولا ننسى أنه إنما يفعل ذلك بدافع دينه لكى يكون قريبا من الماء فيستنجى ثم يتوضأ منه ولو علم أن ما فعله

سوف يضيع ثوابه ويفسد صلاته فليس بمستغرب أن تكون استجابته لهذه التعاليم الدينية أشد من استجابته لأوامر مفتشى الصحة".

وفى السنة الشريفة نجد هذه المعانى واضحة فالرسول (ﷺ) يشدد فى الأمر حتى أنه يصل به إلى درجة اللعنة لكل من لا يتبع أساليب النظافة فيقول " اتقوا الملاعن الثلاثة ، البراز فى الموارد وقارعة الطريق والظل " (أبو داود) . ويقول أيضاً " لا يبولن أحدكم فى الماء الدائم ثم يتوضأ منه " . وعنه أنه نهى أن يبال فى الماء الراكد (مسلم) وعنه أيضاً : نهى أن يبال فى الماء الجارى (الطبرانى) . ويقول أيضا " من غسل سخيمته فى طريق من طرق المسلمين فعليه لعنة الله ، والملائكة ، والناس أجمعين ". (البهيقى).

فالاهتمام بقوة المجتمع وعزته هو جوهر الإسلام ، ومنها بالطبع القوة الصحية فالله سبحانه وتعالى يقول :﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[1] . لفظ قوة هنا فى الآية القرآنية الكريمة مطلق ويشمل جميع نواحى القوة فى حياة الإنسان وحياة المجتمع ومنها بالطبع القوة الصحية. وفى السنة يقول الرسول (ﷺ) " المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير " (مسلم) . هنا أيضاً الرسول

---

(١) الأنفال ٦٠.

(ﷺ) يجعل القوة مرتبطة بحب الله ، وكلما أزداد المسلم قوة ، كلما ازداد حب الله له .

فهل المسلم الذى يترك عوامل الضعف تنخر في بدنه فى شكل أمراض متوطنة أو فى شكل ذباب يحمل إليه الخطر - هل هذا المسلم يفقه دينه ، وروح إسلامه ؟ وهل هو يتقرب بضعفه هذا إلى الله . وقد وجهه رسوله الكريم بقوله " إن لبدنك عليك حقا .. " ، وقد حذره أيضا بقوله " لا ضرر ولا ضرار" (ابن ماجه) .

إذا كان هذا هو الإسلام ، وهذه هى روحه . فما بالنا نرى المسلمين على عكس ما ينادى به الدين ؟ هل يحتاجون أن يسلموا مرة أخرى ؟ . ومما يحكى أن أحد الأجانب الذى اسلم حديثا وزار مجتمعا مسلما، ووجد ما عليه المسلمون الآن قال : الحمد لله الذى جعلنى أعرف الإسلام قبل أن أعرف المسلمين .

❑ الصلاة واقتصاد المجتمع :-

الاقتصاد هو أساس قوة المجتمع المادية ، والمجتمع الإسلامى يهتم بنواحى القوة فى المجتمع كله ومنها القوة الاقتصادية . ولتنظيم اقتصاد المجتمع الإسلامى كانت الزكاة ، وهى حق معلوم فى أموال الأغنياء للفقراء وهى فريضة على كل مسلم قادر عليها . وهناك ارتباط وثيق فى القرآن الكريم بين الزكاة والصلاة .

ويحدثنا الدكتور عبد الله محمود شحاته فى كتابه أركان الإسلام فيقول " كما تقرر الأمر بها وقرنت بالصلاة فى القرآن فى اثنتين وثمانين

آيـة ، فالصـلاة والـزكاة أسـاس وطـيد لسـعادة الأفـراد والمجـتمعات " والله سـبحانه وتعـالى يقـول : ﴿ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾.

ولمـا كـان الإسـلام يشـكل الحـياة كلهـا بشـتى نواحـيها ، فـإن الصـلاة وهـى عمـاد الديـن تكـون عمـاد الحـياة كلهـا للمجـتمع المسـلم ، عمـاد الاقتصـاد ، وعماد الصحة ، وعماد القانون ".

فمـن مـنطلق مسـجد قـباء - أول مسـجد أسـس فـى الإسـلام- بـدأ تقـدم المجـتمع الإسـلامى ورقـيه ، ومـن نفـس المـنطلق مـن المسـاجد يـتقدم المجـتمع وينمو هذه هى حقيقة الصلاة وروحها .

إذا كانـت الكـتابة والقـراءة عمـاد الـتعلم ، والصـلاة عمـاد الديـن . وإذا كـنا لا نسـتطيع أن نسـمى مـن لا يقـرأ ولا يكتـب مـتعلما ، فهـل يمكنـنا أن نسـمى من لا يصلى مسلما ؟ ! .

ولهذا اختصت الصلاة بالمميزات الآتية :

- أول ما فرض من الإسلام .
- أول ما يحاسب عليه العبد من عمله .
- فرضها الله سبحانه وتعالى فى السماء ليلة المعراج .
- أكثـر الفـروض ذكـرا فى القرآن .
- لا يسقـط فرضـها عن العبـد مـادام عقلـه معـه .
- ولأن أهل النار لما يسألون " ما لمسكم فى سقر " .
- لم يبدعوا بشىء غيـر ترك الصلاة .

فهـــرس الكتـــــاب

تابع فهرس الكتـــاب

صفحة	الموضـــوع

تابع فهرس الكتـــاب

تابع فهرس الكتـــــاب